

من مؤلف الرواية رقم واحد تحقيقاً للمبيعات
في الولايات المتحدة The Rescue

نيكولاس سباركس

www.rewity.com

^ RAYAHEEN ^



رسالة في زحاجة

المقدمة

لقد أقيمت الزجاجاة من فوق سطح المركب إلى مياه المحيط في ليلة صيف دافئة ، وذلك قبل سقوط الأمطار بساعات قليلة ، وشأنها كشأن كل الزجاجات ، فقد كانت سهلة الكسر ، ومن السهل أيضاً أن تتهشم إذا ما أقيمت من على ارتفاع أقدم قليلة من الأرض ، ولكن عندما يتم إحكام غلقها جيداً وإلقاؤها في البحر كهذه الزجاجاة ، تصبح من أهم الأشياء الصالحة للإبحار التي عرفها الإنسان ، حيث يمكن أن تطفو بسلام خلال الأعاصير والعواصف الاستوائية ، ويمكنها أن تواجه أكثر موجات المد والجزر خطورة ، كما أنها المثلث المثالي للرسالة التي ترقد بداخلها ، وهي الرسالة التي كتبت من أجل الوفاء بوعده قد قطع . ومثل كل الزجاجات التي أقيمت في مياه المحيط ، كان مسارها غير متوقع ، حيث تلعب الرياح والتيارات دوراً كبيراً في مسار أي زجاجاة . فقد تغير العواصف والصخور اتجاهها تماماً ، وقد تشتبك في شبكة صيد ، وتحملها عشرات الأميال في عكس الاتجاه الذي كانت تسير فيه ، وتكون النتيجة أن ينتهي الأمر بزجاجتين تم إلقاؤهما معاً في ذات الوقت أن تتجه كل منهما إلى اتجاهات مختلفة من الكرة الأرضية ، فلا يمكن التنبؤ

بمسار الزجاجة واتجاهها ، وهذا جزء من الغموض الذى يكتنفها .

وقد أثار هذا الغموض اهتمام الكثير من الناس . وقد حاول القليل من الناس معرفة المزيد عن أمر الزجاجات ، ففي عام ١٩٢٩ قام طاقم من العلماء الألمان بتعقب مسار رحلة إحدى الزجاجات ، حيث تم إلقاؤها فى مياه المحيط الهندى ، وبداخلها رسالة تطلب ممن يعثر عليها أن يسجل الموقع الذى ظهرت واستقرت فيه الزجاجة ثم يقوم بإلقائها مرة أخرى فى مياه البحر ، وبحلول عام ١٩٣٥ ، كانت الزجاجة قد طافت حول العالم لمسافة حوالى ستة عشر ألف ميل ، وهى أطول مسافة تم تسجيلها رسمياً .

وقد تم تأريخ الرسائل التى وضعت فى زجاجات زمنياً لقرون ، وتضمن هذا التأريخ الزمنى بعض الأسماء الشهيرة فى التاريخ . منها على سبيل المثال : بن فرانكلين ، والذى استخدم الزجاجات لتحمل رسائل من أجل جمع معلومات عن تيار الساحل الشرقى فى عام ١٧٠٠ ، وهى المعلومات التى لا تزال تستخدم حتى اليوم . وإلى الآن يستخدم البحارة الأمريكان الزجاجات ، وذلك لجمع معلومات عن المد والجزر والتيارات البحرية ، كما أنهم يستخدمون الزجاجات فى بعض الأحيان لتعقب اتجاه تدفقات البترول .

وكان من أشهر الرسائل التى تم إرسالها ، رسالة عن بحار شاب وذلك فى عام ١٧٨٤ وهو شانوسكو ماتسوياما والذى جنحت سفينته نحو شعب مرجانية ، ولم يجد الطعام أو المياه بعدما تحطمت سفينته ، وقبل موته قام بتسجيل ما حدث له على قطعة من الخشب ثم وضعها فى زجاجة وأحكم إغلاقها وألقاها ، وفى

عام ١٩٣٥ وبعد إلقائها بنحو ١٥٠ عاماً رست على شواطئ قرية صغيرة تطل على البحر فى اليابان حيث ولد ماتسوياما .

أما الزجاجة التى أقيمت فى ليلة صيف دافئ ، فلم تكن تحتوى على رسالة عن تحطم سفينة أو تم استخدامها لمعرفة معلومات عن البحار وإنما كانت تحتوى على رسالة ، رسالة ستؤدى إلى تغير فى شخصية فردين ، وهما فردان لم يلتقيا من قبل ، لقد ظلت تطفو على سطح البحر لمدة ستة أيام فى اتجاه الشمال الشرقى ، حيث عصفت بها الرياح الشديدة التى تهب فوق خليج المكسيك . وفى اليوم السابع هدأت الرياح ، واتجهت الزجاجة نحو الشرق مباشرة ، وشقت طريقها نحو تيار الخليج الدافئ ، حيث زادت من سرعتها ، واتجهت شمالاً بسرعة ٧٠ ميلاً فى الساعة .

وبعد أسبوعين والنصف من إلقائها ، استمرت فى السير مع تيار الخليج الدافئ ، وفى اليوم السابع عشر أدت عاصفة أخرى - وهذه المرة فوق منتصف الأطلنطى - إلى هبوب رياح قوية جعلت الزجاجة تنحرف ناحية نيوانجلاند ، وانحرفت الزجاجة فى اتجاهات مختلفة بالقرب من شاطئ "ماساشوستس" ، وظلت هكذا لمدة خمسة أيام حتى علقت بشبكة صيد خاصة بـ "جون هانز" ، فقد وجد هانز الزجاجة وقد أحاطتها آلاف الأسماك ، فقام بإلقائها جانباً ليفحص صيده الثمين . ومن حسن الحظ أن الزجاجة لم تنهشم ، ولكنها بقيت بالقرب من مؤخرة القارب لبقية الظهيرة حتى بدأت المركب رحلتها عائداً إلى خليج كيب كود ، وفى الثامنة والنصف من تلك الليلة وعندما وصلت السفينة إلى الخليج بسلام ، تعثرت قدم هانز بالزجاجة مرة أخرى وهو يقوم بتدخين سيجارة ، فالتقطها لكى يرى ما بداخلها ، ولكن

بسبب الظلام الذى أوشك أن يعم المكان لم يستطع رؤية شىء بداخلها ، فألقاها فى البحر مرة أخرى دون أن يلقي عليها نظرة ثانية ، وهو على ثقة من أنها ستطفو بجوار إحدى القرى الصغيرة التى تقع بالقرب من الخليج .

ولكن ذلك لم يحدث ، فقد طفت الزجاجاة لأيام قلائل ، كما لو كانت تقرر اتجاه مسيرها ، وفى النهاية استقرت على الشاطئ بالقرب من كاثام .

وهكذا وصلت إلى هذا المكان بعد ٢٦ يوماً ، و ٧٣٨ ميلاً وقد انتهت رحلتها .

الفصل الأول

كانت رياح ديسمبر الباردة تهب ، فجلست تريسا أوسبورن عاقدة ذراعيها ، مرسلة بصرها عبر المياه . حينما وصلت إلى الشاطئ منذ فترة ، كان هناك بعض المترددين على الشاطئ ؛ ولكن حينما لاحظوا تكاثر السحب فى السماء ، شرعوا فى مغادرته ، وها قد وجدت نفسها وحيدة على الشاطئ تتأمل فيما حولها ، فبدا المحيط وهو يعكس لون السماء وكأنه بحر من الحديد المنصهر ، وقد أخذت الأمواج تتلاطم على الشاطئ . وكانت السحب متجمعة فى السماء وقد تكاثف الضباب ، مخفياً الأفق من ورائه . كان يمكن أن تشعر تريسا بهذا الجمال الطبيعى المحيط بها فى وقت آخر أو فى مكان آخر ، ولكنها أدركت وهى تخطو على الشاطئ أنها لا تشعر بهذا الجمال على الإطلاق ، بل لم تكن تشعر حتى بوجودها ، وكان ما حولها مجرد حلم .

كانت قد وصلت هنا هذا الصباح ، على الرغم من أنها لا تكاد تذكر الرحلة . وحينما اتخذت قرارها بالمجئ ، كانت قد اعتزمت أن تقضى الليلة بأكملها ، وبالفعل اتخذت جميع الاستعدادات ، وكانت تتطلع لقضاء ليلة هادئة بعيداً عن بوسطن ، ولكنها حينما رأت حركة الأمواج الشديدة وكان المحيط هائجاً أدركت أنها لا

ترغب في البقاء ، وقررت أن تنهى ما تفعله ، مهما كان الوقت متأخراً .

وحينما استعدت ، اتجهت تريسا ببطء نحو المياه وكانت تحمل حقيبة كانت قد حزمته بعناية هذا الصباح ، وتأكدت أنها لم تنس شيئاً ، لم تخبر أحداً بما حملته معها في الحقيبة ولا بما تنوى القيام به اليوم . ولكنها أخبرتهم أنها ستذهب للتسوق من أجل عيد الميلاد ، فلقد كان هذا عذراً جيداً . وعلى الرغم من أنها تعلم جيداً أنهم سيتفهمون إذا ما أخبرتهم بالحقيقة ، ولكنها لم ترغب في أن يشاركها أحد هذه الرحلة ، فلقد بدأت في التفكير والإعداد لها بمفردها وأرادت أن تنهيها على هذا النحو .

تنهدت تريسا ونظرت إلى ساعتها ، سرعان ما سيبدأ المد في الارتفاع وحينئذ ستكون على أتم الاستعداد ، وبعد أن وجدت مكاناً على أحد كتبان الرمال بدا مريحاً ، جلست فوقه وفتحت حقيبتها ، وأخذت تعبت بداخلها ، فوجدت المظروف الذي كانت تبحث عنه ، وأخذت نفساً عميقاً وهي تفضه .

كان بداخله ثلاثة خطابات طويت بعناية ، تلك الخطابات التي قد قرأتها مرات عديدة لا تستطيع إحصاءها ، وحملت الخطابات بين يديها وجلست على الرمال وأخذت تحقق إليها .

كانت هناك أشياء أخرى داخل الحقيبة ولكنها لم تلق بالاً لها ، فكان كل انتباهها ينصب على الخطابات . كان قد استخدم قلماً من الحبر حينما قام بخطها ، وكان هناك بعض بقع الحبر في أماكن مختلفة من الخطابات ، وبدأ الخطاب - وكان مرسوماً على جانبه الأيمن العلوى صورة سفينة مبحرة - يفقد بعضاً من ألوانه بمرور الوقت ، وكانت تعلم أنه سيأتى وقت سيصعب فيه قراءة

الكلمات . ولكنها بعد اليوم لن تكون بحاجة للنظر إليها بين الحين والآخر .

حينما انتهت من قراءة الخطابات ، دستها بعناية داخل المظروف كما أخرجتها . وبعد أن أعادت المظروف إلى الحقيبة ، أخذت تنظر إلى الشاطئ مرة أخرى وتتطلع إلى المكان الذي بدأ فيه كل شيء .

أخذت تسترجع فجر ذلك اليوم حينما كانت تعدو . إنها تتذكر ذلك الصباح جيداً . لقد كان بداية يوم جميل من أيام الصيف . وبينما كانت مأخوذة بما حولها ، راحت تنصت إلى أصوات طيور النورس العالية ، وإلى أصوات تلاطم الأمواج وهي متجهة نحو الشاطئ ، وعلى الرغم من أنها كانت في أجازة ، إلا أنها استيقظت مبكراً من أجل أن تمارس رياضة الجرى ، ففي غضون ساعات سوف يمتلئ الشاطئ بالسائحين ، وسوف يستلقون مستمتعين بشمس نيو إنجلاند الحارة . إن منطقة كيب كود دائماً ما تكون مزدحمة في هذا الوقت من العام ، ولكن معظم المصطافين لا يستيقظون إلا في وقت متأخر ، لذا أخذت تستمتع بالعدو على الرمال الناعمة التي خلفها المد ، وعلى عكس السير على الطريق الأسفلتي ، كانت الرمال ناعمة ، وكانت تعلم أن ركبتها لن تؤلمها مثلما كانت تفعل عند العدو على الطرق المرصوفة .

كانت تهوى العدو ، وهي عادة اكتسبتها من الجرى في مسابقات اختراق الضاحية ، وعدو المسافات الطويلة التي كانت تشترك فيها حينما كانت في المدرسة الثانوية . وعلى الرغم من أنها لم تعد تشترك بعد في أى مسابقات أو تقوم باحتساب أوقات الجرى إلا أنه الوقت الوحيد الذي تكون فيه وحيدة مع أفكارها ،

إنها تعتبر هذا الوقت نوعاً من التأمل ، لذا فهي تمارسه بمفردها ، وهي لا تفهم لماذا يهوى بعض الناس ممارسة العدو في مجموعات . وبالرغم من عشقها لولدها ، إلا أنها كانت سعيدة بمفردها دون صحبة كيفن . إن كل أم تكون بحاجة إلى الراحة في بعض الأحيان . وهي تتطلع إلى ذلك هنا ، حيث لا توجد ألعاب كرة القدم أو دروس السباحة ، أو أغاني القنوات الفضائية ، لا واجبات مدرسية يجب عليها مساعدته في أدائها ، ولن تستيقظ في منتصف الليل حينما يصاب بشد عضلي في ساقه . كانت قد اصطحبت منذ ثلاثة أيام إلى المطار ليستقل الطائرة لزيارة أبيه - زوجها السابق - في كاليفورنيا ، وذكرته حينئذ أنه لم يحتضنها أو يقبلها ، فقال وهو يحيطها بذراعيه ويقبلها : " آسف يا أمي ، سأفتقدك كثيراً ، ولكن لا تنزعجى كثيراً لغيابي " ، واستدار وأعطى تذكرته إلى المضيغة ودلف إلى الطائرة دون حتى أن ينظر خلفه .

لم تلمه كثيراً على ذلك ، حينئذ . فقد كان في الثانية عشرة من عمره ، في تلك الفترة الحرجة التي يعتقد فيه أن احتضان وتقبيل أمه في الأماكن العامة لا يبدو لائقاً . وإلى جانب ذلك ، فقد كان ذهنه مشغولاً بأشياء أخرى ، فقد كان يتطلع إلى هذه الرحلة منذ العام الماضي . فمن المفترض أن يذهب هو ووالده إلى جراندي كانيون ثم يمضيان أسبوعاً في التجديف داخل قارب عبر نهر كولورادو وأخيراً الذهاب إلى ديزني لاند ، حلم كل طفل . وكانت سعيدة من أجله . وبالرغم من أنه كان سيمضي ستة أسابيع ، إلا أنها كانت تدرك أنه من الأفضل لـ " كيفن " أن يقضي هذا الوقت الممتع مع أبيه .

لقد كانت هي وديفيد على علاقة طيبة منذ طلاقهما من ثلاث سنوات ، وعلى الرغم من أنه لم يكن بالزوج المثالي ، إلا أنه كان أباً

حنوناً بالنسبة لـ " كيفن " ، فلم ينس في أي مرة أن يرسل هدية عيد ميلاد ، وكان يحدثه في الهاتف أسبوعياً . بل ويسافر إليهما عدة مرات في العام لقضاء العطلات مع ابنه . وبالطبع كانت هناك الزيارات الخاضعة لإشراف المحكمة - وهي ستة أسابيع في الصيف ، وفي الأعياد . وعلى الرغم من انشغال أنيت - زوجة ديفيد الجديدة - الدائم بالطفل الرضيع ، إلا أن كيفن كان يحبها كثيراً ، ولم يشعر منها قط بأي تجاهل أو إهمال ، بل إنه كان يعشق زيارتهما ويتلهف عليها ، وأحياناً ما كان يغلب على تريسا الشعور بالغيرة جراء ذلك ، إلا أنها كانت تحاول بقدر الإمكان ألا تظهر هذا الشعور أمام كيفن .

والآن . كانت تركز على الشاطئ بخطوات معتدلة ، ولا بد أن ديانا بانتظارها الآن لكي يتناولوا طعام الإفطار سوياً . ومن المؤكد أن بريان قد غادر المنزل . كانت ديانا وزوجها على مشارف الستين ، إلا أن ديانا كانت صديقتها الحميمة .

وقد اعتادت ديانا ، رئيس تحرير الصحيفة التي تعمل بها تريسا ، الذهاب مع زوجها بريان إلى كيب دوماً لقضاء العطلات كل سنة ، وكانا دائماً ما يذهبان إلى نفس المكان ، ويدعى فيشر هاوس . وحينما علمت ديانا أن كيفن سيذهب لزيارة والده في كاليفورنيا لقضاء جزء من عطلة الصيف ، أصرت على أن تصحبهما تريسا إلى كيب وقالت : " إن بريان يمارس رياضة الجولف هنا كل يوم ، وأنا لا أريد أن أكون بمفردي ، وأنت ماذا ستفعلين هنا ؟ عليك أن تخرجي أنت أيضاً للتنزه في أي مكان بعيداً عن الشقة " ، كانت تريسا تعلم أنها على حق ، وبعد مرور أيام قليلة كانت قد اتخذت قرارها بالذهاب معهما فقالت ديانا وفي عينيها نظرة انتصار : " إنني سعيدة لذلك ، وسيعجبك المكان كثيراً " .

وبالفعل كانت على حق ، فقد كان مكاناً رائعاً . وكان فيشر هاوس منزلاً جميلاً يقع على حافة منحدر صخري يطل على خليج كيب كود ، وحينما وقعت عينها عليه ، انتابتها الرغبة فى العدو . على عكس العدائين الأصغر سناً ، والذين يزيدون من سرعتهم فى نهاية الجرى ، كانت تفضل أن تبطئ من عدوها قرب النهاية . ولكونها فى السادسة والثلاثين من عمرها ، كانت تجد صعوبة فى التقاط أنفاسها .

وحينما بدأت أنفاسها فى الانتظام ، أخذت تفكر فيما ستفعله بقية اليوم ، كانت قد أحضرت معها خمسة كتب من أجل قراءتها أثناء الإجازة ، وهذه الكتب كانت ترغب فى الانتهاء منها منذ العام الماضى ، ولكنها لم تجد الوقت الكافى لتلتفت إليها ، حيث إن لديها كيفن ومتطلباته والأعمال المنزلية والعمل المكثف فوق مكتبها ، ولأنها تعمل كصحفية فى جريدة بوسطن تايمز ، فكانت تعمل دائماً تحت ضغط مستمر لأنه عليها أن تكتب ثلاثة أعمدة فى الأسبوع ، وكان زملاؤها فى العمل يعتقدون أن ذلك شىء يسير ، مجرد كتابة ثلاثمائة كلمة وينتهى يومها . ولكن الحقيقة أن هذا ليس بالأمر اليسير خاصة أن عليها أن ترسل بتلك المقالات إلى عدة صحف ومجلات . وبالفعل كان العمود الذى تكتبه عن " التربية الحديثة " يرسل يومياً إلى ستين صحيفة تصدر فى أنحاء البلاد ، على الرغم من أن معظمها كان ينشر واحداً أو اثنين من مقالاتها فى الأسبوع فقط ، ولأنها لم تتلق عروض النشر إلا منذ ثمانية عشر شهراً فقط ، وكانت تشارك بكتابتها فى هذه الصحف لأول مرة ، لذا فلم يكن باستطاعتها حتى أخذ عطلة نهاية الأسبوع ، لأن المساحات الخالية فى معظم الصحف محددة ، ويتنافس عليها المئات من الصحفيين .

أخذت تسير ببطء ، وأخيراً توقفت عن السير وكان يحلق فوقها طائر من طيور النورس حيث كانت نسبة الرطوبة قد ارتفعت فى الجو وأخذت تمسح العرق المتصبب من على وجهها ، وأخذت نفساً عميقاً وكتمته لدقيقة ، ثم أخرجته قبل أن تمد بصرها عبر المياه ، ولأن الوقت كان لا يزال مبكراً ، كان لون المحيط يميل إلى الرمادى القاتم ، ولكن من المعتاد أن يتغير هذا اللون بمجرد أن تشتد أشعة الشمس . وبعد دقيقة ، قامت بخلع حذائها وجواربها واتجهت نحو المياه لتجعل الأمواج الهادئة تغطى قدميها ، كانت المياه منعشة بحق ، وقد أمضت دقائق وهى تتمايل وسط المياه وفجأة اعتراها الشعور بالسعادة ، لأنها استطاعت كتابة مقالات وأعمدة إضافية خلال الشهور القليلة الماضية ، لذا سيمكنها أن تتناسى العمل هذا الأسبوع . إنها لا تستطيع أن تتذكر آخر مرة حصلت فيها على إجازة . والآن ليس هناك أعمال تؤديها على الحاسوب ولا يوجد اجتماع عليها حضوره أو موعد نهائى لتسليم عمل ما . ياله من شعور بالحرية ! أن تبتعد عن مكتبها لفترة . إنها تشعر أنه بإمكانها التحكم فى مصيرها مرة أخرى ، كما لو كانت ستبدأ من جديد وتنطلق فى هذا العالم .

إنها تعلم جيداً أن هناك أعمالاً كثيرة عليها إنجازها بالمنزل ، فدورة المياه بحاجة إلى ترميم وإصلاح وعليها سد الثقوب الموجودة بالحائط ، وطلاء الشقة . ولقد قامت بالفعل منذ شهرين بشراء ورق الحائط والطلاء وقضبان للمناشف ومقابض لأبواب الشقة ومراة جديدة ، وكل الأدوات التى سوف تحتاجها لعمل هذه الإصلاحات . وعلى الرغم من ذلك ، فإنها لم تقم حتى بفتح الصناديق التى تحتوى على هذه الأشياء ، وكانت تحدث نفسها بأنه عليها أن تنتهى من أعمال الإصلاح هذه خلال عطلات نهاية

الأسبوع المتتالية ، ولكنها كانت مشغولة في عطلات نهاية الأسبوع تماماً كأيام العمل ، ولا تزال الأشياء التي قامت باقتياعها ترقد في الصناديق . وفي كل مرة تفتح فيها باب الغرفة التي وضعت بها الأشياء ، تشعر وكأنها تسخر منها . قالت لنفسها : " ربما أنتهى من هذه الأعمال بمجرد عودتى إلى المنزل " .

أدارت رأسها فشاهدت رجلاً يقف على الشاطئ ويبعد عنها بمسافة قليلة . كان يكبرها ، ربما فى الخمسين من عمره أو ما يقارب ذلك ، وقد كست وجهه سمرة شديدة نتيجة تعرضه المستمر للشمس . وبدا وكأنه يسكن فى هذا المكان طيلة العام . لم يبد الرجل حراكاً - فقد كان يقف فى المياه ويجعلها تغطي قدميه ، ولاحظت أنه كان يغلق عينيه ، كما لو كان يستمتع بجمال العالم من حوله عن طريق الإحساس به دون الحاجة إلى مشاهدته ، كان يرتدى سروالاً من الجينز وكان لونه باهتاً ، وقد قام بثنيه حتى بلغ ركبتيه . ومن فوقه كان يرتدى قميصاً فضفاضاً لم يهتم بدس أطرافه فى السروال . وبينما كانت تشاهده ، تمننت فجأة أن تكون شخصاً مختلفاً ، ماذا سيحدث لو أنها سارت فوق الشاطئ دون أن تعبير اهتماماً لأى شىء فى العالم ؟ وأن تاتى إلى بقعة هادئة كل يوم بعيداً عن ضجيج بوسطن ؟

وغاصت أكثر فى المياه ، وحاولت تقليد الرجل وتمنت أن يفتابها نفس إحساسه ، ولكن الشىء الوحيد الذى سيطر على تفكيرها حينما أغلقت عينيه هو كيفن ، فكم تمننت أن تقضى وقتاً أطول فى صحبتته ، وأن تتحلى بمزيد من الصبر حينما يكونان معاً ، وأن يشاهدا التلغاز معاً دون أن يكون عليها أن تنهض لتنجز شيئاً آخر أكثر أهمية . لقد مرت عليها أوقات كثيرة كانت تشعر فيها أنها مخادعة ، وذلك حينما كانت تؤكد لـ " كيفن " أنه فى

المقام الأول قبل أى شىء ، وأن الأسرة هى أهم شىء فى هذا العالم .

ولكن المشكلة تكمن فى أنه كان هناك دوماً شىء آخر عليها إنجازها ، فالصحنون بحاجة إلى تنظيف ، وكذلك دورة المياه وقفص القطة والسيارة بحاجة إلى ضبط ، والملابس بحاجة إلى تنظيف ، وعليها سداد بعض الفواتير ، وعلى الرغم من أن كيفن كان يساعدها كثيراً فى الأعمال المنزلية ، إلا أنه مثلها كان مشغولاً بالمدرسة والأصدقاء والأنشطة الأخرى ، وهكذا فلم يكن لديها وقت لقراءة المجلات التى يكون مصيرها فى النهاية سلة المهملات ، شأنها فى ذلك شأن الخطابات . وكانت تشعر فى بعض الأحيان أن حياتها تتسرب من بين يديها .

ولكن كيف يمكنها تغيير نظام حياتها ، لقد كانت أمها دائماً ما تقول لها : " استمتعى بكل يوم من أيام حياتك " . ولكن لم تكن أمها تعمل مثلها ، ولم يقع على عاتقها مسئولية تربية ابن كابنها دون وجود أب يرعاه ، إن أمها لا تدرك الضغوط التى تتعرض لها تريساً يومياً ، وكذلك لا تدركها أختها الصغرى جانيت التى تتبّع مبدأ أمها فى الحياة ، لقد تزوجت أختها منذ أحد عشر عاماً ، وتحيا هى وزوجها فى سعادة ولديها ثلاث فتيات فى غاية الروعة . ولم يكن إدوارد زوجاً خارقاً ولكنه كان أميناً ، يبذل جهداً كبيراً فى عمله ويوفر الحياة الكريمة لعائلته ، لذا فلم تكن جانيت بحاجة إلى أن تعمل . وقد تمننت تريساً فى بعض الأحيان أن تحيا مثل هذه الحياة التى تعيشها أختها حتى لو تخلت عن عملها .

ولكن ذلك لم يكن ممكناً ، خاصة منذ أن انفصلت هى وديفيد من حوالى ثلاث سنوات أو أربع ، إذا ما أضفنا إليها السنة التى انفصلا فيها . إنها لا تكره ديفيد من أجل ما اقترفه فى حقها ،

ولكنها فقدت احترامها له . إنها لا تستطيع أن تتحمل الخيانة سواء إذا ما كانت لليلة واحدة أو إذا ما استمرت لفترة طويلة . ولم يشف غليلها أنه لم يتزوج المرأة التي استمرت علاقته بها سنتين ، فلم يكن باستطاعتها أن تستعيد ثقتها به مرة أخرى .

ولقد عاد ديفيد مرة أخرى إلى كاليفورنيا - مسقط رأسه - وذلك بعد انفصالهما بعام واحد ، وقابل أنيت بعدها بشهور ، ولقد كانت على درجة كبيرة من التدين ، ونجحت شيئاً فشيئاً في أن تجعل ديفيد مثلها . ديفيد الذى لم يكن يهتم بالدين ، أصبح يحضر الندوات الدينية ويواظب على حضور الصلوات باستمرار ، وعلى أداء ما هو أكثر من ذلك ، لقد كان يقوم بوعظ المقربين إليه . ولقد تساءلت عما يقوله لمن اقترب نفس الشيء الذى كان قد اقتربه من قبل ، وكيف يمكنه مساعدة الآخرين ، وهو الذى لم يستطع السيطرة على نفسه فى يوم من الأيام ؟ إنها لا تعرف أو على الأصح لا تهتم بأن تعرف ، فكل ما كان يهمها أنه كان يحنو على ابنه ويرعاه .

وبطبيعة الحال ، انتهت بعض الصداقات بانفصالها هي وديفيد . فقد أصبحت وحيدة دون زوج ، ولم تعد ترغب فى حضور بعض الحفلات التى كان يقيمها أصدقاؤها المشتركون ، فلم يكن لها مكان بها . ولكن استمرت بعض الصداقات القليلة ، فكثيراً ما كان أصدقاؤها يدعونها لتناول الغداء أو العشاء معهم ، فكانت تلبى الدعوة فى أحيان قليلة ، ولكنها كانت تعتذر فى معظم الأحيان . كانت تشعر أن العلاقة بينها وبين أصدقاؤها قد تغيرت ولم تعد كما كانت ، وكانت تلك هى الحقيقة . فلقد تغيرت الظروف وتغير الأشخاص وتغيرت مشاعرها تجاه ديفيد .

ومنذ الطلاق ، كان هناك الكثير ممن يودون الارتباط بها . لقد كانت جذابة ، أو هكذا يقولون لها ، لقد كان شعرها بنياً داكناً ، يكاد يصل إلى كتفيها ، وكان ناعماً كالحرير . وكانت عيناها عسليتين تعكسان الأضواء . ولأنها كانت تمارس رياضة العدو كل يوم ، فكان قوامها رشيقاً ومتناسقاً ، ولم يبد عليها عمرها الحقيقى ، ولم تكن تشعر هى من داخلها بأنها تقدمت فى العمر . ولكن عندما كانت تنظر فى المرآة فى الآونة الأخيرة ، شعرت بأن العمر بدأ يتقدم بها ، فقد ظهرت بعض التجاعيد بجانب عينيها والتي لم تكن موجودة من قبل ، كما ظهر بعض الشعر الأبيض ، وبدأ الإجهاد على وجهها .

كان أصدقاؤها يعتقدون أنها مجنونة ، وكانوا يقولون لها : " إنك تبدين أفضل الآن من سنوات مضت " ، وبالفعل كانت تلمح بعض الرجال الذين يختلسون النظر إليها وهى تمشى فى المتجر الكبير ، ولكنها لم تكن على استعداد ، وكان من المستحيل أن تعود إلى الثانية والعشرين مرة أخرى . وهى لا ترغب فى ذلك ، حتى لو كان ذلك بمقدورها إلا إذا كان لها نفس العقل الراجح الذى تتمتع به الآن . وإذا كان ذلك بمقدورها لكانت ستختار شخصاً آخر غير ديفيد - شخص وسيم ، ولا يكون عليه أن يخرق القواعد والقوانين . إن القوانين شىء مهم فى حياتنا خاصة فيما يخص قوانين الزواج ، فهى القوانين التى لا ينبغى على المرء خرقها . فلم يفعل ذلك أبداً أى من والديها وكذلك أختها أو زوجها ولا ديانا وبريان - وتساءلت فى نفسها ، لماذا فعل زوجها ذلك ؟ وهل يعقل أن تعاود التفكير فى تلك الأشياء بعد مرور كل هذا الوقت ؟

قد يكون لشعورها هذا علاقة بالفترة التى تسلمت فيها ورقة الطلاق ، فقد شعرت بأن جزءاً داخلها قد تحطم . وتحول الغضب

الذى شعرت به فى البداية إلى حزن ، لكنه أصبح شيئاً مختلفاً الآن ، ربما نوع من الملل . وعلى الرغم من أنها فى حالة حركة ونشاط دائمين ، إلا أنه لا يوجد شيء مميز فى حياتها ، فكل يوم يمر يشبه ما قبله ، وهى لا تستطيع التمييز بين الأيام التى تمر بها . وفى إحدى المرات ، منذ عام حاولت تذكر آخر شيء قامت به بتلقائية ولكنها لم تستطع تذكر أى شيء .

ومرت الشهور الأولى بعد الطلاق قاسية ، ثم بعد ذلك تلاشى الغضب الذى كانت تشعر به نحو ديفيد وكيف أنها كانت تريد أن تجعله يدفع ثمن الجرم الذى ارتكبه . ولكن كل ما كانت تشعر به هو الأسف والندم عما آل إليه حالها ، وحتى وجود كفيفين بجوارها لم يقلل من شعور الوحدة الذى كانت تشعر به . وكانت هناك أوقات قليلة تمر بها ، كانت لا تنام خلالها إلا ساعات قليلة . وفى أحيان أخرى كانت تغادر مكتبها وتتجه إلى سيارتها وتنخرط فى البكاء لفترة . والآن وبعد مرور ثلاث سنوات ، لم تكن تدري إذا ما كان يمكنها أن تحب شخصاً آخر وترتبط به مثلما أحبت ديفيد . فحينما رأت ديفيد لأول مرة فى حفل حينما كانت بالسنة الأولى بالجامعة كانت نظرة واحدة إليه كفيلة بأن تجعلها تدرك أنها ترغب فى أن تقضى معه بقية حياتها ، حيث بدأ حبيبها حينئذ ذا شخصية طاغية وقوية ، كم كانت ترقد فى فراشها مستيقظة طوال الليل وهى تفكر فيه ، وحينما كانت تسير فى الحرم الجامعى ، كانت الابتسامة ترسم دائماً على شفثيها ، حتى إن الآخرين كانوا يبتسمون لمراها .

ولكن هذا النوع من الحب لا يدوم ، أو على الأقل كان الأمر كذلك بالنسبة لها . فلقد تغيرت علاقتهما بمرور السنين ، كبرت هى وديفيد وازداد ابتعادهما ، ولم يكن بوسعها أن تتذكر الأشياء التى

جذبت كل منهما إلى الآخر فى البداية . وبالعودة إلى الوراء ، أدركت تريسا أن ديفيد قد أصبح شخصاً مختلفاً عما ألفتته ، على الرغم من أنها لا تستطيع تحديد بداية هذا التغيير . وحينما تخبو شعلة الحب بين أى زوجين يمكن أن يحدث أى شيء ، وذلك ما حدث بالفعل مع ديفيد ، فلقد تعرف على امرأة أخرى ، وتعددت بينهما اللقاءات فى الأماكن العامة وتوثقت العلاقة بينهما .

ولكن ما كان يزعجها فى الأمر كله هو أنها كانت تفتقده فى بعض الأحيان ، أو على الأقل تفتقد الجانب الإيجابى فى شخصيته . فلقد تعودت على حياتها مع ديفيد وألفتها تماماً كالفراش الذى كانت ترقد عليه لسنوات ، فلقد تعودت أن يكون فى حياتها شخص آخر تتحدث معه وتستمتع إليه وأن تستيقظ صباح كل يوم على رائحة القهوة التى يقوم بإعدادها . لقد افتقدت بحق وجوده بجوارها ، وافتقدت معه أشياء كثيرة ، ولكن أكثر ما كانت تفتقده هو علاقة الود والحب التى كانت سائدة بينهما .

لم يكن كفيف فى سن تسمح له بأن يتفهم كل ذلك . وعلى الرغم من أنها كانت تحبه بعنف إلا أنه بالطبع لم يكن هو هذا النوع من الحب الذى ترغب فيه الآن ، فلقد كانت مشاعرها تجاه ابنها مشاعر أمومة ، وهى أصدق مشاعر فى الوجود . هى معتادة حتى الآن وهو فى هذه السن ، على أن تتسلل إلى غرفته بعد أن يغط فى النوم وتجلس بجواره لتطيل النظر إليه ، وكان يبدو على وجهه أمارات الوداعة والبراءة وهو نائم . كان وجهه جميلاً هادئاً وهو يضع رأسه على الوسادة ملتقاً بالأغطية . وعلى الرغم من أنه كان مفعماً بالنشاط والحيوية طوال النهار إلا أنه كان هادئاً ساكناً وهو نائم بالليل . وكان يجعلها تسترجع أيام ما كان طفلاً رضيعاً ، إلا أن هذه المشاعر الرائعة لم تغير من حقيقة أنها لا تزال تشعر بوحدة

شديدة ، وأنها بمجرد أن تغادر غرفته ، تهبط إلى الردهة لتتناول كوباً من العصير وليس بصحبته سوى قطتها هارفي .

إنها لا تزال تحلم بأن تقع في الحب من جديد ، وأن تجد الشخص الذي يحنو عليها ، وأن يأخذها بين ذراعيه ، وأن يمنحها الحب ، ويشعرها بأهميتها في حياته . ولكن كان هذا صعب المنال إن لم يكن مستحيلاً وهو أن تصادف شخصاً نبيلاً . إن معظم الرجال الذين تقابلهم في حياتها في العقد الرابع وغالباً ما يكونون متزوجين بالفعل ، أما الذين قد انفصلوا عن زوجاتهم فكانوا يبحثون عن نساء أصغر في السن يستطيعون تشكيلهن كما يحلو لهم . ولم يتبق سوى الرجال الأكبر سناً ، وعلى الرغم من أنها كانت تعتقد أنه من الممكن أن تحب شخصاً أكبر منها في السن إلا أنها كانت قلقة على ابنها ، فهي ترغب في شخص يعامل كيفن معاملة حسنة كوالده تماماً ، وأن يعامله كأب وليس مجرد أنه ابن المرأة التي يهواها . ولكن الحقيقة أن هؤلاء الرجال لديهم أولاد بالغون ، ولم يرحب الكثير منهم بتنشئة صبي في سن المراهقة ، ولقد صارحها أحدهم بجفاء ذات مرة بقوله : " لقد أدبت واجبي بالفعل " وكانت هذه نهاية العلاقة بينهما .

إنها تعترف أنها تفتقد الحياة الزوجية التي يسودها الحب والتفاهم والمشاركة والثقة المتبادلة . إنها لم تلتق بأى رجل منذ انفصالها عن ديفيد ، لم يكن صعباً بالطبع أن تتزوج مرة أخرى بأى شخص . فلقد كانت امرأة جميلة وتتمتع بقدر كبير من الجاذبية . وهي تصادف رجالاً كثيرين في حياتها ، ولكنها لم تجد الشخصية المناسبة لها ، إن الزواج بحق علاقة مهمة ، ولم تكن ترغب في أن تتزوج لمجرد الزواج فقط إنما أن تتزوج من شخص يمنحها الحب والتفاهم . وها هي الآن تقضى إجازتها بمفردها في كيب كود ،

دون أن يلوح في الأفق الشخص المناسب . وقد كانت ترغب في القيام ببعض الأشياء هذا الأسبوع من أجل متعتها ، كأن تقرأ بعض الكتب ، وأن تتناول بعض الأطعمة الشهية في هدوء دون الضوضاء التي يصدرها التلفاز ، وأن تكتب بعض الخطابات لأصدقائها الذين لم تصلها عنهم أى أخبار منذ فترة ، وأن تنام في وقت متأخر وتأكل كثيراً وتترىض في الصباح المبكر قبل استيقاظ أى فرد ، حتى لا يفسد أحد عليها متعتها ، لقد كانت تريد أن تنعم بالحرية ولو حتى لفترة قصيرة من الوقت .

كانت تريد أن تذهب للتسوق أيضاً هذا الأسبوع ، ولكنها تريد الذهاب إلى المتاجر الصغيرة التي تباع بأسعار زهيدة ، والتي يجدها كيفن مملة وليس إلى المتاجر الغالية التي تباع الماركات العالمية . كانت ترغب أيضاً في أن تبتاع بعض الملابس الجديدة حتى تشعر بأنها لا تزال صغيرة وممتلئة بالحيوية والنشاط . وقد تقوم أيضاً بتصفيف شعرها بطريقة مختلفة ، فهي لم تفعل ذلك منذ سنوات وقد سئمت من الظهور بنفس الشكل كل يوم . ربما إذا طلب أحدهم الخروج معها ، فقد تفكر في ارتداء الملابس الجديدة وتصفيف شعرها .

غمرها الشعور بالتفاؤل ، وراحت تنظر حولها لترى إذا ما كان الرجل الذي كان يرتدى السروال المصنوع من الجينز لا يزال واقفاً عند الشاطئ ، ولكنها لم تجده . فقد ذهب بهدوء مثلما جاء . وكانت هي الأخرى تستعد للذهاب وقد تصلبت قدمها من المياه الباردة . كان ارتداء الحذاء أصعب مما توقعت ، ولأنه لم يكن بحوزتها أى منشفة ، فقد ترددت لدقيقة قبل أن ترتدى جوربيها . ثم فجأة قررت أنه ليس هناك داع لكل هذا ، فهي في إجازة

تمضيها على شاطئ البحر ، لذا فهي ليست بحاجة إلى ارتداء أى حذاء أو جوارب .

حملتهما فى يديها وهى فى طريق عودتها إلى المنزل ، وسارت بالقرب من حافة المياه . وقع بصرها على صخرة كبيرة نصفها مدفون فى الرمال وكانت تبعد بوصات قليلة عن المياه ، وخطر لها أنها لم تكن موجودة هنا من قبل .

وعندما اقتربت منها لاحظت أنها مختلفة عن باقى الصخور ، فقد كانت ملساء طويلة . ولما اقتربت أكثر ، أدركت أنها ليست صخرة ، وإنما هى زجاجة ، لا بد أن أحد السائحين أو أحد المراهقين الذين يأتون إلى هذا المكان فى المساء قد ألقتها . فنظرت حولها ورأت سلة مهملات بجوار البرج الذى يجلس فيه حارس الإنقاذ ، فقررت أن تأخذ الزجاجة وتلقى بها فى السلة . وعندما بلغتها ، أصابتها الدهشة لأنها وجدت أن لها سداة من الفلين ، فالتقطتها ، وحملتها بين يديها وهنا لاحظت أن هناك ورقة بداخلها ملفوفة بقطعة من الخيط .

شعرت للحظات أن قلبها يدق بعنف ، حيث أعادت تلك الزجاجة إليها إحدى الذكريات . فحينما كانت فى الثامنة من عمرها وكانت تقضى إحدى العطلات فى فلوريدا بصحبة والديها ، قامت هى وفتاة أخرى بإرسال خطاب عبر البحر ولكنها لم تتلق أى رد ، فقد كان خطاباً بسيطاً ، خطاباً كتبه أطفال . ولكنها تتذكر جيداً أنها بعد عودتها من فلوريدا ، كانت تهرع كل يوم إلى صندوق البريد ، على أمل أن يكون قد عثر أحدهم على رسالتها ، وأرسل إليها رداً من المكان الذى استقرت فيه الزجاجة . وظلت هكذا لعدة أسابيع ولكنها لم تتلق أى رد ، وأصابتها خيبة الأمل . وشيئاً فشيئاً لم تعد تتذكر هذه الرسالة على الإطلاق ، ولكن الزجاجة التى

عثرت عليها قد أعادت هذه الذكرى إلى مخيلتها مرة أخرى . من التى كانت بصحبتها فى هذا اليوم هل كانت فتاة فى مثل عمرها ؟ ... تراسى ؟

... لا ... ستاسى ؟ نعم ! لقد كان اسمها ستاسى ، لقد كانت فتاة شقراء ... وكانت تقضى الصيف مع جدها وجدتها و ... و ... وعند هذه النقطة لم تذكر أى شىء آخر ، وحاولت أن تذكر ولكنها لم تفلح فى ذلك .

أخذت تنزع السداة ، وهى تتوقع أن تكون نفس الزجاجة التى أرسلتها ، على الرغم من أن ذلك مستحيل ، قد تكون هذه مجرد زجاجة أرسلها طفل آخر . وإذا كانت هذه الرسالة تتطلب رداً ، فسوف تقوم بإرساله ، وقد ترسل معه هدية صغيرة من كيب بالإضافة إلى بطاقة بريدية أيضاً .

كانت الزجاجة محكمة الغلق بالسداة ، وكانت أصابعها تنزلق وهى تحاول أن تفتحها . ولم تكن تستطيع إحكام قبضتها جيداً على الزجاجة ، فأخذت تغرز أظافر أصابعها القصيرة فى الجزء البارز من السداة وأخذت تلفها ببطء ، ولكن لم تستطع فتحها . فأخذت تحاول مرة أخرى ، ووضعت الزجاجة بين قدميها حتى يمكنها التحكم أكثر ، وحينما بدأت تياس من فتحها ، تزحزحت السداة قليلاً . فأخذت تحاول فتحها مجدداً ، وإعادتها بين أيديها ، وأخذت تلفها مرة أخرى ببطء ... وفجأة انفتحت الزجاجة . وسقط الجزء المتبقى من السداة .

قامت بقلب الزجاجة لأسفل ، وأصابتها الدهشة حينما سقطت الرسالة على الرمل بجوار قدميها مباشرة . وعندما انحنى لتلتقطها ، لاحظت أنها ملفوفة بعناية ، ولهذا سقطت بسهولة على الرمال .

٢٢ يوليو ، ١٩٩٧

حبيبتي الغالية كاثرين

إننى أفتقدك بشدة يا عزيزتى ، وسأظل أفتقدك دوماً ،
ولكننى أشعر نحوك اليوم باشتياق شديد . فلقد ترامى إلى
مسامعى صوت المحيط وهو يغنى . أتعلمين ماذا كان يقول ؟
إنه يتغنى بقصتنا وحياتنا معا ، إننى أكاد أشعر بطيفك
بجانبي وأنا أكتب هذا الخطاب ، وأشم عبير الزهور البرية
التي تذكرنى بك ، ولكن لم تعد هذه الأشياء الآن تمنحني
نفس الشعور بالسعادة . فلم يعد طيفك يزورنى كثيراً ،
وأشعر بأن حياتي تتسرب ببطء من بين يدي .

إننى أحاول جاهداً أن أحيى بدون أن أراك أمامي . وعندما
يحل المساء ، وأكون وحيداً ، أهتف باسمك ، ولا تغيبين عن
ذهنى لحظة واحدة ، حتى عندما يشتد بي الألم . لقد رأيتك
فى أحلامى ليلة أمس ، وأنت تقفين عند مرفأ شاطئ
رايتسفيل .

كانت الرياح تهب وتداعب شعرك ، وعيناك تعكس أشعة
الشمس لحظة الغروب . ولقد بهرنى جمالك وأنت مستندة
على سور المرفأ ، فإنك رائعة الجمال ، ولا أرى أى
أحد يضاھيك جمالاً . واتجهت نحوك ببطء ، وحينما
استدرت نحوى ، رأيت الآخرين يمعنون النظر إليك أيضاً ،
ويتهامسون وقد أحرقتهم الغيرة : هل تعرفها ؟ ، وحينما
لاحت فى عينيك ابتسامة ، أجبتهم بصدق : " أعرفها أكثر
من روحى " .

ولما دنوت منك ، توقفت ، وضممتك بين ذراعى ، لكم
تاقت روحى إلى تلك اللحظة أكثر من أى شيء آخر . وعندما

أخذت تفك الخيط الملفوف حولها بعناية ، وأول شيء لفت
انتباهها حينما قامت بفض الرسالة هو نوعية الورق . فلم يكن من
هذا النوع الذى يستخدمه الأطفال ، ولكنه كان ورقاً غالى الثمن ،
كثيفاً ومقوى . كانت هناك صورة لسفينة مبحرة على الجانب الأيمن
العلوى من الخطاب وبدت الورقة المكتوبة عليها الرسالة متغضنة ،
كما لو أنها قد ألقيت فى المياه منذ مئات السنين .

حبست أنفاسها من فرط الإثارة ، فقد تكون رسالة قديمة ،
ربما ، فهناك العديد من الروايات عن بعض الزجاجات التي ظهرت
على سطح المياه بعد مئات السنين . فربما يكون هو الحال مع هذه
الزجاجة ، ويكون قد ألقاها أحدهم منذ مئات السنين ، ولكنها
حينما أمعنت النظر فى الكتابة فى الطرف الأيسر على الرسالة رأت
التاريخ .

٢٢ يوليو / ١٩٩٧

إنه لم يمر عليها سوى ثلاثة أسابيع أو أكثر .

ثلاثة أسابيع ؟ فقط ؟

نظرت إليها بتفحص ، كانت رسالة طويلة ، فلقد كانت
الكتابة تملأ الورقة من الأمام ومن الخلف ، ولم يكن يبدو أنها
تتطلب أى رد عليها من أى نوع . وبنظرة سريعة أدركت أن الرسالة
لم يكن مكتوباً عليها أى عنوان أو رقم تليفون ، وتوقعت أن يكون
هذا مكتوباً داخل الرسالة نفسها .

شعرت بفضول شديد وهى تمسك بالرسالة أمامها ، وعلى ضوء
شمس نيو إنجلاند الساطعة شرعت تقرأ الرسالة التى ستغير مجرى
حياتها تماماً .

ولكن سرعان ما غاب مرآك ، واختفى الضباب من حيث أتى
من مكان بعيد ، وبقيت وحيدا ولم أبال بما يقوله الآخرون
عنى ، فقط حنيت رأسى وأخذت أبكى وأبكى وأبكى .

جاريت

أخذتني أنت بين ذراعيك لم أشعر بالوجود من حولي ، ولم
أفكر فى أى شىء آخر إلا فى هذه اللحظة .

ورفعت يدي لألمس وجنتك الرقيقة فحنيت رأسك وأغلقت
عينيك ، وكانت بشرتك أرق من أن تتحمل ملمس يدي .
وتساءلت إذا ما كنت ستتراجعين ولكنك لم تفعلى ، وأدركت
أنك كل هدفى فى هذه الحياة .

لا هدف لى فى الحياة سوى أن أحبك ، وأن أضمك بين
ذراعى ، وأحميك . إننى أريد أن أحيا بجوارك لكى أتمتع
بحبك . إننى هنا لأنه لا يوجد مكان لى سوى أن أكون
بجوارك .

ثم بدأ الضباب يتكاثف من حولنا ونحن نقف بالقرب من
بعضنا البعض . لقد برز الضباب فى الأفق ، وكان الخوف
ينتابنى كلما اقترب منا أكثر . وبدأ فى الزحف حتى ملأ
المكان من حولنا ، كما لو كان يمنعنا من الهروب . حتى غمر
الضباب كل شىء سوانا .

ولقد احتبست الكلمات فى حلقي ، واغرورقت عيناي
بالدموع لأننى أيقنت أنه حان وقت رحيلك . كانت صورتك
ماثلة أمامى طوال الوقت ، ولقد شعرت بمدى حزنك
ووجدتى . وبمجرد أن ابتعدت ، ازداد الألم الذى كنت أشعر
به فى قلبى ، والذى ظل ساكناً لفترة قصيرة . وفجأة مددت
ذراعيك ، وخطوت خطوة للوراء وسط الضباب لأنه مكانك
وليس مكانى . كم تمنيت أن أذهب معك ، فما كان منك إلا أن
حركت رأسك ؛ لأن كلينا يعلم أن ذلك مستحيل .

لقد شاهدتك بقلب ممزق ، وأنت تختفين وسط الضباب ،
ووجدتني أتذكر كل شىء عن هذه اللحظة ، وكل شىء عنك .

قالت ديانا وقد بدت علامات الارتياح على وجهها : " آه ...
حسناً لقد خُيل لي أنه قد وقع لك مكروه ، كأن يكون قد هاجمك
أحدهم أو ما شابه " .

أزاحت تريسا بضع شعيرات كانت قد سقطت على وجهها
وابتسمت لقول ديانا . وقالت : " لا ، كل ما حدث هو أنني قد
تأثرت لقراءة هذه الرسالة ، أعلم أن ذلك مبالغة مني . لا يجب
عليّ أن أكون عاطفية إلى هذا الحد ، وأعتذر إذا ما كنت قد سببت
لك أية قلق " .

قالت ديانا : " لا داعي لاعتذارك على الإطلاق ، إنني فقط
سعيدة لأنك بخير " وصممت للحظة ، ثم أردفت قائلة : " لقد
ذكرت لتوك أن الخطاب جعلك تبكين ؟ لماذا ؟ ماذا كتب فيه ؟ "
حققت تريسا دموعها ، وأعطت الخطاب لـ " ديانا " ،
وانتهت نحو المائدة المصنوعة من الحديد التي كانت تجلس عليها
ديانا ، وهي لا تزال تسخر من نفسها لأن الرسالة قد أبكتها ،
وحاولت بقدر الإمكان أن تتمالك نفسها .

أخذت ديانا تقرأ الخطاب على مهل ، وحينما انتهت من
قراءته ، رفعت عينيها نحو تريسا ، وكانت الدموع تترقرق
فيهما ، فلم تكن هي الوحيدة التي تأثرت على أية حال .
قالت ديانا أخيراً : " إنه ... إنه رائع ، إنه من أرق ما
قرأت " .

قالت تريسا : " هذا رأيي أيضاً " .
قالت ديانا : " وهل وجدت هذه الزجاجاة على شاطئ البحر ،
وأنت تركضين ؟ "
أومأت تريسا بالإيجاب

الفصل الثاني

سألت ديانا ، تريسا وهي تخطو داخل حديقة المنزل الخلفية
قائلة : " أكنت تبكين ؟ " ، وكانت تريسا تحمل الزجاجاة حيث
نسيت في خضم انفعالها أن تلتقي بها .

شعرت تريسا بالحرج وأخذت تجفف دموعها ، بينما طوت
ديانا الجريدة جانباً وهبت من مقعدها . وعلى الرغم من أنها كانت
بدينة - وهكذا كانت منذ أن عرفت تريسا - إلا أنها دارت بسرعة
حول المائدة ، واكتسى وجهها بالقلق الشديد واصطدمت بأحد
المقاعد ، وهي تتجه نحوها وتمسك بيدها وقالت لها : " هل أنت
على ما يرام ؟ ما الذي حدث بالخارج ؟ هل أصابك أذى ؟ "
فهزت تريسا رأسها بالنفي وقالت : " لا ، لم يحدث شيء
كهذا ، لقد عثرت فقط على هذا الخطاب ، ولم أتمالك نفسي من
البكاء بعد قراءته " .

قالت ديانا وهي تلوح بيدها الأخرى : " خطاب ؟ أي
خطاب ؟ هل أنت واثقة من أنك على ما يرام ؟ "
همست قائلة : " إنني بخير ، لقد عثرت على هذه الرسالة في
الزجاجاة . وقد كانت الزجاجاة ملقاة على شاطئ البحر ، وحينما
قمت بفتحها وقراءتها ... "

قالت ديانا : " لا أعرف كيف وصلت هذه الرسالة إلى هنا ، فالخليج منفصل عن بقية المحيط . وإننى لم أسمع من قبل عن شاطئ رايتسفيل " .

قالت ديانا : " ولا أنا أيضاً ، ولكن يبدو أنها وصلت إلى هنا فى الليلة الماضية ، فإننى لم ألاحظها من قبل " .

تحسست ديانا الكتابة بأصابعها وصمتت لبرهة ، ثم قالت : " ترى من يكونان ؟ ولماذا وضعت هذه الرسالة فى الزجاج ؟ "

قالت تريسا : " لا أعلم "

قالت ديانا : " ألم ينتابك الفضول لمعرفة السبب ؟ "

فى حقيقة الأمر ، كان ينتاب تريسا فضول شديد ، وبعدها انتهت من قراءة الرسالة ، شرعت فى قراءتها مرة ثانية ، وأعدت قراءتها للمرة الثالثة ، وأخذت تحدث نفسها ، ماذا يحدث لو وجدت شخصاً يمنحها كل هذا الحب ؟

وأجابت تريسا : " إلى حد ما ، ولكن ماذا بعد ؟ ليس بمقدورنا أن نعرف شيئاً عن أصحاب الرسالة " .

قالت ديانا : " إذن ، ماذا ستفعلين بها ؟ "

أجابتها تريسا : " أعتقد أننى سأحتفظ بها ، فإننى لا أهتم بها إلى هذا الحد " .

قالت ديانا وهى تبتسم فى غموض : " ممم ، هل استمتعت بالجرى ؟ "

ارتشفت تريسا بعضاً من العصير الذى كانت قد صبته لنفسها وقالت : " نعم ، ولكن الشمس كانت شديدة الحرارة ، وبدا وكأن العالم كله متوهج " .

قالت ديانا : " هذا لأنك كنت تشعرين بالدوار بسبب نقص الأكسجين ، فالركض يسبب لك هذا " .

ابتسمت تريسا قائلة : " إذن ، فلن ترافقنى هذا الأسبوع " . مدت ديانا يدها لتمسك بقدر القهوة ، ولاحت فى عينيها نظرة تردد وقالت : " لا أعتقد هذا ، فتمريناتى الرياضية تقتصر على تنظيف المنزل فى نهاية الأسبوع ، ولا أتخيل نفسى وأنا أجرى وألتقط أنفاسى بصعوبة ، أعتقد أنه يمكن أن أصاب بأزمة قلبية " .

قالت تريسا : " إن الجرى سيجعلك تشعرين بالحيوية والنشاط بمجرد أن تعتادى عليه " .

قالت ديانا : " قد تكونين على حق ، ولكننى لم أعد صغيرة فى السن وغيداء مثلك ، وعلى ما أذكر فالمرءة الوحيدة التى جريت فيها ، حينما كنت لا أزال طفلة وانطلق كلب الجيران يركض خلفى ، فكنت أجرى بكل ما أوتيت من قوة ، وظللت أتصيب عرقاً ، وكدت أموت من شدة الخوف " .

فانفجرت تريسا فى الضحك بصوت عال وقالت : " ماذا لدينا اليوم ؟ "

أجابت ديانا : " أعتقد أنه يمكننا أن نذهب لنتسوق قليلاً ، ونتناول طعام الغذاء فى المدينة ، هل يروق لك هذا ؟ "

قالت تريسا : " ذلك ما كنت سأقترحه عليك " .

وأخذت المرأتان تتحدثان عن الأماكن التى يمكن أن تذهبا إليها ، ثم نهضت ديانا ودخلت إلى المنزل من أجل إعداد قرح آخر من القهوة ، وأخذت تريسا تتطلع إليها وهى تدلف إلى الداخل .

كانت ديانا فى الثامنة والخمسين من عمرها ، ذات وجه مستدير ، وقد أخذ الشيب يتسلل إلى شعرها . وكان شعرها قصيراً ، وكان أسلوب اختيارها لملابسها لا يميل إلى البهجة ، وكانت تريسا تعتبرها من أفضل الأشخاص الذين صادقهم فى حياتها . كانت على قدر عال من المعرفة بالموسيقى والفن ، كما

كانت ناجحة في عملها ، ودائماً ما ينبعث من مكتبها صوت أسطوانات موتسارت " و " بيتهوفن " وسط ضجيج مكاتب الجريدة . وكانت تعيش في عالم من التفاؤل والمرح ، كانت محط إعجاب كل من يعرفها عن قرب .

عادت ديانا واتجهت نحو المائدة ، وجلست على أحد المقاعد وأخذت تنظر عبر الخليج وهي تقول : " أليس هذا من أجمل الأماكن وأروعها ؟ "

أجابتها تريسا : " نعم ، وإننى جد سعيدة لدعوتك إياى " .
قالت ديانا : " إنك كنت بحاجة إليها ، لقد كنت ستشعرين بوحدة شديدة إذا ما مكثت بشقتك " .

قالت تريسا : " تبدين وكأنك أُمى " .
" سأعتبر هذه مجاملة " .

مدت ديانا يدها عبر المائدة وأمسكت بالرسالة مرة أخرى ، وارتفع حاجباها في دهشة وهي تقرأ الرسالة ، ولكنها لم تتفوه بحرف واحد ، واعتقدت تريسا أن الرسالة قد جعلتها تتذكر شيئاً ما .

قالت تريسا : " بم تفكرين ؟ "
فقالت بهدوء : " إننى فقط أتساءل " .
" عن ماذا ؟ "

قالت ديانا : " لقد كنت أفكر في هذه الرسالة حينما كنت بالداخل ، وكنت أتساءل إذا كان بإمكاننا الحديث عن هذه الرسالة في العمود الذى تكتبينه هذا الأسبوع " .

قالت تريسا : " عم تتحدثين ؟ "
اتكأت ديانا على المنضدة وقالت : " إننى أقول إنه يمكننا أن نعرض هذه الرسالة فى العمود الذى تكتبينه هذا الأسبوع ، وإننى

على ثقة من أنه سيلاقى إعجاب الكثيرين وسيودون قراءته . ففى اعتقاده أنه شيء غير مألوف ، فالناس بحاجة إلى أن تقرأ شيئاً كهذا بين الحين والآخر . وهذه الرسالة رومانسية ومؤثرة ، إننى أتخيل بعض النساء وهن يقمن بانتزاعها من الجريدة ، ويقمن بلصقها على ثلاجاتهن حتى يراها أزواجهن عند العودة من عملهم " .

قالت تريسا : " ولكننا لا نعرف من هم أصحاب الرسالة ، ألا توافقينى أنه يجب علينا أن نأخذ موافقتهم أولاً ؟ "

قالت ديانا : " هذه هى المشكلة ، فإننا لا نستطيع ذلك ، ولكن يمكننى أن أتحدث إلى محامى الجريدة ، ولكننى على ثقة من أن ذلك إجراء قانونى سليم ، وعلى كل فإننا لن نستخدم أسماء الأشخاص الحقيقية ، وطالما أننا لا نتقاضى أى مبالغ مقابل نشرها ولن نفصح عن مصدرها ، فلن تكون هناك أية مشكلة " .

أجابت تريسا : " أنا أعلم أن هذا الإجراء قد يكون قانونياً ، ولكننى لست على ثقة إذا ما كان هذا من اللائق أم لا ، أعنى أن هذه الرسالة خاصة جداً ، فهل يحق لنا أن ننشرها على الملأ ويقراها كل فرد ؟ "

أجابت ديانا : " إنها قصة ستثير اهتمام الجميع من الناحية الإنسانية ، فالناس يا تريسا يميلون إلى هذا النوع من القصص ، بالإضافة إلى أنها لا تمثل مصدر حرج لأى شخص ، وتذكرى أن هذا الشخص الذى يدعى جاريت قد وضعها فى زجاجة ، وألقى بها عبر المحيط ، ومن المفترض أنه يدرك جيداً أنها ستطفو وتظهر فى أى مكان " .

هزت تريسا رأسها قائلة : " لا أعرف يا ديانا ولكن ... "

قالت ديانا : " فكري بالأمر جيداً ، ففي اعتقادي أنها فكرة جيدة " .

وبالفعل أخذت تريسا تفكر في الرسالة وهي تغير ملابسها لتغتسل ، وتتساءل عن جاريت الذي قام بكتابة هذه الرسالة ، وإذا كان هذا هو اسمه الحقيقي ومن تكون كاثرين ؟ أهى حبيبته أم زوجته ، من الواضح أنها ليست بجواره . هل توفيت أم حدث شيء فرق بينهما ؟ ولماذا وضع الرسالة في زجاجة وألقى بها ؟ فالأمر كله جد عجيب . وسيطرت عليها حاستها الصحفية ، وفجأة طرأ على ذهنها خاطر وهي أن هذه الرسالة قد لا تعنى شيئاً على الإطلاق ، وقد يكون صاحبها أراد أن يكتب رسالة غرامية فحسب ولم يكن هناك أحد ليرسلها إليه . وقد يكون من أرسلها أراد أن يشعر بالمتعة لمجرد أن يجعل النساء اللاتي يشعرن بالوحدة يبكين عند قراءتها على الشواطئ البعيدة . ولكن حينما أخذت تسترجع كلمات الرسالة مرة أخرى ، أدركت أن هذه الاحتمالات بعيدة ، فالرسالة نابعة من القلب بحق ، وهي لم تصادف في حياتها وطوال هذه السنوات رجلاً كتب رسالة مؤثرة وصادقة كتلك الرسالة . فكل الرسائل الرومانسية التي تلقتها كانت غالباً مطبوعة بخط عريض ومزين على خطابات التهنية ، ولم يكن ديفيد يحسن الكتابة ولا كذلك أى رجل صادفته في حياتها . وأخذت تتساءل ، يا ترى كيف يكون هذا الرجل ؟ هل هو إنسان مخلص ومحب كما يبدو من الرسالة ؟

أخذت الأسئلة تتدافع في عقلها وهي تغسل شعرها والمياه الباردة تنهمر فوق جسدها ، ثم اغتسلت بالصابون المرطب وقطعة

من القماش . وقد استغرقت وقتاً أطول في الاغتسال هذه المرة ، ثم أخيراً غادرت حوض الاستحمام .

أخذت تنظر إلى نفسها في المرآة وهي تجفف جسدها ، فلم يكن جسمها شيئاً بالنسبة لامرأة في السادسة والثلاثين من عمرها ، ولديها صبي فى سن المراهقة . فلقد كان جسمها لا يزال ممشوقاً ، ولم يكن هناك أى ترهلات حول منطقة البطن بل كانت مشدودة . وكانت ساقها طويلتين وغير ممتلئتين ، وذلك بسبب التمرينات الرياضية التي كانت تؤديها طوال السنوات السابقة . ولم تكن هناك تجاعيد كثيرة حول العينين ، باختصار ، كانت فى منتهى الرضا والسعادة بمظهرها هذا الصباح ، وكانت تعزى هذا الشعور بالرضا عن نفسها إلى كونها فى إجازة .

وبعد أن قامت بوضع بعض مساحيق التجميل على وجهها ، ارتدت سروالاً قصيراً ذا لون بنى فاتح وقميصاً أبيض دون أكمام ، وخفياً بنى اللون ، وذلك لأن حرارة الطقس سرعان ما سترتفع وسترتفع وكذلك أيضاً نسبة الرطوبة وهي تبغى أن تشعر بالراحة وهي تتجول فى بروفينس تاون ، ومدت بصرها عبر نافذة دورة المياه ، ولاحظت أن حرارة الشمس بدأت فى الاشتداد ، وأيقنت أنه يجب أن تستعمل واقياً من الشمس لأنها إذا لم تفعل ذلك ، فسيلتهب جلدها ، ولقد تعلمت من التجربة أن حروق أشعة الشمس من أكثر الأشياء التي يمكن أن تُفسد أى رحلة على الشاطئ .

كانت ديانا قد أعدت طعام الإفطار خارج المنزل ، وكان مكوناً من الكانتالوب والجريب فروت وبعض اللفائف . وبعد أن اتخذت مجلسها ، أخذت تضع فوقها بعضاً من الجبن قليل الدسم . كانت ديانا تتبع أحد أنظمة الحمية التي لا تنتهى مرة أخرى . وجلست المرأتان تتحدثان لفترة طويلة ، وكان بريان بالخارج يمارس رياضة

الجولف ، وكان عليه أن يمارس هذه الرياضة فى الصباح الباكر ؛ لأنه يتبع نظاماً علاجياً ، وقالت ديانا إن هذه الأدوية يمكن أن تؤذى جلده إذا ما أمضى وقتاً طويلاً تحت أشعة الشمس .

مضى على زواج بريان وديانا ستة وثلاثين عاماً ، حيث كانا قد تزوجا فى فصل الصيف الذى أعقب سنة تخرجهما ، وبعد أن التحق بريان مباشرة بوظيفة فى شركة محاسبة بمدينة بوسطن . بعدها بثماني سنوات ، أصبح بريان شريكاً فى هذه الشركة ، واشترى منزلاً واسعاً فى بروكلين ، حيث عاشا وحيدين معاً خلال الثماني وعشرين سنة الماضية .

كانا يرغبان فى أن ينجبا أطفالاً ، ولكن بعد مرور ست سنوات على زواجهما ، لم يحدث حمل . وذهبا إلى طبيب أمراض نساء ، وعلمتا أن هناك انسداداً فى قناتى فالوب عند ديانا ، وأنه من المستحيل حدوث حمل . ثم حاولا بعد ذلك تبني طفل ولكن قائمة الانتظار كانت طويلة ولا تنتهى . وفى النهاية فقدوا الأمل أيضاً فى ذلك . ثم بعد ذلك اعترفت ديانا لـ " تريسا " أن زواجهما على وشك الانهيار ، ولكن على الرغم من ذلك كانت علاقتهما راسخة ، ثم حاولت ديانا بعد ذلك أن تعمل لتتلاءم الفراغ فى حياتها ، فبدأت حياتها العملية فى جريدة بوسطن تايمز ، على الرغم من أنه كان من النادر أن تلتحق السيدات بوظائف هناك ، وشيئاً فشيئاً ، ارتقت السلم الوظيفى ، وعندما أصبحت رئيسة للتحريير بعد مرور عشر سنوات ، بدأت فى تعيين السيدات ، وكانت تريسا من أولى تلميذاتها .

بعد أن سعدت ديانا لتغتسل ، أخذت تريسا تتصفح الصحف ، ثم نظرت إلى ساعة يدها ، ونهضت من مجلسها واتجهت نحو الهاتف لتطلب رقم هاتف ديفيد . كان الوقت لا يزال مبكراً -

السابعة صباحاً فقط - ولكنها كانت تعلم أن العائلة كلها قد استيقظت فى هذا الوقت . فـ " كيفن " يستيقظ دائماً عند الفجر ، ولوهلة شعرت بالامتنان ، لأن هناك من يشاركها تلك التجربة الرائعة . وأخذت تقطع الغرفة جيئة وذهاباً ، وهى تستمع إلى رنين الهاتف فى الجهة الأخرى قبل أن تلتقط أنيت سماعة الهاتف ، وكان بإمكانها سماع صوت التلفاز وإلى بكاء طفل رضيع على الجانب الآخر من الهاتف .

قالت تريسا : " مرحباً ، أنا تريسا ، هل يمكننى التحدث إلى كيفن ؟ "

" آه ، مرحباً ، بالطبع يمكنك ذلك ، دقيقة واحدة " . وضعت أنيت سماعة الهاتف جانباً ، وسمعت تريسا صوتها وهى تنادى كيفن قائلة : " كيفن ، هناك مكالمة من أجلك ، إنها تريسا " .

ولقد آلمها أكثر مما توقعت أنها لم تقل له إن " أمك " على الهاتف ؛ ولكن لم يكن لديها من الوقت لكى تفكر فى الأمر ملياً . كان كيفن يلهث حينما التقط سماعة الهاتف ليحدثها ، وقال : " مرحباً يا أمى ، كيف حالك ؟ وكيف حال إجازتك ؟ وبمجرد أن سمعت صوته ، شعرت بوحدة شديدة . فلا زال صوته عالياً طفولياً بريئاً . ولكنها أدركت أن ذلك الشعور سيزول بمرور الوقت .

أجابته : " إنها رائعة ، ولكننى لم أصل إلى هنا إلا أمس ، ولم أفعل شيئاً سوى ممارسة الجرى هذا الصباح " .

قال كيفن : " هل كان هناك أناس كثيرون على الشاطئ ؟ " قالت : " لا ، ولكننى حينما انتهيت من العدو ، رأيت بعضهم قد بدأ يتجه إلى الشاطئ ، متى ستغادر أنت ووالدك ؟ "

قال : " فى غضون يومين ، فلن تبدأ عطلة قبل يوم الاثنين ، وهو اليوم الذى سنغادر فيه ، وهو الآن يستعد للذهاب إلى العمل للانتهاء من بعض الأعمال قبل سفرنا ، هل تودين التحدث إليه ؟ " قالت : " ليس هناك داع ، لقد اتصلت فقط لأطمئن عليك ، وأتمنى لك وقتاً طيباً " .

قال كيفن : " إن الرحلة ستكون رائعة ، لقد رأيت كتيباً يصف الرحلة النهريّة ، وقد بدت بعض منحدرات النهر رائعة " . عليك أن تأخذ حذرك " .

" إننى لم أعد صغيراً يا أمى " .

" إننى أعلم ، ولكن عليك أن تطمئن أمك القلقة " .

" أعدك يا أمى ، وسأرتدى سترة النجاة طوال الوقت " ، وصمت للحظة ، وأردف قائلاً : " كما تعلمين ، فلن يكون هناك أى هاتف متاح ، لذا فلن يمكننى محادثتك حتى أعود " .

" لقد توقعت ذلك ، ولكننى أعتقد أنها ستكون رحلة ممتعة " . " ستكون رائعة ، لكم وددت أن ترافقينا ، كنا سنمضى وقتاً رائعاً " .

أغلقت عينيها لوهلة قبل أن تجيب ، وهى حيلة علمها إياها طبيبها النفسى ، فحينما يذكر كيفن أى شىء يتعلق بثلاثتهم ، عليها أن تحاول أن تسيطر على نفسها ؛ حتى لا تتلفظ بأى شىء يمكن أن تندم عليه فيما بعد ، وحاولت أن تجعل صوتها يحمل قدراً من التفاؤل بقدر الإمكان وهى تقول : " إنك بحاجة أنت ووالدك أن تمضيا بعض الوقت معاً ، فأنا أعرف أنه يفتقدك كثيراً ، وهو أيضاً يتطلع مثلك إلى هذه الرحلة بشدة " لقد خرجت تلك العبارة بمنتهى السهولة .

" هل أخبرك بذلك ؟ "

" نعم ، عدة مرات " .

وصمت كيفن

ثم قال : " سأفتقدك كثيراً يا أمى ، هل يمكننى أن أحادثك بمجرد عودتى ، لأقص عليك ما حدث أثناء الرحلة ؟ " أجابته : " بالطبع ، يمكنك أن تحادثنى فى أى وقت تشاء ، فإننى أريد أن أعرف كل شىء عن الرحلة ، إننى أحبك يا كيفن " . وأنا أيضاً يا أمى " .

أعادت سماعة الهاتف إلى مكانها ، وكانت مشاعرها خليطاً من السعادة والحزن فى آن واحد . ولكن هكذا كان الحال دائماً حينما كانت تتحدث إلى كيفن عبر الهاتف عندما يكون فى صحبة أبيه . فاجأها صوت ديانا من الخلف وهى تقول : " من كان على الهاتف ؟ "

وكانت تهبط درجات السلم وهى ترتدى قميصاً بلون جلد النمر ، وسروالاً قصيراً أحمر اللون ، وجورباً أبيض ، وحذاءً خفيفاً من ماركة ريبوك ، وكان مظهرها يقول : " إننى سائحة " ، وحاولت تريسا أن تسيطر على تعبيرات وجهها . " إنه كيفن ، لقد قمت بالاتصال به " .

" هل هو على ما يرام ؟ " ثم فتحت الخزانة ، وأخرجت منها كاميرا لتتماشى مع نوعية الملابس التى ترتديها .

قالت تريسا : " إنه بخير ، وسيافر فى غضون يومين " . قالت وهى تلف الكاميرا حول رقبتها : " عظيم ، علينا الآن أن نذهب للتسوق ، ونبتاع بعض الملابس ، وسوف نجعل منك امرأة جديدة " .

كان التسوق مع ديانا بمثابة اكتساب خبرة جديدة .
وبمجرد أن وصلنا إلى بروفينس تاون ، أمضت بقية الصباح
والساعات الأولى من الظهيرة في التجول بين العديد من المحلات .
ولقد اشترت تريسا ثلاثة فساتين جديدة ولباس بحر جديداً ، وذلك
قبل أن تأخذها ديانا إلى مكان يسمى نيتنجال ، وهو محل للملابس
النساء .

ولقد انبهرت ديانا بكل الملابس المعروضة ، ولكن ليس من
أجلها بالطبع وإنما من أجل تريسا ، ولقد اختارت بعض ملابس
النوم الناعمة الجذابة من أجل أن تقوم ديانا بقياسها ، وكانت تقول
لها : " إنها مثيرة للغاية " أو تقول لها من غير تفكير ودون أن
تبالى بوجود الآخرين : " إنك لم ترتدى هذه الألوان من قبل ،
أليس كذلك ؟ " ولم تستطع تريسا أن تتمالك نفسها من الضحك .
كانت تلقائية ديانا الزائدة عن الحد من أكثر الصفات التي تشد
تريسا إليها ، فلم تكن تهتم برأى الآخرين فيها ، وكم تمننت تريسا
أن تحذو حذوها .

وبعد أن قامت بشراء الملابس التي اقترحتها عليها ديانا ، فلقد
كانت في إجازة على أية حال ، أمضت وقتاً قصيراً في متجر
للأسطوانات . كانت ديانا تريد شراء آخر أسطوانة لهاري كونيك
والذي تصفه بأنه وسيم ، أما تريسا فقد ابتاعت أسطوانة لموسيقى
الجاز من أسطوانات جون كولتران . وحينما رجعتا إلى المنزل ،
وجدتا بريان يقرأ الجريدة في حجرة المعيشة .
قال لهما : " مرحبا ، لقد كان القلق يساورني ، كيف كان
يومكما ؟ "

أجابته ديانا : " لقد كان رائعاً ، لقد تناولنا طعام الغداء في
بروفينس تاون ، ثم ذهبنا للتسوق قليلاً ، هل استمتعت باللعب
اليوم ؟ "
" نعم ، وإذا كنت لم أخفق في تصويب آخر ضربتين ، لكنت
حققت ثمانين ضربة " .
" إذن عليك بالتدريب أكثر من ذلك ، حتى تحقق هذا
الرقم " .

فابتسم بريان وقال : " ألن تعاننى في ذلك ؟ "
قالت ديانا : " بالطبع لا " .
ابتسم بريان وهو يقلب أوراق الجريدة ، وكان ممتناً لأنه كان
سيقضى وقتاً أطول في التدريب هذا الأسبوع .
وعندما لاحظت ديانا أنه يريد أن يستأنف القراءة ، همست
لـ " تريسا " قائلة : " استمعى إلى نصيحتى ، اجعلى زوجك
يعمارس رياضة الجولف ، وسترين أنه لن يثير أية مشاكل " .

تركتهما تريسا بمفردهما طوال فترة الظهيرة ، وحيث إن الجو
كان دافئاً ، فقد غيرت ملابسها وارتدت اللباس الجديد الذي كانت
قد ابتاعته ، ثم أحضرت منشفة ، وكرسى بحر ومجلة ، ثم
اتجهت نحو الشاطئ .
أخذت تقلب صفحات المجلة ، وتقرأ بعض المقالات من هنا
وهناك . لم تكن في حقيقة الأمر تهتم بما يجرى في حياة الأغنياء
والمشاهير . وكانت وهي جالسة تسمع من حولها ضحكات
الأطفال ، وهم يسبحون في المياه ويملأون دلاءهم بالرمال . وكان
هناك بالقرب منها غلامان صغيران بصحبة رجل ، خمنت أنه
والدهما ، وكانوا يقومون ببناء قلعة من الرمال على الشاطئ . وكان

صوت تلاطم الأمواج هادئاً ، فطرحت المجلة جانباً ، وأغلقت عينيها وأخذت تعرّض وجهها للشمس .

كانت تريد أن تكتسب لوناً برونزياً حينما تعود إلى عملها ، وذلك لتبدو وكأنها قد قضت بعضاً من الوقت دون أن تفعل شيئاً أو تقوم بعمل ما . فقد كانت معروفة بأنها من النوع المستغرق في عمله طوال الوقت . فإذا لم تكن منهمكة في كتابة مقالها الأسبوعي ، فهي تعمل في المقالات الخاصة بطبعات يوم الأحد ، أو تقوم بالبحث عبر الإنترنت أو تقرأ خلال الجرائد الخاصة بتنمية الأطفال . وهي مشتركة في مجلات تربية الأطفال ، وكذلك في جميع مجلات الأطفال ، والمجلات الطبية ، وهي تقوم بتصفحها بانتظام ، وذلك من أجل البحث عن بعض الموضوعات التي تصلح للكتابة عنها .

كان العمود الذي تكتبه دائماً يحتوي على الجديد غير المتوقع ، وكان هذا هو أحد أسباب نجاحه . ففي بعض الأحيان كان يتضمن الرد على بعض الأسئلة ، وأحياناً أخرى يتناول أحدث المعلومات الخاصة بتربية الأطفال ، كما أنها تناولت موضوعات عديدة عن المتعة النابعة من تربية الأطفال ، وكذلك مساوئها . وقد تناولت أيضاً في كتابتها معاناة الأمهات اللواتي يقمن بتنشئة أطفالهن بمفردهن دون وجود الأب ، وهو موضوع كان يمس حياة الكثير من السيدات في بوسطن . وقد منحتها المقالات التي تكتبها شهرة في مجالها ، وعلى الرغم من أنه كان من المتع في بادئ الأمر أن ترى صورتها فوق المقال الذي تكتبه ، أو تتلقى دعوات لحضور حفلات خاصة ، إلا أنه لم يكن لديها متسع من الوقت لتستمتع بكل هذا . وهي تعد ذلك الآن ملمحاً طبيعياً من ملامح عملها ، ولم يعد يعنى الكثير بالنسبة لها في الوقت الحالي .

وبعد أن أمضت ساعة وهي تستمتع بأشعة الشمس ، شعرت تريبسا بحرارة شديدة واتجهت نحو المياه ، وأخذت تخوض فيها حتى وصلت المياه إلى منتصفها ، ثم قامت بالغطس تحت موجة صغيرة كانت آتية من على بعد . أنعشتها المياه الباردة ، وحينما رفعت رأسها لأعلى . وجدت رجلاً يقف بجوارها في الماء وكان يضحك .

قال لها : " إنها منعشة ، أليس كذلك ؟ " ووافقته بإيماءة من رأسها .

كان الرجل طويلاً وكان شعره أسود فاحماً كلون شعرها ، وللحظة تساءلت إذا ما كان يغازلها . ولكن سرعان ما أجاب الأطفال الذين كانوا يسبحون بجوارها في الماء على تساؤلها ، وذلك حينما نادوه بكلمة " أبي ! " وبعد أن أمضت عدة دقائق أخرى في الماء ، خرجت من المياه واتجهت نحو المقعد الذي كانت تجلس عليه ، وبدأ الناس في مغادرة الشاطئ ، فقامت بحمل أشيائها والعودة نحو المنزل .

عندما عادت إلى المنزل ، ووجدت بريان يشاهد رياضة الجولف في التلفاز ، وانهمكت ديانا في قراءة رواية تحمل على غلافها صورة لمحام شاب ووسيم ، ورفعت ديانا عينيها عن الرواية عندما شاهدت تريسا .

وقالت لها : " كيف كان يومك علي الشاطئ ؟ "

أجابتها تريسا : " لقد كان عظيماً ، كانت الشمس رائعة ، ولكنني كدت أصاب بالاختناق ، حينما كانت تغمرني الأمواج . " قالت ديانا : " وأنا أيضاً أشعر بذلك أحياناً ، ولا أعرف كيف يتحمل بعض الأفراد البقاء تحت المياه لأكثر من عدة دقائق . "

أخذت تريسا تعلق المنشفة على مشجب الباب وسألت ديانا قائلة : " كيف حال الكتاب ؟ "

فأدارت ديانا الكتاب ، وأخذت تمعن النظر في الصورة المطبوعة على الغلاف وقالت : " رائع ، إنها تذكرني بكيف كان بريان يبدو منذ عدة سنوات . "

فأخذ بريان يهمهم دون أن يحول عينيه عن التلفاز : " ماذا ؟ "

فأجابته ديانا قائلة : " لا شيء يا عزيزي ، إنني فقط كنت أسترجع الذكريات " ، ثم حولت انتباهها نحو تريسا وقالت لها بعينين تلمعان : " هل تودين لعب " جين ريمي " ؟ "

كانت ديانا تهوى ألعاب الورق من أى نوع ، وكانت مشتركة في ناديين من نوادي ألعاب الورق ، وكانت تلعب كل ألعاب الورق بمهارة شديدة كالمحترفين . ولكن لعبة " الجين ريمي " ، كانت الوحيدة التي تلعبها مع تريسا حينما تكونان في وقت الفراغ ، وذلك لأنها اللعبة الوحيدة التي يكون فيها أمام تريسا فرصة للفوز .

أجابتها تريسا : " بالطبع " .

وضعت ديانا الكتاب جانبا ، ونهضت من مقعدها ؟ وقالت : " تمنيت أن تقولى هذا ، فأوراق اللعب على المنضدة بالفعل في الخارج " .

قامت تريسا بلف المنشفة حول رداثها ، واتجهت إلى الخارج نحو المنضدة التي تناولا عليها طعام الإفطار في الصباح الباكر ، وتبعتها ديانا وهي تحمل زجاجتين من المشروبات الغازية ، منخفضة السعرات وجلست في قبالتها وهي تمسك بأوراق اللعب ، وأخذت تخلطها ، ثم نظرت إلى تريسا وقالت :

" لقد اكتسبت بعض اللون البرونزي ، لا بد أن الشمس كانت شديدة اليوم " .

أخذت تريسا تنظم أوراقها وقالت : " شعرت وكأنني كنت أخبز أمام أحد الأفران " .

" هل صادفت أى شخص يثير الاهتمام ؟ "

" لا ، فكل ما فعلته أنني جلست أقرأ ، وأسترخي تحت أشعة الشمس ، فكل فرد على الشاطئ كان يصطحب عائلته " .

" هذا شيء مؤسف " .

" لماذا تقولين ذلك ؟ "

" كنت أتمنى أن تصادفي شخصا مميزاً هذا الأسبوع " .

" إنك أنت هذا الشخص المميز " .

" إنك تفهمين ما أعنى جيداً ، إنني كنت أتمنى أن تصادفي رجلاً مناسباً هذا الأسبوع ، رجلاً تنبهرين به " .

نظرت إليها تريسا في دهشة وقالت : " ما الذى جعلك تثيرين هذا الموضوع الآن ؟ "

" قد يكون ذلك بسبب الشمس ، والمحيط والنسيم ، لا

أعرف ، وقد يكون بسبب الإشعاع الزائد المتسرب إلى عقلى " .

" إنني لم ألتفت إلى ذلك يا ديانا " .

" أبداً ؟ "

" ليس إلى هذا الحد ، على أية حال " .

" حسناً " .

قالت تريسا : " لا تضخمي الأمر إلى هذا الحد ، فلم يمر وقت

طويل منذ أن انفصلت عن زوجي " .

وضعت تريسا على المنضدة ستاً من أوراق الدينارى ، فقامت ديانا بالتقاطها قبل أن ترمى بثلاث أوراق من الأسباتى ، وكانت ديانا تتحدث بنفس لهجة أمها حينما تتناولان الموضوع ذاته .
قالت ديانا : " لقد مر ثلاث سنوات على انفصالك ، ألم يصادفك أى شخص أم أنك تخفين الأمر عنى ؟ "
" لا " .
" أبداً ؟ "

التقطت ديانا بعض الأوراق ، وقامت بإلقاء أربع من الأوراق التى تحمل القلوب .
أجابت تريسا : " أبداً ، ولكن كما تعلمين فإنه من الصعب أن ألتقى بأحد هذه الأيام ، فليس لدى الوقت الكافى لذلك " .
" إننى أعرف ذلك جيداً ، فأنا أعرف أنك لديك الكثير من المشاعر لتمنحيتها لشخص يستحقها ، وأنا على ثقة من أنك ستقابلينه فى يوم من الأيام " .
" إننى على ثقة من ذلك ، وكل ما فى الأمر هو أننى لم ألتق به بعد " .
" ألا تبحثين عنه ؟ "

أجابتها تريسا : " حينما يكون لدى متسع من الوقت ، ولكن كما تعلمين ، فرئيستى فى العمل على قدر كبير من التشدد ، ولا تترك لى أى وقت للراحة " .
قالت ديانا : " دعينى أحدثها بالنيابة عنك " .
وافقتها تريسا قائلة : " أعتقد أنه من الأفضل أن تفعلنى ذلك " ، وانفجرت المرأتان فى الضحك .
التقطت ديانا سبع أوراق تحمل علامة البستونى وقالت :
" هل سبق أن واعدت رجلاً منذ انفصالك عن زوجك ؟ "

" كلا فى الواقع ، خاصة منذ أن قال لى " مات " إنه لا يريد أن يرتبط بسيدة لديها أطفال " .
قطبت ديانا جبينها وقالت : " يكون الرجال حمقى فى بعض الأحيان ، و " مات " مثال جيد على ذلك . فهو مثال يجسد فكرة الرجل المتمركز حول ذاته ، ولكن ليس كلهم بهذا الشكل على أية حال ، فهناك الكثير من الرجال الأسوياء الذين يمكن أن يقعوا فى بك بإشارة من يدك " .

التقطت تريسا الأوراق السبع التى تحمل علامة البستونى ، وألقت ست ورقات تحمل علامة الدينارى .
وقالت : " إننى أحبك يا ديانا من أجل الكلمات العذبة التى تتفوهين بها " .
التقطت ديانا بعض الأوراق وقالت : " صدقينى ، هذا ليس مجرد كلام ، إنها الحقيقة . فأنت امرأة جميلة وناجحة وذكية ، وهناك العشرات من الرجال الذين يودون التعرف إليك " .
" ولكن هذا لا يعنى أننى أرغب فى ذلك " .
" ولكنك لا تمنحين نفسك فرصة كافية " .

هزت تريسا كتفها فى عدم اكتراث وقالت : " قد تكون هذه هى الحقيقة ، ولكن هذا لا يعنى أن حياتى ستنتهى فى دار للمسنين ، صدقينى ، إننى أرغب فى أن أحب مرة أخرى ، أن أقابل شخصاً مناسباً ، ونحيا معاً فى سعادة إلى الأبد ، ولكن ليس هذا فى قمة أولوياتى الآن ، فاهتمامى بـ " كيفن " والعمل يستحوذان على كل وقتى " .
صمتت ديانا للحظة ، وألقت اثنتين من أوراق اللعب التى تحمل علامة البستونى .
وقالت : " أعتقد أنك خائفة " .

" خائفة ؟ "

" نعم ، ولا شيء يعيب ذلك "

" لماذا تقولين هذا ؟ "

" لأننى أعلم جيداً إلى أى مدى جرح ديفيد مشاعرك وآلمك ، وأنت خائفة من تكرار التجربة ، ولو كنت مكانك لكنت شعرت بذات الإحساس . إنها الطبيعة البشرية ، وكما يقول المثل القديم " من لدغه الثعبان ، يخاف من الحبل " ، وهذا بالفعل شيء حقيقى "

" قد تكونين محقة فى ذلك ، وإننى على ثقة أنه إذا ظهر الشخص المناسب فسوف أرتبط به "

" أى نوع من الرجال تفضلين الارتباط به ؟ "

" لا أعرف "

" بالطبع تعرفين ، فكلنا يعرف ما يريد "

" ليس كل فرد هكذا "

" بل أنت كذلك ، ابدئى فى تحديد الصفات التى ترغبينها ، أو الصفات التى لا تريدونها فى الشخص الذى تودين الارتباط به ، فهل يكون مناسباً إذا كان منضماً لإحدى العصابات ؟ "

ابتسمت تريسا ، والتقطت بعض الأوراق ، وكانت على وشك الفوز ، فلم يتبق سوى ورقة واحدة ، ثم ألقى بالورقة التى تحمل صورة الولد .

ثم قالت : " لماذا تهتمين بهذا الموضوع ؟ "

" إنه بعض المزاح فحسب "

" حسناً ، ولكن تأكدى أننى لا أريد أحد أفراد العصابات " قالت ذلك بإيماءة من رأسها ، ثم أخذت تفكر للحظات واستطردت قائلة : " آه ، أعتقد أننى أريده أن يكون مخلصاً لى ، ولحبنا .

ولأننى قد ارتبطت من قبل بشخص لم يكن وفياً ، فإننى لا أريد خوض هذه التجربة الأليمة مرة أخرى ، وأفضل أن يكون الشخص الذى سأرتبط به فى مثل عمري أو مقارباً له " ، وهنا توقفت تريسا عن الحديث وقطبت جبينها .

" ثم ؟ "

قالت تريسا : " دقيقة واحدة ، إننى أفكر ، فالمسألة ليست هينة كما تبدو ، ولكنى سأقول لك إننى أريده أن يجمع الصفات التى تريدها أى امرأة - كأن يكون وسيماً ، عطوفاً ، ذكياً ، جذاباً "

ثم توقفت عن الحديث مرة أخرى ، فالتقطت ديانا الورقة التى تحمل علامة الولد ، وكانت سعيدة لأنها جعلت تريسا تفكر فى هذا الموضوع مرة أخرى .

ثم قالت : " وماذا أيضاً ؟ "

" وأهم شيء أريده فى الشخص الذى سأرتبط به هو أن يقضى وقتاً طويلاً مع كليفن ويحبه مثل ابنه . وأن يكون شخصاً حالمياً ورومانسياً يبتاع لى الزهور بين الحين والآخر . وأن يكون أيضاً رياضياً ، فلا يمكننى أن أقدر رجلاً بإمكانى أن أقهره فى لعبة المصارعة باليد "

" أهذا كل ما فى الأمر ؟ "

" نعم ، هذا كل شيء "

" إذن فأنت تبغين شخصاً مخلصاً ، جذاباً ووسيماً ، فى الثلاثينيات ، وأن يكون ذكياً ورومانسياً ورياضياً وأن يعامل كليفن معاملة حسنة ، صحيح ؟ "

" نعم "

ثم أخذت نفساً عميقاً ووضعت راحتها على المنضدة .

" على الأقل ، إنك لا تضعين شروطاً صعبة . لقد ربحت "

* * *

دلفت تريسا إلى الداخل بعد أن تغلبت ديانا عليها في لعبة جين ريمي ، وذلك من أجل أن تبدأ في قراءة أحد الكتب التي كانت قد أحضرتها معها ، وجلست على مقعد بجوار النافذة الخلفية للمنزل ، بينما استأنفت ديانا قراءة كتابها ، أما بريان فأخذ يقضى الوقت في مشاهدة إحدى مباريات الجولف بشغف ، وهو يلقي بتعليقاته على اللعبة .

وفي السادسة مساءً - وبعد انتهاء مباراة الجولف - ذهب بريان وديانا للتنزه على الشاطئ .

أخذت تريسا تشاهدهما من خلف النافذة ، وهما يسيران متشابكي الأيدي . وكانت تريسا ترى أن علاقتهما مثالية ، على الرغم من اختلاف اهتماماتهما ، إلا أن ذلك لم ينجح في أن يباعدهما بينهما ، بل على العكس كانا يتقاربان من بعضهما البعض بمرور الوقت .

وحينما مالت الشمس للمغيب ، اتجه ثلاثتهم إلى هايانيس وتناولوا العشاء في مطعم سامس كراب ، وكان مطعمها فاحراً يستحق السمعة التي يتمتع بها . وكان المطعم مزدحماً وكان عليهم الانتظار لما يقرب من ساعة حتى تكون هناك مقاعد شاغرة . والحق أن رائحة الطعام الشهى كانت تستحق الانتظار . كان مذاق الزبد مخلوطاً بالثوم شهياً ولذيذاً ، وقد احتسى ثلاثتهم ست زجاجات من المياه الغازية في غضون ساعتين . وبعدها فرغوا من تناول طعام العشاء أخذ بريان يتساءل عن الرسالة التي طفت على سطح الماء .

وقال : " لقد قمت بقراءتها حينما رجعت إلى المنزل بعد الانتهاء من لعب الجولف ، حيث قامت ديانا بتثبيتها على باب الثلاجة " .

هزت ديانا كتفيها وأخذت تضحك ، ثم التفتت ناحية تريسا ونظرت إليها وكأنها تقول : " لقد أخبرتك أن ذلك سيكون رد الفعل " ، ولكنها لم تتفوه بكلمة .

قالت تريسا : " لقد وجدتها على شاطئ البحر بينما كنت أعدو " .

انتهى بريان من احتساء زجاجة المياه الغازية وقال : " إنها أشبه بخطاب ، ولكنه خطاب حزين " .

" هذا ما شعرت به وأنا أقرأ الرسالة " .

" هل تعرفين أين يقع شاطئ رايتسفيل ؟ "

" لا ، إنني لم أسمع به من قبل " .

قال بريان وهو يمد يده في جيبه لإخراج سيجارة : " إنه يقع في شمال كارولينا ، لقد كنت في رحلة لممارسة الجولف هناك ذات مرة ، لقد كانت تدريبات رائعة ، وكان الشاطئ مستويًا ، حتى إنه يمكن ممارسة اللعب هناك " .

قالت ديانا : " بالنسبة لـ " بريان " ، فكل شيء متعلق بالجولف " .

سألته تريسا : " في أي منطقة في شمال كارولينا ؟ "

أشعل بريان السيجارة وأخذ ينفث دخانها ، وقال : " إنه يقع بالقرب من ويلمينجتون ، أو بالتحديد جزءاً منها . فأنا لست أعلم يقيناً ، وأعتقد أنه على بعد حوالي الساعة والنصف من شاطئ ميرتل إذا كنت تقودين السيارة . هل سمعت من قبل بفيلم كيب فير ؟ "

أجابته : " بالطبع " .

إن نهر كيب فير يقع في ويلمينجتون ، ولقد تم تصوير الفيلم هناك . وهناك العديد من الأفلام التي تم تصويرها في هذا المكان ، ومعظم الاستديوهات الكبيرة تتواجد في هذه المدينة . إن شاطئ رايتسفيل هو عبارة عن جزيرة مقابلة للساحل مباشرة ، وإنه مكان في غاية الرقي والتطور . وهو الآن عبارة عن منتجع ، يذهب إليه الكثير من نجوم السينما حينما يصورون بعض الأفلام ” .

” كيف لم أسمع به من قبل ؟ ”

” لا أعرف ، ولكن ربما بسبب الشهرة التي يحظى بها شاطئ ميرتل . إن هذا الشاطئ يحظى بشهرة في الجنوب ، فالشواطئ جميلة ناعمة والمياه دافئة . إنه لمكان رائع لقضاء أسبوع هناك ، وذلك إذا ما أتاحت لك الفرصة ” .

لم تجب تريسا ، وتحدثت ديانا وقالت في مكر : ” ها قد عرفنا بمكان كاتب الرسالة المجهول ” .

هزت تريسا كتفيها في عدم اكتراث وقالت : ” ربما ، ولكننا لسنا على ثقة من ذلك ، فقد يكون قد ذهب لزيارة هذا المكان أو لقضاء عطلة هناك ، فليس من الضروري أنه يعيش هناك ” .

هزت ديانا رأسها وقالت : ” لا أعتقد ذلك ، فالأسلوب الذي كتب به هذا الخطاب يقول إن الحلم الذي يتحدث عنه أقرب إلى الحقيقة ، ولا يمكن أن يكون في مكان زاره مرة واحدة أو مرتين ” .
قالت تريسا : ” إنك تعيرين الموضوع اهتماماً زائداً ، أليس كذلك ؟ ”

” إنها الحاسة الصحفية ، ولقد تعلمنا أن نتبع حاستنا الصحفية . وأنا أراهن أن شاطئ رايتسفيل أو ويلمينجتون هو المكان الذي يعيش فيه هذا الشخص ” .

” وماذا بعد ؟ ”

مدت ديانا يدها وأخذت السيجارة من يد بريان ، وأخذت تنفثها بعمق واحتفظت بها لنفسها ، وكانت تعتقد أنه طالما لم تقم هي بإشعالها ، فهي ليست بمدخنة ، وتظاهر بريان أنه لم يلحظها وقام بإشعال سيجارة أخرى ، وانحنى ديانا إلى الأمام وقالت :

” هل فكرت في نشر الرسالة ؟ ”

” لا ، لست على ثقة إذا ما كانت فكرة جيدة أم لا ” .

” ما رأيك إذا استخدمنا فقط الحروف الأولى من اسميهما ، ولم نذكر الأسماء بالكامل ؟ ويمكننا أيضاً أن نغير اسم الشاطئ .

” لماذا يشكل هذا الموضوع كل هذه الأهمية بالنسبة لك ؟ ”

” لأنني أعرف أنها قصة جيدة تصلح للنشر . والأهم من ذلك ، أنها ستمثل أهمية لكثير من الناس . فالناس أصبحوا غارقين في مشاغلهم ، واختفت الرومانسية من حياتهم ، ولكن هذه الرسالة تقول إنه لا يزال للرومانسية مكان في حياتنا ” .

أمسكت تريسا بخصلة من شعرها وأخذت تلفها ، وهي عادة كانت تمارسها منذ الصغر حينما تكون منهمة في التفكير في موضوع ما ، وبعد مرور لحظات من الصمت أجابت : ” إنني موافقة ” .

” هل توافقين على نشرها ؟ ”

” نعم ، ولكن كما ذكرت من قبل ، سننشر فقط الأحرف الأولى ، ونحذف الجزء الخاص باسم الشاطئ ، وسأقوم بكتابة فقرتين وذلك كمقدمة لهذه الرسالة ” .

صاحت ديانا في حماس طفولي : ” إنني سعيدة برأيك ، لقد كنت على ثقة من أنك ستوافقين ، سوف نرسله غداً بالفاكس ” .

وفي وقت متأخر من الليل ، قامت تريسا بكتابة مقدمة المقالة على بعض الأوراق التي عثرت عليها في حجرة المكتب . وحينما

فرغت من الكتابة توجهت إلى غرفتها ، ووضعت الصفحتين التي قامت بكتابتهما علي مسند الفراش خلفها ثم دخلت الفراش . ونامت هذه الليلة نوماً متقطعاً .

* * *

ذهبت ديانا وتريسا في اليوم التالي إلى كاثام وقامتتا بنسخ الرسالة ، وذلك لعدم وجود الحاسوب المحمول معهما . وكانت تريسا تصر على عدم نشر أى معلومات عن أصحاب الرسالة وأماكن تواجدهم ، لذا فقد كان الحل الأمثل هو أن تقوموا بنسخها وحينما اكتملت المقالة ، قامتتا بإرسالها عن طريق الفاكس ، وذلك حتى يتم نشرها في اليوم التالي .

ثم أمضتا الصباح وفترة الظهيرة كالأيوم السابق ما بين التسوق والاسترخاء على الشاطئ ، وتجاوزتا أطراف الحديث وتناولتا طعاماً شهياً . كانت تريسا أول من قرأ الجريدة صباح اليوم التالي ، حيث استيقظت مبكراً ، ومارست العدو قبل أن يستيقظ كل من ديانا وبريان ، ثم بعد ذلك فتحت الجريدة وشرعت في قراءة المقال :

منذ أربعة أيام وبينما كنت أقضى إجازة ، كنت أستمع لبعض الأغنيات القديمة فى المذياع ، وسمعت ستينج يشدو بأغنية رسالة فى زجاجة . فحركتني أغنيته الرومانسية الجميلة ، فاتجهت نحو الشاطئ بحثاً عن زجاجتى . وبعدها بلحظات عثرت عليها ، وكان بداخلها رسالة ما ، فى حقيقة الأمر ، إننى لم أستمع إلى الأغنية أولاً ، ولكننى كتبت ذلك من أجل التأثير الدرامى ، ولكننى قد عثرت بالفعل على زجاجة فى صباح أحد الأيام ، وكانت تحتوى بداخلها على رسالة

مؤثرة للغاية . لم أستطع أن أمحوها من ذاكرتى أو أبعدها عن تفكيرى . وعلى الرغم من أننى لم أعتد الكتابة فى هذا الموضوع خاصة فى وقت ندر فيه الحب والوفاء ، إلا أننى أرجو أن تترك أثراً فى نفوسكم كما فعلت معى .

وتضمن بقية المقال الرسالة بأكملها . وحينما استيقظت ديانا ، وانضمت إلى تريسا لتناول الإفطار ، قامت بقراءة المقال أولاً قبل النظر إلى أى شىء . وقالت حينما انتهت من قراءته : " رائع ، إنه يبدو أفضل بكثير عندما تم نسخه ، إنك سوف تستقبلين العديد من الرسائل من أجل نشر هذه الرسالة " .

" هل تعتقدين ذلك ؟ "

" بالطبع ، إننى على يقين من ذلك " .

" رسائل أكثر من المعتاد ؟ "

" إننى أشعر بذلك ، وسأحدث جون اليوم لكى يقوم بنشرها مرتين هذا الأسبوع ، وقد نواصل نشرها حتى الأحد المقبل " .
قالت تريسا وهى تأكل إحدى الفطائر وهى لا تعرف هل تصدق ديانا أم لا : " سوف نرى " ، ومع ذلك كان الفضول يملكها .

كانت هناك ثمانى رسائل على جهاز الرد الآلى . وكانت رسائل من رجال كانت على علاقة بهم من قبل ويطلبون منها معاودة الاتصال ، فأخذت تفكر لبرهة . ثم قررت أنها لن ترد على أى منها ، فلم تنجذب لأى منهم ، ولم تكن ترغب فى الارتباط بأى منهم . وكانت هناك مكالمات أيضاً من أمها وأختها ، فسجلت فى مفكرتها أنه عليها الاتصال بهما فى وقت ما هذا الأسبوع . ولم تتلق أى مكالمات من كيفن ، فلا بد أنه الآن يمارس الغوص ويتنزه مع والده فى مكان ما فى " أريزونا " .

بدا البيت موحشاً وغريباً بدون كيفن ، ولكنه كان مرتباً وهو ما جعل الأمر هيناً ، إنه لشيء جميل أن يعود المرء إلى منزله وينظفه تنظيفاً سريعاً ، وفكرت فى أنه لازال لديها أسبوعان من الإجازات هذا العام ، وسوف تمضى أسبوعاً منهما على الشاطئ بصحبة كيفن ، حيث كانت قد وعدته بذلك . ولكن سيبقى أسبوع ، فيمكن أن تمضيه فى التسوق من أجل الأعياد ، ولكن كيفن فى هذا الوقت سيكون بصحبة أبيه ، لذا فلن يكون هناك أمامها أشياء كثيرة لتفعلها . إنها تكره أن تمضى الأعياد وحدها ، حيث إن الأعياد هى أوقاتها المفضلة ، ولكن للأسف فليس أمامها أى خيار ، ولا داعى للتفكير كثيراً فى هذا الموضوع حتى لا يشعرها بالحزن ، فبإمكانها أن تذهب إلى بيرمودا أو جاميكا أو أى مكان آخر يطل على بحر الكاريبى ، ولكنها أيضاً لا ترغب فى أن تكون بمفردها ، ولا تدرى من يمكن أن يصحبها إلى هناك . من الممكن أن تصطحب جانيت معها ، ولكنها تشك فى ذلك ، فـ " جانيت " دائماً مشغولة برعاية أطفالها الثلاثة ، وإدوارد لا يستطيع أن يحصل على إجازات بسهولة . يمكنها إذن أن تؤدى بعض الإصلاحات بالمنزل التى كانت قد أجلتها من قبل عدة مرات ، ولكن بدا لها هذا الأمر

الفصل الثالث

فى يوم السبت ، وبعد مرور ثمانية أيام ، عادت تريسا إلى بوسطن .

فتحت باب شقتها ، وهرع هارفى إليها قادماً من غرفة النوم الخلفية ، وأخذ يلتصق بقدميها وهو يزوم بخفوت ، فرفعته تريسا إليها ، وصحبته إلى الثلاجة ، وأخرجت قطعة من الجبن وقدمتها إليه ، وأخذت تتحسس رأسه فى رفق ، وكانت تشعر بالامتنان لجارتها إيلا لأنها قامت بالاعتناء به أثناء سفرها . وبعد أن تناول قطعة الجبن ، قفز بين ذراعيها واتجه نحو الباب الزجاجى الذى يقود إلى الفناء الخلفى . وكانت الشقة بحاجة إلى تهوية ، لأنها قد أغلقت لفترة طويلة ، فقامت تريسا بفتح الأبواب حتى تجدد الهواء بداخلها .

وبعد أن قامت بتفريغ حقائبها ، وأخذت المفاتيح والبريد من إيلا ، صبت لنفسها كوباً من العصير ، واتجهت نحو جهاز التسجيل ، وقامت بتشغيل أسطوانة جون كولتران التى كانت قد ابتاعتها أثناء الإجازة ، وأثناء انبعاث صوت موسيقى الجاز من الحجرة ، أخذت تريسا تقرأ البريد . كانت معظمها فواتير بحاجة إلى سداد ، فوضعتها جانباً لتقرأها بعناية فى وقت آخر .

سخيفاً ، فمن ذا الذى يقضى إجازة الأعياد فى الطلاء وتركيب ورق الحوائط ؟

ينست من التفكير فى هذا الأمر ، وقررت أن تؤجل هذه الإجازة للعام التالى إذا لم تطراً على ذهنها فكرة ممتعة لقضاء الإجازة ، ويمكن لها حينئذ أن تمضى هى وكيفن أسبوعين فى هاواى .

أوت إلى فراشها ، وأمسكت بإحدى الروايات التى كانت قد بدأت فى قراءتها فى كيب كود ، وأخذت تقرأها فى سرعة وتواصل وانتهت مما يقرب من مائة صفحة دون أن تشعر بالتعب ، وقامت بإطفاء الأنوار فى منتصف الليل ، وحلمت فى تلك الليلة أنها تسير على شاطئ مهجور .

ولم تدر لم كانت هناك كمية ضخمة من الخطابات على مكتبها صباح يوم الاثنين ، فقد كان هناك حوالى مائتى خطاب ، وتبعها وصول خمسين آخرين فى منتصف اليوم . وبمجرد أن دخلت إلى مكتبها ، قابلتها ديانا ، وأشارت بفخر إلى كومة الخطابات وهى تقول : " أرايت ؟! لقد قلت لك ذلك " .

طلبت تريسا من السكرتيرة تأجيل المكالمات الهاتفية ، حتى تنتهى من قراءة البريد ، وشرعت على الفور فى فتح الخطابات وقراءتها .

كانت الخطابات كلها بلا استثناء عبارة عن ردود للرسالة التى نشرتها فى مقالها . وكانت معظم الخطابات من سيدات ، إلا أنه كانت هناك ردود من بعض الرجال على الرسالة أيضاً . ولقد أدهشتها بحق ردود القراء المتشابهة ، حيث قرأت فى كل خطاب كيف أنهم قد تأثروا بهذه الرسالة المجهولة ، وأنها قد لست مشاعرهم بحق . وقد سألتها الكثير منهم ما إذا كانت تعرف

كاتب الرسالة . وقد ذكر عدد قليل من السيدات أنهم على استعداد للزواج من كاتب الرسالة إذا ما كان أعزب .

ولقد اكتشفت أن كل طبعة من صحيفة صانداى فى البلاد قد نشرت المقال . ولقد وصلتها خطابات من أماكن بعيدة مثل لوس أنجلوس . ولقد ادعى ستة رجال أنهم أصحاب الرسالة . وقد طالب أربعة منهم بمقابل مادية نظير نشر الرسالة ، وقد وصل الأمر إلى أن أحدهم قد هدد برفع دعوى قضائية ، ولكنها قامت بمطابقة خط يد كل منهم بالرسالة التى معها ، ووجدت أنها لا تشبه خط كاتب الرسالة على الإطلاق .

وفى الظهيرة ، حينما ذهبت لتناول طعام الغداء فى مطعمها اليابانى المفضل ، كان هناك شخصان يتناولان غداءهما على منضدة مجاورة ، وكانا يتحدثان بشأن الرسالة أيضاً . وقال أحدهما : " لقد قامت زوجتى بلصق الرسالة على الثلاجة " مما جعل تريسا تنفجر بالضحك بصوت عال .

وبانتهاء اليوم ، كانت قد فرغت من قراءة جميع الخطابات ، وشعرت بالتعب الشديد . وبدأت تشعر بألم فى فقرات عنقها ، وهو ألم دائماً ما تشعر به عند انتهاء يوم عملها . وفى الساعة الخامسة والنصف شرعت فى كتابة مقال عن غياب كيفن وتأثير ذلك عليها ، وكتبته بأسلوب أفضل مما توقعت . وحينما كانت على وشك الانتهاء منه دق جرس الهاتف .

كانت المتحدثة هى موظفة استقبال الجريدة . وقالت : " تريسا ، أنا أعلم جيداً أنك قد طلبت منى تأجيل كل المكالمات الهاتفية ، لقد قمت بذلك بالفعل . ولم يكن ذلك شيئاً يسيراً على الإطلاق ، فلقد تلقيت ستين مكالمة هاتفية اليوم ، ولم يتوقف الهاتف عن الرنين طوال الوقت " .

" فما الخطب إذن ؟ "

أجابتها موظفة الاستقبال : " هناك سيدة لم تتوقف عن الاتصال بك ، وهذه خامس مرة تتصل فيها اليوم ، ولقد اتصلت مرتين فى الأسبوع الماضى ، ولا تريد أن تترك اسمها ، ولكننى تعرفت على صوتها الآن ، وهى تريد أن تتحدث إليك " .
" ألا يمكنها أن تترك رسالة بما تريد ؟ "

" لقد حاولت ، ولكنها تصر على عدم ذكر أى شىء ، وهى تطلب منى دائماً أن تنتظر على الهاتف حتى يتاح لك الوقت لمحادثتها ، وهى تقول إنها تتحدث من مكان بعيد ، وإنها تريد أن تتحدث إليك فى أمر مهم " .

أخذت تريسا تفكر لدقيقة وهى تحدد إلى الشاشة التى أمامها ، فقد كانت على وشك الانتهاء من مقالتها ، حيث لم يبق سوى فقرتين فقط .

قالت تريسا : " ألا يمكن أن تطلبى منها أن تترك رقم هاتفها حتى يمكننى أن أحادثها فيما بعد ؟ "
" لا تريد ذلك أيضاً ، إنها على قدر كبير من الإصرار "
" ألا تعرفين ماذا تريد ؟ "

" ليس لدى أدنى فكرة ، ولكن يبدو أنها جادة - وليست كبقية الأشخاص الذين تحدثوا من قبل ، تخيلى لقد طلب أحدهم أن يتزوجنى "

ضحكت تريسا وقالت : " حسناً ، اطلبى منها أن تنتظر على الهاتف لدقيقتين " .

قالت موظفة الاستقبال : " سأفعل " .

" على أى خط تنتظر ؟ "

" الخط رقم خمسة " .

" أشكرك " .

أنهت تريسا مقالها فى سرعة ، وانتوت أن تقوم بمراجعته مرة أخرى حالما تنتهى من مكالمتها الهاتفية ، ثم التقطت سماعة الهاتف وضغطت على الخط رقم خمسة وقالت :

" مرحباً ! "

ظل الخط صامتاً للحظة ، ثم تناهى إلى مسامعها صوت ناعم فيه رنة موسيقية يقول : " هل المتحدثه هى تريسا أوسبورن ؟ "
رجعت تريسا إلى الوراء على مقعدها ، وبدأت فى لف خصلات شعرها وقالت : " نعم ، أنا هى " .

قالت المتحدثه : " هل أنت التى كتبت المقال الذى يتحدث عن الرسالة التى تم العثور عليها فى زجاجة ؟ "
" نعم ، هل بإمكانى مساعدتك ؟ "

توقفت المتحدثه عن الكلام مرة أخرى ، وكانت تريسا تسمع صوت تنفسها ، كما لو كانت تفكر فيما ستقوله بعد ذلك ، وبعد مرور لحظة من الصمت قالت : " هل بإمكانك أن تخبرينى بالأسماء التى كانت موجودة بالرسالة ؟ "

أغمضت تريسا عينيها وتوقفت عن ثنى خصلات شعرها ، وقالت لنفسها : " ها هى فضولية أخرى " ، ونظرت مرة أخرى نحو شاشة الحاسوب ، وبدأت تقرأ سطور المقال .
ثم قالت : " أنا آسفة ، لا أستطيع ، فلا يمكننى الإفصاح عن الأسماء على الملأ " .

فصمتت المتحدثه مرة أخرى ، وبدأ صبر تريسا ينفد ، وشرعت فى قراءة أول فقرة من فقرات المقال على الشاشة ، فأدهشتها المتحدثه بقولها : " أرجوك ، يجب أن أعرف الأسماء " .

أزاحت تريسا بصرها عن شاشة الحاسوب ، وشعرت بشغف شديد في صوت المتحدثة ، فقد كان هناك شيء آخر وراء هذا السؤال ، ولكنها لم تستطع أن تلمسه يقيناً .

فقلت في النهاية : " إننى جد آسفة ، لا أستطيع ذلك " .
قالت المتحدثة على الجانب الآخر : " إذن ، هل يمكن أن تجيبى على سؤالى ؟ "

" ربما " .
" هل كانت الرسالة موجهة إلى كاثارين ، وموقعة من قبل شخص يدعى " جاريت " ؟ "

استحوذ هذا السؤال على انتباه تريسا وجعلها تنتصب فى مقعدها .

وقالت فى لهفة مفاجئة : " من المتحدث ؟ " وكانت تعلم أنه بانتهاء كلماتها ، سيعرف المتحدث الحقيقة .

قالت المتحدثة : " إنها الأسماء المذكورة فى الرسالة ، أليس كذلك ؟ "

سألته تريسا مرة أخرى ولكن بأسلوب أكثر تهذيباً هذه المرة :
" من المتحدث ؟ " فتنهدت المتحدثة تنهدة عميقة قبل أن تجيب قائلة :

" اسمى هو ميشيل تيرنر وأعيش فى نورفلولك ، فى فيرجينيا " .

" وكيف علمت بأمر الرسالة ؟ "

" إن زوجى يعمل فى البحرية ومقر عمله هنا ، وكنت أسير ذات مرة على الشاطئ منذ ثلاث سنوات ، وعثرت على رسالة تشبه تلك التى وجدتها أنت أثناء إجازتك ، وحينما قرأت مقالك ،

أدركت أنه نفس الشخص الذى كتب الرسالة ، فقد كانت الأحرف الأولى متشابهة " .

فتوقفت تريسا عن الحديث لدقيقة وحدثت نفسها قائلة :
" مستحيل ، ثلاث سنوات ؟ "

ثم سألتها : " ما نوع الورق الذى كتبت عليه الرسالة ؟ "
أجابته المتحدثة : " كان لونه بنياً فاتحاً ، وبه صورة على شكل سفينة مبحرة على الجانب الأيمن العلوى من الخطاب " .

شعرت تريسا أن قلبها يدق بعنف ، فلا يزال الأمر غريباً وصعب التصديق .

سألته المتحدثة : " أكانت رسالتك تحتوى أيضاً على صورة السفينة هذه ؟ "

همست تريسا قائلة : " نعم " .
قالت ميشيل وكان حملاً ثقيلاً قد انزاح عن كاهلها : " لقد

أدركت ذلك ، أدركته بمجرد قراءة مقالتك " .

سألته تريسا : " هل لازلت تحتفظين بنسخة من هذه الرسالة ؟ "
أجابته : " نعم ، ولكن زوجى لا يعلم عنها شيئاً ، ولكننى

أطلع عليها بين الحين والآخر لقراءتها ، إنها تختلف بعض الشيء عن رسالتك ، ولكن تغلب عليها نفس الأحاسيس والمشاعر " .

سألته تريسا : " هل بإمكانك إرسال نسخة منها عبر الفاكس ؟ "
قالت السيدة على الفور : " بالطبع ، إنه شيء مذهل ، أليس

كذلك ؟ أعنى ، أن أعثر أنا على رسالة منذ فترة طويلة ، ثم تعثرين أنت على واحدة تخص الشخص نفسه الآن " .

همست تريسا : " نعم ، إنه أمر مذهل حقاً " .
وبعد أن أعطت لـ " ميشيل " رقم الفاكس ، أخذت تراجع

المقالة بصعوبة . فمن المفترض أن تذهب ميشيل إلى إحدى المكتبات

لإرسال الخطاب بالفاكس ، ووجدت تريسا نفسها تنهض من مكتبها ، وتتجه نحو آلة الفاكس كل خمس دقائق في انتظار وصول الرسالة . وبعد مرور ست وأربعين دقيقة سمعت صوت آلة الفاكس معلنة عن وصول الرسالة ، وكانت الصفحة الأولى عبارة عن غلاف مرسل من مركز خدمات النشر والطباعة " إلى تريسا أوسبورن في صحيفة بوسطن تايمز " .

أخذت تريسا تتابع صفحات الرسالة وهي تسقط على حامل الورق ، وأخذت تستمتع إلى صوت آلة الفاكس وهي تقوم بنسخ الخطاب سطرًا تلو الآخر . ولم يستغرق الأمر سوى عشر ثوان لنسخ الصفحة ولكن بدا لها هذا الوقت طويلًا . ثم وجدت أن هناك ورقة ثالثة ، وأدركت أن هذه الرسالة تشبه الرسالة التي عثرت عليها فقد كانت تملأ وجهي الورقة .

مدت يدها لتلتقط الرسالة ، بعد سماعها لصفارة الفاكس التي أعلنت عن انتهاء نقل الرسالة بأكملها . ثم حملت صفحات الرسالة إلى مكتبها دون قراءتها ، وقامت بقلبها لمدة دقيقتين وهي تحاول أن تلتقط أنفاسها ، وأخذت تحدث نفسها بأنها مجرد رسالة .

وأخذت نفساً عميقاً قبل أن ترفع غلاف الصفحة ، وبمنظرة سريعة على شعار السفينة أدركت أنه نفس كاتب رسالتها ، وأخذت تقرأ الرسالة .

٦ مارس ١٩٩٤

حبيبتي كاثرين ،

أين أنت يا حبيبتي؟ ولماذا هجرتني ، إنني دوماً ما أتساءل وأنا أجلس وحيداً في هذا المنزل الموحش ، لماذا كتب علينا الفراق؟

إنني لن أعرف إجابة لكل تلك التساؤلات؟ مهما حاولت جاهداً أن أفهم ، مع أن السبب واضح جلي ، إلا أن عقلي يرفضه تماماً ، ويمزقني الحزن والجزع ليلاً ونهاراً . إنني أشعر بالضياع دونك ، فأنا بلا روح ، إنني كالهائم بلا وطن ، كالطير الشارد دون وجهة ، إنني أشبه كل تلك الأشياء ، ولكنني أشعر في حقيقة الأمر أنني لا شيء على الإطلاق ، فتلك هي حياتي بدونك يا حبيبتي ، إنني أتوق لرؤياك كي تعيديني إلى الحياة مرة أخرى .

إنني أتذكر كيف كنا معا على ظهر سفينة هابينستاني هل تتذكرين يا حبيبتي الأيام التي عملنا فيها معا هناك؟ لقد كنا جزءاً من المحيط ونحن نعيد بناءها ، فكلانا يعلم أن المحيط هو الذي جمعنا معا ، لقد أدركت حينئذ معنى السعادة الحقيقية؟ وعندما كنا نبحر معا ليلاً ، كنت أراقبك والقمر يعكس جمالك الأخاذ ، وأشعر من داخلي أننا سنبقى معا إلى الأبد ، وكنت أسأل نفسي ، أهذا هو حال كل اثنين يقعان في الحب؟ لا أعرف ، ولكن إذا كنت لا أشعر بأنني أحيا منذ أن رحلت عني ، فأعتقد أنني أعرف الإجابة ، ومنذ الآن ، فأنا أعلم أنني سأبقى وحيداً إلى الأبد .

إنني أفكر دوماً ، وأجدك في أحلامي ولا أجد سوى طيفك ، ولكنني أبغى أكثر من ذلك ، أبغى وجودك بجانبى ، ولكن هذا أقصى ما أستطيعه ولا حيلة لي في ذلك ، وماذا يمكنني أن أفعل سوى ذلك؟ إنك كنت تعرفين كيف تخفضين من آلامي ، وكيف تجعلينني أشعر بالسعادة من داخلي .

يا ترى هل تعرفين ما أشعر به الآن بدونك؟ إنني أجدك في أحلامي . لقد كانت حياتي بلا هدف أو معنى قبل لقائك ،

إن كل خطوة خطوتها في حياتي كانت من أجل أن ألقاك ، لقد قدر علينا أن نلتقى ونكون معا .

ولكنني الآن أدرك وأنا وحيد في داري أن المرء قد يبطل بقدر ما ينعم عليه القدر ، ووجدت نفسي أتساءل لماذا كتب عليّ أنا وحدي دون غيري من البشر أن أقع في حب إنسان ينتزعه القدر مني ؟

جاريت

بعد أن انتهت تريبا من قراءة الخطاب اتكأت بظهرها إلى الورا على مقعدها ووضعت أصابعها على شفيتها ، وبدا لها وكأن الأصوات المنبعثة من غرفة الأخبار تأتي من مكان بعيد . ثم فتحت حقيبتها - وبحثت في الرسالة التي معها على الأحرف الأولية - ووضعت الرسالتين جنباً إلى جنب على مكتبها ، وشرعت في قراءة الرسالة الأولى ، ثم أخذت في قراءة الرسالة الثانية ، ثم قرأتها بترتيب عكسي ، فشعرت وكأنها تتلصص على لحظة شديدة الخصوصية والسرية .

ثم نهضت من على مقعدها واعتراها شعور عجيب بالراحة ، فاتجهت نحو آلة البيع ، وأحضرت لنفسها زجاجة من عصير التفاح وهي تحاول أن تدرك الشاعر التي تعتمل بداخلها ، وحينما اتجهت إلى مكتبها شعرت بأن قدميها لا تقدران على حملها ، فارتمت على مقعدها ، وشعرت أنها كان يمكن أن تسقط على الأرض ، إذا كانت لم تقف في المكان الصحيح .

وفي محاولة منها لتصفية ذهنها وإعادة ترتيب أفكارها ، أخذت ترتب مكتبها للقضاء على الفوضى التي تعمه ، فوضعت الأقلام في أدراجها ، وقامت بحفظ المقالات التي استخدمتها في أبحاثها ، وأعدت ملء ماكينة الدبابيس ، ثم وضعت الأقلام في قذح قهوة الفارغ الموضوع على المكتب وحينما انتهت من ذلك ، لم يبق شيء فوق المكتب سوى الرسالتين .

لقد عثرت هي على الرسالة منذ أسبوع أو أكثر ، وقد تركت كلماتها أثراً عميقاً في نفسها ، على الرغم من أن الجانب العملي في شخصيتها دفعها لأن تتجاهلها ، إلا أنها لا تستطيع ذلك الآن بعد أن وجدت رسالة ثانية كتبها نفس الشخص ، وتساءلت هل هناك المزيد من الرسائل ؟ وأي نوع من الرجال هو ؟ إنها لمعجزة أن تعثر امرأة أخرى منذ ثلاث سنوات على رسالة من نفس الشخص ، وتحتفظ بها لأنها قد مست مشاعرها هي الأخرى ، ولكن هذا هو ما حدث بالفعل . وإنها لتتساءل عما يعنى كل ذلك ؟

كانت تدرك أنه لا يجب أن يستحوذ هذا الأمر على تفكيرها ، ولكن ذلك ما حدث بالفعل . وأخذت تتجول ببصرها عبر الحجرة وهي تمرر أصابعها خلال شعرها ، وفتحت زجاجة العصير وارتشفت منها رشفة واحدة محاولة أن تدرك كنه ما يدور برأسها . كانت ترجو ألا يدلف أحد إلى مكتبها خلال الدقيقتين التاليتين حتى تعيد ترتيب أفكارها ، دست الرسالتين في حقيبتها وهي تسترجع كلمات الرسالة الثانية وتتساءل يا ترى أين تكون ؟

ثم أغلقت البرنامج الذي كانت تستخدمه لكتابة مقالها ، ثم اختارت البرنامج الذي يسمح لها بالدخول على شبكة الإنترنت .

وبعد لحظة من التردد ، كتبت كلمة :

شاطئ " رايتسفيل "

فى برنامج البحث ، وضغطت على زر الإدخال وكانت تدرك أنه سيظهر أمامها عدة نتائج وفى أقل من خمس ثوان ، كان لديها بالفعل عدد من الموضوعات المختلفة التى كان عليها الاختيار من بينها .

ثلاث نتائج مطابقة تحتوى على شاطئ رايتسفيل .
عرض ٢٠١ نتائج مطابقة .

تصنيفات - واقع - صفحات من موقع ماريوسا

تصنيفات

إقليمي : الولايات المتحدة الأمريكية : نورث كارولينا : مدن : شاطئ رايتسفيل

مواقع

إقليمي : الولايات المتحدة الأمريكية : مدن : ويلمنجتون : ريال إستات

- شركة تيكاار للعقارات - مكاتب فى شاطئ رايتسفيل وشاطئ كارولينا .

إقليمي : الولايات المتحدة الأمريكية : شمال كارولينا : مدن : شاطئ رايتسفيل :

منتجع - شاطئ كاسكاد

شعرت بسخف ما فعله وهى تحدد إلى شاشة الحاسوب ،
فحتى لو كانت ديانا على حق ، وكان جاريت يقطن فى مكان ما

بالقرب من شاطئ رايتسفيل ، فمن المستحيل أن تجد مكانه . إذن
فما الذى فعله الآن ؟ ولماذا ؟

إنها بالطبع تدرك سبب ذلك ؟ فهذه الرسائل قد كتبها رجل
يحب امرأة حبا صادقا وعميقا ، ولكنه قد افترق عن هذه المرأة وهو
الآن وحيد . وشأنها كشأن أى امرأة فهى تريد الرجل المثالى -
الفارس أو أمير الأحلام فى القصص التى كانت تقرأها فى طفولتها .
ولكن مثل هذا النوع من الرجال لا يوجد فى الواقع ، فالشخصيات
الواقعية لديها احتياجات حقيقية ، وتوقعات حقيقية عن سلوك
الآخرين تجاهها . ولكن بالطبع هناك رجال يحبون حبا حقيقيا
بكل جوانحهم ، حبا يصمد أمام أى عقبات ، وهو النوع الذى
ترغب أن تصادفه فى حياتها منذ انفصالها عن ديفيد . ولكن أين
هو ؟ لقد كانت دائما تبحث عنه وهى الآن قد عرفت أن هذا
النوع من الرجال له وجود ، وهو يعيش وحيدا . ومعرفة ذلك حرك
شيئا بداخلها - فمن الواضح أن كاثرين - أيا كانت - قد توفيت أو
على الأقل اختفت من حياته ، إلا أن جاريت لا يزال يعشقها
ويرسل لها خطابات يعبر فيها عن حبه وذلك منذ ثلاث سنوات
على الأقل . وهو لا يزال يحب هذه المرأة بعمق حتى بعد اختفائها
من حياته .

أين أنت ؟

ظل هذا السؤال يتردد فى رأسها ، كأغنية سمعتها فى المذياع
هذا الصباح وظلت تتردد داخلها طوال اليوم .

أين أنت ؟

إنها لا تعرف مكانه ، ولكنه موجود بالفعل ، وأحد الأشياء
التى كانت قد تعلمتها فى بداية حياتها هو أنك إذا ما اكتشفت
شيئا حرك بداخلك أحاسيس معينة ، فعليك أن تحاول تعرف المزيد

المجهول وليس بصحبتها سوى حقيبة ملابسها ، وبعض الأوراق
التي قد تعنى أو لا تعنى شيئاً .
فلقد اكتشفت وجود رسالة ثالثة من جاريت .

عنه ، أما إذا تجاهلت هذه المشاعر ، فإنك لن تعرف ما الذى كان
يمكن أن تؤدى إليه ، وفى كل الأحوال فهذا أسوأ من أن تكتشف
أنك كنت مخطئاً فى مشاعرك هذه ، وذلك لأنك إذا كنت مخطئاً ،
فلن يسبب ذلك أى ضرر لك ، وستستأنف حياتك دون أن تنظر إلى
الوراء ، فهذا أفضل من أن تظل طوال حياتك تتساءل ما الذى كان
يمكن أن يحدث إذا لم تتجاهل هذه المشاعر .

ولكن ما الذى يمكن أن تؤدى إليه مشاعرها ؟ وما معنى الأشياء
التي تصادفها الآن ؟ هل العثور على الرسالة مجرد مصادفة أم هو
من ترتيبات القدر ؟ أم أنها مجرد شىء يذكرها بما تفتقده فى
حياتها ؟ أخذت تقوم بثنى خصلات شعرها دون وعى وهى تقلب
السؤال الأخير فى رأسها .

ولكن كان الفضول يملكها بشأن الكاتب المجهول ، وليس
هناك داع لإنكار ذلك ، على الأقل بينها وبين نفسها ، ولأنه لن
يكون هناك أى شخص يمكن أن يتفهم ذلك (وكيف يتفهمونه ، إذا
كانت هى نفسها لا تدرك كنهه ؟) قررت أنها لن تخبر أى شخص
بالمشاعر التي تعتربها .

أين أنت ؟

كانت تدرك فى أعماقها أن البحث الذى تجريه من خلال
الحاسوب وأن انشغالها بـ " جاريت " لن يؤدى إلى شىء ،
وستتحول قصة الرسالة شيئاً فشيئاً إلى مجرد رواية غير مألوفة
ستقصها بين الحين والآخر ، وستستأنف حياتها وتستمر فى كتابة
مقالاتها وقضاء وقتها مع كيفن ، وتؤدى كل ما يجب أن تؤديه دون
وجود شريك فى حياتها .

وكانت إلى حد ما على حق ، فقد استمرت حياتها كما
تخيلت . ولكن بعد مرور ثلاثة أيام حدث شىء جعلها تتجه نحو

قبل . كما عثرت أيضاً على ستة عناوين بدت شيقة ، ومن الممكن استخدامها فيما بعد . ولأنها كانت ستمر في طريق عودتها بجامعة هارفارد ، فمن الممكن لها إذن أن تحصل على تلك المقالات من المكتبة .

وبينما كانت على وشك أن تغلق جهاز الحاسوب ، طرأ لها خاطر فتوقفت وسألت نفسها : ولم لا ؟ الفرصة ضئيلة ولكنها لن تخسر شيئاً على أية حال . جلست على مكتبها ، ودخلت إلى قاعدة بيانات جامعة هارفارد مرة أخرى وكتبت هذه الكلمات .

رسالة في زجاجة

ولأن المقالات الموجودة في نظام المكتبة كانت مرتبة بترتيب الموضوع أو العنوان ، فاخترت البحث عن طريق العناوين الرئيسية وذلك من أجل إسرار البحث . وعلى الرغم من أن البحث عن طريق الموضوع يتمخض عنه المزيد من المقالات ، إلا أن النظر خلالها جميعاً ، كان أمراً شاقاً ويحتاج إلى وقت ومجهود ، وهي ليس لديها متسع من الوقت . وبعد الضغط على زر الإدخال ، اتكأت بظهرها إلى الورا وانتظرت أن تظهر المعلومات التي طلبتها على شاشة الحاسب .

اندهشت لكمية المعلومات التي ظهرت ، فقد كان هناك العشرات من مختلف المقالات التي نشرت عن هذا الموضوع في السنوات القليلة الماضية . ومعظم هذه المقالات نشرتها صحف علمية . وكان واضحاً من عناوين هذه المقالات أنه قد تم استخدام هذه الزجاجات من خلال محاولات عديدة لمعرفة ودراسة تيارات المحيط .

الفصل الرابع

حينما علمت بأمر الرسالة الثالثة ، كانت حياتها تسير بصورة عادية ، وليس فيها أي شيء غير مألوف . فقد كان يوماً من أيام الصيف في بوسطن ، حاراً ، مليئاً بالرطوبة ، تصاحبه نفس الأحداث التي دائماً ما تقع في مثل هذا الطقس ، كوقوع بعض الاعتداءات نتيجة للضغوط الشديدة ، ووقوع جريمة قتل ارتكبهما عدة أشخاص أوصلهم الحر إلى حد الجنون .

كانت تريساً في غرفة الأخبار ، تبحث عن موضوع خاص بمرض التوحد عند الأطفال . وكانت لدى صحيفة البوسطن تايمز قاعدة بيانات رائعة عن المقالات التي نشرت خلال السنوات الماضية في مجالات عديدة ومتنوعة ، وكان يمكن لها من خلال جهاز الحاسب الخاص بها أن تدخل إلى مكتبة جامعة هارفارد أو جامعة بوسطن . وكان احتواء هاتين المكتبتين على مئات الآلاف من المقالات يجعل أي بحث يسيراً وسهلاً ويستغرق وقتاً أقل من الوقت الذي كان يستغرقه البحث عن مثل هذه المقالات منذ سنوات قليلة مضت .

وخلال ساعتين ، كانت قد عثرت على حوالى ثلاثين مقالة نشرت خلال السنوات الثلاث الماضية في صحف لم تسمع بها من

لكن كان هناك ثلاثة مقالات بدت مهمة وشيقة ، وقررت أنه يمكنها أن تقوم بطبعها والاستفادة منها فيما بعد .

كان ظهور المعلومات من خلال شبكة الإنترنت بطيئاً ، وقد استغرقت وقتاً أطول مما توقعت من أجل الدخول إلى المكتبة ونسخ المقالات التي كانت تبحث عنها . وصلت إلى المنزل متأخرة . وبعد أن قامت بطلب طعام الغداء من المطعم الصيني ، جلست على الأريكة وهي تنظر إلى المقالات الثلاثة التي تتناول الرسائل التي تم العثور عليها في زجاجات .

شرعت في قراءة أول مقال ، وكان قد نشر في صحيفة يانكي في شهر مارس العام الماضي . وكان يتناول الرسائل التي تم العثور عليها داخل زجاجات ، وقصصاً موثقة عن الزجاجات التي وجدت على شواطئ نيوانجلاند خلال السنوات القليلة الماضية . وكانت بعض هذه الرسائل رائعة ولا يمكن إغفالها ، وقد استمتعت تريسا بقراءة رسالة عن بوليننا و أيك فيكينج .

لقد عثر والد بوليننا على رسالة موضوعة في زجاجة ، أرسلها بحار سويدي شاب يدعى أيك . وكان أيك يشعر بالملل خلال إحدى رحلاته الكثيرة عبر البحار ، فطلب في رسالته من أي امرأة جميلة تعثر على الرسالة ، أن ترسل إليه الرد عليها ، فأعطى الأب الرسالة إلى ابنته بوليننا والتي قامت بدورها بإرسال رد على رسالته . وأخذ أيك وبوليننا يتبادلان الرسائل ، حتى سافر أيك إلى صقلية لمقابلة بوليننا ، وأدركا مقدار الحب الذي يشعران به تجاه بعضهما البعض وسرعان ما تزوجا .

وفي نهاية الرسالة قرأت فقرتين تتناولان رسالة أخرى تم العثور عليها على شواطئ لونغ أيلاند .

إن معظم الرسائل التي تم العثور عليها في الزجاجات ، تطلب ممن يجدها أن يقوم بالرد عليها ، حيث يأمل الراسل في تبادل الرسائل مدى الحياة ، وفي بعض الأحيان لا ينتظر الراسل أي ردود ، كهذه الرسالة المؤثرة عن الحب المفقود ، والتي تم العثور عليها على شاطئ لونغ أيلاند في العام الماضي وهذا جزء منها :

" إنني يا حبيبتي أشعر بالوحدة الشديدة بدونك ، إنني أبحث دوماً عنك بين الوجوه التي أصادفها . على الرغم من أنني أدرك ، أنه من المستحيل العثور عليك ؛ ولكنني لا أستطيع مقاومة ذلك . إن البحث عنك هو غايتي ومطلبي الذي أدرك جيداً أنني لن أصل إليه أبداً . إنني مازلت أتذكر حديثنا تلك الليلة عن حالنا إذا ما فرقتنا الظروف ، ولكنني يا حبيبتي لا أستطيع الحفاظ على العهد الذي قطعته لك ، سامحيني يا عزيزتي فلن يكون هناك من تحل محلك أبداً ، فما وعدتك به كان حماقة ، وكان يجب أن أدرك حينئذ أنك أنت - ولا أحد سواك - الشيء الوحيد الذي أبتغيه في حياتي . والآن وقد رحلت عني ، فلا هدف لي في هذه الحياة . لقد تعاهدنا معاً منذ زواجنا على ألا يفرقنا شيء سوى الموت ، والآن أثبتت الأيام صدق هذه الكلمات . حتى يأتي اليوم الذي أغادر فيه هذا العالم " .

توقفت تريسا عن تناول الطعام ووضعت شوكة الطعام جانباً وجدت نفسها تحدد إلى كلمات الرسالة وتقول : " مستحيل ! غير معقول ...

لكن ...

لكن من قد يكون سواه ؟

أخذت تصحح جبهتها بيدها ، وأدركت أن يديها ترتعشان .
خطاب آخر ؟ عادت مرة أخرى إلى مقدمة المقال ، لتعرف اسم
كاتبه ، وكان كاتبه د . آرثر شينداكين وهو أستاذ التاريخ بجامعة
بوسطن وهذا يعنى

أنه يسكن هنا في هذه المنطقة

هبت من مقعدها ، وأحضرت مفكرة الهاتف من فوق الحامل
الموجود بالقرب من منضدة غرفة الطعام ، وأخذت تقلب صفحاتها
بحثاً عن الاسم . وكان هناك عدة أسماء تحمل اسم شينداكين ،
على الرغم من وجود اسمين فقد كان من المحتمل أن يكون أحدهما
للشخص الذى تبحث عنه ، حيث إن كلا منهما يقعان تحت
الحرف (أ) ، ونظرت تريساً إلى ساعة يدها قبل أن تطلب الرقم ،
وكانت الساعة التاسعة والنصف . فالوقت متأخر ولكن ليس بدرجة
كبيرة وشرعت فى الاتصال بالأرقام . أجابت على المكالمات الهاتفية
الأولى سيدة أخبرتها أنها قد أخطأت فى طلب الرقم ، فوضعت
سماعة الهاتف . أدركت أن حلقها جاف ، فاتجهت نحو المطبخ
وأحضرت كوباً من الماء . وبعد أن ارتشفت قدراً كبيراً منه ، أخذت
نفساً عميقاً واتجهت مرة أخرى نحو الهاتف .

وتأكدت أنها طلبت الرقم بطريقة صحيحة ، ودق جرس الهاتف
على الجانب الآخر .

مرة .

اثنتين .

ثلاثاً .

ومع سماع الجرس الرابع ، بدأت تفقد الأمل ، ولكن بعد
الجرس الخامس ، سمعت أحدهم يلتقط سماعة الهاتف ، وترامى
إلى مسامعها صوت رجل وهو يقول : " مرحباً " وبدا من صوته أنه
فى العقد السابع من عمره .

تنحنحت قائلة :

" مرحباً ، هذه تريساً أوسبورن من صحيفة بوسطن تايمز ، هل
أنت السيد آرثر شينداكين ؟ "

أجابها وقد بدت الدهشة على صوته : " نعم " .

أخذت تحدث نفسها قائلة : " كوني هادئة " .

قالت : " آه ، مرحباً ، إننى أتحدث فقط لأتأكد إذا ما كنت
أنت آرثر شينداكين الذى كتب المقالة التى نشرت العالم الماضى فى
جريدة يانكى ، والتى تناولت الرسائل التى تم العثور عليها فى
زجاجات " .

قال : " نعم ، إننى أنا الذى كتبت هذه المقالة ، كيف يمكننى
مساعدتك ؟ "

شعرت بأن يديها مبتلتان وهى تمسك بسماعة الهاتف .

وقالت : " إننى مهتمة بإحدى الرسائل التى ذكرت أنه قد تم
العثور عليها فى لونغ أيلاند ، هل تتذكر تلك الرسالة التى أتحدث
عنها ؟ "

" هل لى أن أسأل عن سبب اهتمامك ؟ "

" نعم ، إن الصحيفة ترغب فى كتابة مقال يتناول نفس
الموضوع ، ونحن نريد نسخة من الرسالة " .

شعرت بالاستياء من جراء كذبها ، ولكن الحقيقة بدت أسوأ ،
فكيف كان سيبدو الأمر إذا ما قالت :

" آه ، مرحباً ، إننى مفتونة برجل غامض ، يكتب تلك الرسائل وأتساءل ما إذا كانت الرسالة التى معك تخصه كذلك " .
قال لها : " حسناً ، لا أعرف . إنها الرسالة التى ألهمتني بكتابة المقال . على أن أفكر فى الأمر " .

قالت تريسا وقد جف حلقها : " إذن ، فالرسالة لديك ؟ "

قال : " نعم ، لقد عثرت عليها منذ سنتين " .

" سيد شينداكين ، إننى أدرك أن ذلك مطلب غير عادى ، ولكنك إذا سمحت لنا باستخدام الرسالة ، فيمكن أن يكون ذلك مقابل مبلغ من المال ، ونحن لا نريد سوى نسخة فقط من الرسالة ، واحتفظ أنت بالرسالة الأصلية وبذلك لن نخسر شيئاً " .

شعرت بأن طلبها قد أدهشه .

" ما المقدار الذى يمكن أن تدفعه الصحيفة ؟ "

قالت تريسا لنفسها : " لا أعرف ، إننى لم أخطط لذلك ، كم

تريد أنت ؟ "

ثم قالت له : " نحن نعرض ثلاثمائة دولار ، وبالطبع سنقررك بفضل اكتشاف الرسالة " .

توقف عن الحديث لدقيقة ، فقد كان يقلب الأمر على جميع

الوجوه ، ولكن تريسا بادرتة قائلة حتى لا تمنحه فرصة للرفض :

" سيد شينداكين ، إننى على ثقة من أنك تخشى أن يكون

هناك تشابه بين مقالاتك وبين ما تنوى الصحيفة نشره ، ولكننى

أؤكد لك أنهما سيكونان مختلفين تمام الاختلاف ، فالمقال الذى

نعهه عن اتجاهات الزجاجات التى يتم القاؤها وتيارات المحيط ،

شيء من هذا القبيل ، ونحن نريد فقط بعض الرسائل الحقيقية حتى

تمثل مصدراً لجذب اهتمام القراء .

من أين لى بكل هذا الكلام ؟

" حسناً ... " .

قالت : " أرجوك ، سيد شينداكين ، فهذا يعنى الكثير

بالنسبة لى "

صمت سيد شينداكين للحظات

ثم قال : " مجرد نسخة فقط من الرسالة " .

قالت : " بالطبع ، يمكننى أن أعطيك رقم الفاكس ، أو يمكنك

إرسالها بأى طريقة ، هل تود أن أحرر لك شيكاً بالمبلغ ؟ "

صمت مرة أخرى قبل أن يجيب : " أنا ، ... آه ... أعتقد

ذلك " وبدا وكأنه فى مأزق لا يعرف كيف يخرج منه .

قالت " تريسا " قبل أن يغير رأيه : " أشكرك يا سيد

شينداكين " . وأعطته رقم الفاكس وأخذت عنوانه ، وسجلت

ملاحظة بأنه يجب عليها أن تذهب لتتسلم أمر الدفع . فقد فكرت

أن الأمر سيكون مريباً إذا ما أرسلت أحد شيكاتنا الخاصة .

وفى اليوم التالى ، ذهبت إلى عملها ورأسها يدور ، وذلك بعد أن

قامت بالاتصال بالسيد شينداكين فى مكتبه بجامعة بوسطن من

أجل ترك رسالة بأنه قد تم إرسال المبلغ الذى اتفقا عليه . كان

احتمال وجود رسالة ثانية من جاريت ، يجعل من الصعب عليها

التفكير فى أى شيء آخر ، بالطبع لا يوجد هناك ضمان بأن

الرسالة التى بحوزة شينداكين هى لنفس الشخص ، ولكن ماذا لو

كانت كذلك بالفعل ؟ ماذا عساها أن تفعل ؟ لقد مكثت الليلة

الماضية وهى تفكر فى جاريت ، وهى تحاول أن تتخيل هيئته

والأشياء التى يحب أن يقوم بها . إنها لا تتفهم بعد طبيعة الشاعر

التي تعتربها ، وقررت فى النهاية أن تدع الرسالة هى التى تحدد

الأمر . فإذا لم تكن من قبل جاريت ، فلن تفكر فى هذا الأمر مرة

أخرى وستنساه برمته ، ولن تستخدم الحاسوب . وإذا وجدت أن موضوع الرسالة لازال يسيطر عليها ويستحوذ على تفكيرها ، فستخلص من الرسالتين اللتين معها . فلا بأس من بعض الفضول ، طالما أنه لا يطغى على حياتك . وهي لن تدع ذلك يحدث لها ، لن تجعله يسيطر على حياتها .

ولكن ، ماذا لو كانت الرسالة من جاريت ؟

إنها أيضاً لا تعرف ، كان جزءاً منها يتمنى ألا تكون منه ، حتى لا يكون عليها التفكير في الأمر ثانية .

وحينما دلفت إلى مكتبها ، تعمدت أن تنتظر قبل أن تتجه نحو آلة الفاكس ، فقامت بتشغيل جهاز الحاسوب ، ثم تحدثت مع بعض الأشخاص ، بشأن بعض المقالات التي كانت تكتبها ، ثم سجلت بعض الملاحظات عن موضوعات أخرى - وعندما انتهت من إتمام أعمالها العاجلة ، كانت قد أقنعت نفسها بأن الرسالة ليست من جاريت ، وحدثت نفسها بأن هناك الآلاف من الرسائل التي تطفو على سطح المحيط ، فأغلب الاحتمالات أنها من شخص آخر .

وأخيراً ، اتجهت نحو آلة الفاكس ، فلم يكن هناك شيء آخر عليها إنجازها ، ونظرت خلال كومة الأوراق الموضوعية على حامل الفاكس ، والتي لم يتم فرزها بعد . كانت هناك العشرات من الأوراق الموجهة لمختلف الأشخاص ، ووجدت في منتصف هذه الكومة من الأوراق غلافاً لخطاب موجه لها ومرفق به صفحتان . وأول شيء لاحظته حينما أمعنت النظر في هذه الأوراق هو وجود رسم سفينة مبحرة في الجانب الأيمن من أعلى الخطاب - كما هو الحال مع الرسالتين الأخريين - ولكن هذه الرسالة كانت أقصر من

الرسائل الأخرى فقرأتها قبل أن تعود إلى مكتبها . وكانت آخر فقرة في الرسالة هي تلك التي أوردها آرثر شينداكين في مقاله .

٢٥ سبتمبر ١٩٩٥

حبيبتي كاثرين

لقد مر شهر منذ آخر مرة كتبت فيها ، ولكنه بدا بالنسبة لي أطول من ذلك ، فالحياة تَمْضِي الآن وكأنها مشهد يطل علينا من نافذة السيارة . حقاً إنني أتنفس وأتناول طعامي وأنا وأمارس كل ما اعتدت عليه ، لكن لا يوجد هدف في حياتي أسعى لتحقيقه . فحياتي بلا معنى ، فأنا هائم على وجهي كالرسالة التي أكتبها الآن . فلا أعرف وجهتي .

حتى عملي لا يفلح في أن يزيل آلامى أو يخففها . إننى بالفعل أمارس رياضة الغوص وأعلمها للآخرين ، ولكن حينما أعود إلى المتجر ، أجده خالياً موحشاً بدونك . وأحياناً وبينما أؤدي عملي من بيع وشراء ودون وعى أجدنى أنادى باسمك ، وإننى أتساءل وأنا أكتب ذلك الآن ، متى سينتهى كل ذلك ؟

" إننى يا حبيبتي أشعر بالوحدة الشديدة بدونك . إننى أبحث دوماً عنك بين الوجوه التي أصادفها ، على الرغم من أنى أدرك أنه من المستحيل العثور عليك إلا أننى لا أستطيع مقاومة ذلك . إن البحث عنك هو غايتى ومطلبى الذى أدرك جيداً أننى لن أصل إليه أبداً . إننى لازلت أتذكر حديثنا تلك الليلة عن حالنا إذا ما فرقتنا الظروف ، ولكننى يا حبيبتي لا أستطيع الحفاظ على العهد الذى قطعته لك ، سامحيني يا عزيزتى فلن يكون هناك من يحل محلك أبداً ، فما وعدتك به كان حماقة ، وكان يجب أن أدرك حينئذ أنك أنت - ولا أحد

سواك - الشيء الوحيد الذى أبغاه فى حياتى ، والآن وقد رحلت عنى ، فلا هدف لى فى هذه الحياة . لقد تعاهدنا سوياً منذ زواجنا على ألا يفرقنا شيء سوى الموت ، والآن أثبتت الأيام صدق هذه الكلمات حتى يأتى اليوم الذى أغادر فيه هذا العالم .

جاريت

بعد أن انتهت تريسا من قراءة الرسالة ذهبت إلى مكتب ديانا وقالت لها : " ديانا ، هل تسمحين بدقيقة ، إننى أريد التحدث إليك . "

حولت ديانا نظرها عن جهاز الحاسوب وخلعت نظارتها وقالت : " بالطبع ، ولكن ما الخطب ؟ " وضعت تريسا الرسائل الثلاث على مكتب ديانا دون أن تنبس بكلمة ، وأخذت ديانا تقلب بصرها عبر الرسائل وقد اتسعت عيناها فى دهشة .

ثم قالت : " من أين حصلت على هاتين الرسالتين ؟ " شرحت لها تريسا كيف حصلت عليهما ، وحينما انتهت ، أخذت ديانا تقرأ الرسائل فى صمت وجلست تريسا على المقعد المقابل لها .

قالت ديانا بعد أن انتهت من قراءة الرسالة الأخيرة : " إذن ، فقد كنت تخفين عنى هذا السر ، أليس كذلك ؟ "

فهزت تريسا كتفيها ، بينما أردفت ديانا ، قائلة : " إن الأمر ليس مجرد عثورك على هذه الرسائل ، بل هناك ما هو أكثر من ذلك ، أليس كذلك ؟ "

أجابت تريسا : " ماذا تعنين ؟ "

قالت ديانا بابتسامة مأكرة : " أعنى أنك لم تأت إلى هنا فقط لأنك عثرت على تلك الرسائل ، ولكن لأنك تهتمين بهذا المدعو جاريت . "

بدت الدهشة على وجه تريسا ، فضحكت " ديانا " وقالت : " لا تندهشى يا تريسا ، فإننى لست بهذا القدر من الغباء . فإننى أعرف أن هناك شيئاً كان يجرى فى الأيام القليلة الماضية ، فلقد كان ذهنك مشتتاً ، وكنت أرغب فى التحدث إليك ، ولكننى كنت أعرف أنك ستخبرينى حينما تكونين على استعداد لذلك . "

" كنت أعتقد أننى ناجحة فى إخفاء الأمر . "

" ربما بالنسبة للآخرين ، أما بالنسبة لى ، فأنا أعرفك منذ فترة طويلة تكفى لأدرك أى تغيير يطرأ على حياتك ، والآن أخبرينى ما الخطب ؟ "

فكرت " تريسا " للحظات ثم قالت :

" إن الأمر محير وغريب ، أعنى ، أننى لا أتوقف عن التفكير فيه ، ولا أعرف لِمَ . وكأننى لازلت فى المدرسة الثانوية مرة أخرى ، ومغرمة بشخص لم أقابله فى حياتى ، وهذا شيء سيئ ، فأنا لم أتحدث إليه من قبل ، بل لم أره قط من قبل ، وقد يكون هذا الشخص فى السبعين من عمره . "

رجعت ديانا بظهرها إلى الوراى على المقعد وأومات برأسها قائلة : " هذا حقيقى ، ولكنك لا تعتقدين ذلك ، أليس كذلك ؟ "

هزت تريسا رأسها فى بطة وقالت : " لا أعتقد ذلك بالفعل . "

قالت ديانا وهي تمسك بالرسائل الثلاث مرة أخرى : " ولا أنا أيضاً ، فهو يتحدث عن كيفية وقوعهما في الحب ، حينما كانا صغيرين . ولم يذكر شيئاً عن وجود أى أطفال ، وهو يقوم بتعليم الآخرين رياضة الغوص ، ويتحدث عن كاترين هذه وكأنه تزوجها منذ سنوات قلائل ، لذا فأنا أشك أن يكون متقدماً في العمر . "

" وهذا ما فكرت فيه أنا الأخرى . "

" هل ترغبين في معرفة رأيي ؟ "

" قطعاً . "

قالت ديانا بحذر : " أعتقد أنه يجب عليك الذهاب إلى ويليمنجتون ومحاولة العثور على جاريت . "

" ولكن يبدو الأمر ... يبدو سخيلاً ، حتى بالنسبة لي - "

" لم ؟ "

" لأنني لا أعرف أى شيء عنه . "

" إنك تعرفين عن جاريت الآن أكثر مما أعرفه أنا عن بريان قبل أن أقابله ، بالإضافة إلى ذلك أنا لم أطلب منك الزواج منه ، إنني فقط أقول لك أن تبحثي عنه ، وقد تجدين أنه لا يناسبك على الإطلاق ، ولكن على الأقل تكون الأمور قد اتضحت ، أليس كذلك ؟ أعني لن يضيرك ذلك في شيء . "

" ولكن ماذا لو ... وتوقفت ، فأكملت ديانا جملتها قائلة :

" ماذا ، لو لم يكن هو النموذج الذى بخيالك ؟ تريسا ، إنني على ثقة من أنه ليس الشخص الذى تتمنيه بالفعل ، ولا يوجد شخص كذلك ، ولكن فى رأيي أن هذا لا ينبغي أن يؤثر على قرارك . وإذا كنت تعتقدين أنك ترغبين فى معرفة المزيد ، فاذهبي . وأسوأ شيء يمكن أن تقابليه ، هو أنك لا تجدين أنه الشخص المناسب الذى تبحثين عنه ، وماذا ستفعلين حينئذ ؟ "

ستعودين مرة أخرى إلى بوسطن ، ولكن بعد أن تكونى قد عرفت الإجابة عن كل تساؤلاتك ، فما ضرر ذلك إذن ؟ أعتقد أنه ليس هناك أسوأ مما تمرين به الآن "

" ألا توافقيننى أن الأمر كله ضرب من الجنون ؟ "

هزت ديانا رأسها باهتمام وقالت : " تريسا ، لكم وددت منذ فترة طويلة أن تصادفى رجلاً مناسباً فى حياتك . وكما أخبرتك حينما كنا نمضى الإجازة معاً ، أنك بالفعل تستحقين رجلاً مناسباً يشاركك حياتك . وإننى الآن لا أعرف إلى أين ستنتهى الأمور مع جاريت . ولكن فى اعتقادي ، أنها لن تؤدي إلى شيء ، ولكن هذا ليس معناه ألا تحاولي ، فإذا اعتقد كل شخص أنه سيفشل إذا خاض أى تجربة ، فما كنا لنصل إلى ما نحن فيه الآن . "

صمتت ديانا لدقيقة ثم قالت : " إنك تتناولين الأمر بأسلوب منطقي أكثر من اللازم .. "

لم تكثر ديانا لاعتراضها وقالت : " إننى أكبر منك سنناً ، ولقد واجهت الكثير طوال حياتي . وأحد الأشياء التى تعلمتها فى حياتي هى أنه يكون على المرء فى بعض الأحيان اقتناص الفرصة ، وبالنسبة لك ، فهى ليست بالفرصة الكبيرة ، أعني ، أنك لن تتخلي عن زوجك وعائلتك من أجل أن تعثرى على هذا الشخص ، ولن تتركى عملك وتبحثي عنه . بل أنت فى حقيقة الأمر فى موقف رائع ، ولن تخسرى شيئاً . فإذا رغبت بالذهاب ، فاذهبي ، أما إذا كانت رغبتك عكس ذلك ، فلا تذهبي . إن المسألة فى غاية البساطة ، بالإضافة إلى أن كيفن ليس موجوداً معك ، ومازالت لديك إجازات عديدة هذا العام . "

بدأت " تريسا " تقوم بثنى خصلة من خصلات شعرها ثم سألتها :

" وماذا عن مقالى ؟ "

" لا تقلقى بشأنه ، فلا زال لدينا المقال الذى كتبته من قبل ، ولم ننشره لأننا قمنا بنشر الرسالة بدلاً منه ، ثم يمكننا بعد ذلك أن ننشر مقالين من الأعمام السابقة . فمعظم الصحف ، لم تنشر مقالاتك كلها بعد ، لذا فلن يدركوا الفرق . "

" إنك تبسطين الأمور . "

" إنها كذلك بالفعل ، أما الشيء الصعب فعلاً فهو عثورك عليه . ولكننى أعتقد أن هذه الرسائل تحتوى على بعض المعلومات التى يمكن الاستفادة منها لمعاونتك ، ما رأيك فى إجراء بعض المحادثات الهاتفية وبعض البحث من خلال الحاسوب ؟ "

ساد الصمت لفترة .

قالت تريسا أخيراً : " حسناً ، ولكننى أتمنى ألا أندم فيما بعد . "

ثم سألت ديانا قائلة : " إذن ، من أين يمكننا أن نبدأ ؟ "

وجذبت مقعدها وجلست قبالة مكتب ديانا .

قالت ديانا : " أولاً ، دعينا نبدأ بما نحن واثقون فى صحته . فأننا نعتقد أن اسمه جاريت بالفعل ، فهذا هو الاسم الذى يستخدمه فى توقيع جميع الرسائل . ولا نعتقد أنه قد اهتم باستخدام اسم آخر خلاف اسمه الحقيقى . فقد كان من الممكن أن يفعل ذلك إذا كان قد كتب رسالة واحدة فقط ، ولكن بما أنه قد قام بإرسال ثلاث رسائل ، فإننى على ثقة من أن ذلك هو اسمه الأول أو الأوسط ، وفى كلتا الحالتين فهو الاسم الذى يدعونه به . "

أضافت تريسا قائلة : " ومن المحتمل أن يكون فى ويلمينجتون ، أو شاطى راييتسفيل ، أو أى مكان قريب منهما . "

أومأت ديانا برأسها قائلة : " وكل رسائله تتحدث عن المحيط أو موضوعات تتعلق به . وبالطبع هذا هو المكان الذى كان يلقي منه الزجاجات ، وواضح أيضاً من لهجة الرسائل ، أنه كان يكتبها حينما يكون وحيداً أو يفكر فى كاثرين . "

" هذا رأى أنا أيضاً ، فلم يذكر أى مناسبات خاصة فى الرسائل ، بل إنه يتحدث عن حياته اليومية ، وما يمر به . "

أومأت ديانا وقد ازداد شعورها بالإثارة كلما اكتشفنا المزيد من المعلومات وقالت : " عظيم ، وقد كانت هناك سفينة اسمها ... "

" هاينستانس ، وقد ذكرت الرسالة أنهما قاما بإصلاحها وكانا يبحران سوياً ، فهى فى الغالب سفينة شراعية . "

قالت ديانا : " دونى ذلك ، يمكننا أن نعرف الكثير عن ذلك من خلال الهاتف ، فقد يكون هناك مكان يقوم بتسجيل أسماء المراكب . وأعتقد أنه بإمكانى أن أطلب ذلك من صحيفتنا هنا ، هل هناك شيء آخر فى الرسالة الثانية ؟ "

" لا أعتقد أن هناك شيئاً يمكن أن يفيدنا ، ولكن الرسالة الثالثة بها معلومات أكثر ، فمن خلال ما كتبه ، يتضح شيئان . "

قاطعتها ديانا قائلة : " الأول ، أن كاثرين قد توفيت بالفعل . "

" ويبدو من الرسائل أنه يمتلك متجراً لتأجير أدوات الغطس ، حيث كان يعمل مع كاثرين . "

" هذا شيء آخر علينا تدوينه ، وأعتقد أنه بإمكاننا معرفة المزيد عن عمله من خلال تلك المعلومة ، هل هناك شيء آخر ؟ "

" لا أعتقد . "

" هذه بداية طيبة ، وقد يكون الأمر أبسط مما نتخيل ، علينا الآن إجراء بعض المحادثات الهاتفية . "

وكان أول اتصال أجرته ديانا هو لصحيفة ويلمينجتون وهي الصحيفة التي تصدر في تلك المنطقة . حيث قامت ديانا أولاً بتعريف شخصيتها ، ثم طلبت أن تتحدث إلى الشخص المتخصص في الموضوعات التي تتعلق بالرياضة والتنزه بالقوارب . وبعد أن تم تحويلها مرتين ، وجدت نفسها تتحدث مع السيد زاك نورتون وهو الشخص المسئول عن تغطية موضوعات رياضة الصيد والرياضات الأخرى التي تمارس في البحار . وبعد أن أوضحت أنها تريد أن تسأل عما إذا كان هناك مكان يحتفظ بسجل بأسماء المراكب ، أخبرها أنه " لا يوجد مثل هذا السجل في أي مكان " .

فقد أخبرها السيد زاك نورتون في بطنه : " إن المراكب يتم تسجيلها عن طريق إعطائها أرقاماً مثل السيارات . ولكن إذا كان لديك اسم الشخص ، فبإمكانك العثور على اسم المراكب من خلال الاستمارة وذلك إذا كانت مدرجة . وعلى الرغم من أنها معلومة غير مطلوبة ، ولكن الكثيرين يقومون بتدوينها " وقامت ديانا بكتابة جملة " لا يتم تسجيل المراكب بأسمائها " على المفكرة الموضوعية أمامها ، ثم عرضتها على تريسا .

قالت تريسا في هدوء : " لقد وصلنا إلى طريق مسدود " . وضعت ديانا يدها على سماعة الهاتف ، وقالت في همس : " ربما نعم وربما لا ، لا تستسلمي لليأس هكذا في سهولة " . وبعد أن شكرت زاك نورتون على اقتطاعه جزءاً من وقته لإعطائهم تلك المعلومات ، أخذت ديانا تنظر إلى المعلومات التي جمعتها ، وأخذت تفكر لدقيقة ، ثم قررت أن تتصل بدليل الهاتف من أجل الحصول على أرقام هواتف المتاجر التي تباع أدوات رياضة الغوص في ويلمينجتون .

أخذت تريسا ترقب ديانا وهي تسجل أسماء وأرقام هواتف أحد عشر متجراً ، وسألها العامل الذي يقوم بالرد على المكالمات : " هل هناك أي استفسارات أخرى يا سيدتي ؟ " أجابته " ديانا " : " لا ، شكراً على مساعدتك " .

أعدت سماعة الهاتف ونظرت إليها تريسا في فضول وقالت : " على أي شيء ستسألين حينما تقومين بالاتصال ؟ " " سأسأل عن جاريت " .

شعرت تريسا وكأن قلبها قد توقف عن النبض وقالت : " هكذا ببساطة " . قالت ديانا وقد علت وجهها ابتسامة وهي تقوم بالاتصال بأول رقم : " نعم ، هكذا ببساطة " ، ثم أشارت إلى تريسا لتقوم برفع سماعة الهاتف الآخر وهي تقول : " حتى تستمتعي وتقومي بالرد إذا ما كان هو جاريت " ، وانتظرتا حتى يقوم أحد من متجر أتلانتيك ادفينشر بالتقاط سماعة الهاتف ، والرد ، وكان هذا هو اسم أول متجر حصلنا عليه .

وحينما التقط أحدهم سماعة الهاتف أخيراً ، أخذت ديانا نفساً عميقاً ، وسألت بود عن جاريت ليقوم بإعطائهم دروساً في رياضة الغوص ، ولكن جاءها الصوت من على الجانب الآخر وهو يقول : " آسف ، يبدو أنك قد أخطأت الرقم " ، فاعتذرت ديانا ، وأعدت سماعة الهاتف . ثم تلقوا نفس الإجابة في الخمس مكالمات التالية ، ثم انتقلت ديانا إلى الاسم التالي في القائمة وقامت بالاتصال به ، ولأنها كانت تتوقع نفس الإجابة ، فقد اعترتها الدهشة حينما تردد الشخص الذي كان يرد على الجانب الآخر ، وقال :

" هل تتحدثين عن جاريت بليك ؟ "

جاريت

شعرت تريسا عند سماع اسمه أنها ستسقط من فوق مقعدها ،
وكانت إجابة ديانا بالإيجاب ، فاستطرد الرجل قائلاً :

" إنه يمتلك مركز إيلاند ديفينج ، ولكن ألن تحتاجي إلى
أى مساعدة من جانبنا ؟ فلدينا بعض دروس الغوص على وشك
البدء " .

ولكن " ديانا " اعتذرت قائلة : " لا ، أنا آسفة ، فلقد وعدت
جاريت أنني سأبدأ معه " وحينما أعادت سماعه الهاتف ، كانت
تعلو وجهها ابتسامة عريضة .

ثم قالت : " لقد اقتربنا من غايتنا " .

" لا أستطيع أن أصدق أن الأمر بهذه البساطة " .

" إذا فكرت في الأمر جيداً يا تريسا ، فلن تجديه بسيطاً
بالفعل ، وسيكون مستحيلاً ما لم تعثرى على أكثر من رسالة " .

" هل تعتقدين أنه هو جاريت الذى نبحت عنه ؟ "

فأرجعت رأسها للخلف ورفعت حاجبيها وقالت : " ألا

تعتقدين ذلك أنت ؟ "

" لا أعرف بعد ، ربما " .

لم تكثرث ديانا لإجابتها وقالت : " على كل ، سنعرف
الإجابة حالاً ، فالأمر قد أصبح مسلياً " .

ثم طلبت ديانا دليل الهاتف مرة أخرى ، وحصلت على رقم
هاتف المكان الذى يتم فيه تسجيل السفن فى ويلمينجتون . وبعد

الاتصال بالرقم ، أخبرت الشخص الذى جاءها على الناحية
الأخرى بهويتها ، ثم طلبت أن تتحدث إلى من يمكن أن يساعدها

فى التحقق من صحة معلوماتها . ثم قالت للسيدة التى قامت
بالرد على الهاتف : " لقد كنت أمضى الإجازة أنا وزوجى فى

ويلمينجتون ، حيث تعطل المركب الذى كنا نستقله . ولقد قام

بمساعتنا هذا السيد المهذب حتى عدنا إلى الشاطئ ، وكان يدعى
جاريت بليك . وأعتقد أن اسم مركبه هو هابينستانس ، ولكننى
أريد أن أتأكد من هذه المعلومات وأنا أكتب قصتى " .

واستطردت ديانا ، ولم تترك الفرصة للسيدة كى تتفوه بكلمة ،
وأخبرتها بلحظات الرعب التى عاشتها ، وكيف قام جاريت

بإنقاذهم . ثم أخذت تتملق السيدة وتخبرها بمدى لطف الناس فى
الجنوب وبخاصة فى ويلمينجتون ، وكيف أنها تريد أن تكتب قصة

عن كرم الضيافة فى الجنوب وحسن معاملة الأجانب ، فجعلت
السيدة على أتم استعداد لمعاونتها ، وقالت : " حيث إنك تبغين

التأكد من صحة معلوماتك ، وألا تسأل عن أى شيء ، لا تعرفينه ،
فلن تكون هناك أية مشكلة ، انتظرى للحظة " .

أخذت ديانا تدق بأصابعها على مكتبها ، وهى تستمع لأصوات
بارى ميلنو تأتيها عبر الهاتف ، ثم التقطت السيدة السماعه

وحدثتها قائلة :

" سنرى الآن " واستمعت ديانا عبر الهاتف لصوت السيدة
وهى تدق لوحة المفاتيح ، ثم أعقب ذلك صوت صفارة غريبة ، وبعد

مرور دقيقة ، تفوهت السيدة بالكلمات التى تمننت أن تسمعها كل
من ديانا وتريسا .

حيث قالت : " نعم ، ها هو ، جاريت بليك ، مم
فالاسم صحيح ، بالنسبة للمعلومات التى لدينا على الأقل ،

ومسجل أمامى هنا أن اسم المركب هو هابينستانس " .
شكرتها ديانا بحرارة ، وسألتها عن اسمها حتى يتسنى لها

الكتابة عن شخصية أخرى تجسد كرم الضيافة وحسن المعاملة فى
الجنوب وبعد أن دونت اسمها وتأكدت من الأحرف جيداً ، أغلقت

سماعة الهاتف وهى تبسم .

ثم قالت بصوت تغلب عليه رنة الانتصار : " جاريت بليك ، اسم كاتبنا الغامض هو جاريت بليك " .

" لا أصدق أنك عثرت عليه " .

أومأت " ديانا " برأسها موافقة ، وكأنها قد أتمت إنجاز شيء كانت تشك في إتمامه وقالت : " صدقيني ، فلا تزال صديقتك العجوز تعرف كيف تقوم بالبحث عن المعلومات " .
" بالفعل " .

" هل ترغبين في معرفة أى شيء آخر ؟ "

فكرت تريسا للحظة ، وقالت : " هل تستطيعين جمع أى معلومات عن كاثرين ؟ "

هزت ديانا كتفيها واستعدت للمهمة وقالت : " لا أعرف ، ولكن يمكننا أن نحاول . دعينا نتحدث إلى الجريدة لنرى إذا ما كان هناك أى شيء فى سجلاتهم . فإذا كانت الوفاة نتيجة حادث ، فمن المؤكد أنها قد نشرت " .

ومرة ثانية ، قامت ديانا بالاتصال بالجريدة وسألت عن قسم الأخبار ، ولسوء الحظ ، فبعد أن تحدثت مع شخصين من العاملين فى الجريدة ، علمت بأن الصحف التى كانت تصدر منذ سنوات مضت تحفظ على قطعة من شريط ممغنط ، ولن يتم الدخول عليه بسهولة دون معرفة التاريخ المحدد . ثم حصلت ديانا على اسم الشخص الذى كان يجب على تريسا الاتصال به إذا ذهبت إلى قسم الأخبار ، وذلك فى حالة إذا ما رغبت فى التعرف على هذه المعلومات بنفسها .

دونت ديانا الاسم ، وترددت تريسا ، ونظرت إليها ديانا للحظات ، ثم وضعت الورقة على مكتبها ، والتقطت سماعة الهاتف مرة أخرى .

فسألتها تريسا : " مع من ستحدثين ؟ "

" مع شركة السياحة ، فإنك ستكونين بحاجة لحجز رحلة طيران وإلى مكان لتقيمي به " .

" ولكنى لم أقرر الذهاب بعد " .

" ولكنك ستذهبين " .

" ومن أين جئت بهذا اليقين ؟ "

" لأننى لن أدعك تمكثين هنا فى حجرة الأخبار حتى العام التالى تقساءلين ما الذى كان يمكن أن يحدث ، فأنت لا تقومين بعملك على أكمل وجه حينما يكون ذهنك مشغولاً " .

" ديانا ... "

" لا تقولى ديانا ، فإن الفضول سيدفعك إلى حافة الجنون ، فإنه يقتلنى أنا أيضاً بالفعل " .

" ولكن ... "

" لا يوجد " لكن " ، ثم توقفت عن الحديث للحظة ، ثم تحدثت بأسلوب أكثر رقة وقالت : " تريسا ، تذكرى أنك لن تخسرى شيئاً ، وأسوأ ما يمكن أن يواجهك هو أن تعودى مرة أخرى إلى هنا فى غضون يومين ، هذا كل ما فى الأمر . إنك لن تسافرى من أجل البحث عن قبيلة لآكلى لحوم البشر ، بل إنك ستذهبين من أجل أن تعرفى إذا ما كان فضولك هذا فى محله أم لا " .

صمتت الاثنتان وهما تحديقان إلى بعضهما البعض ، وكانت ترتسم على وجه ديانا ابتسامة مصطنعة ، وشعرت تريسا بأن نبضها يتزايد حيث إن عليها اتخاذ القرار وحدثت نفسها قائلة : " يا إلهى ! هل أنا أحلم ، هل على أن أخوض كل هذا ؟ إننى لا أصدق أننى أخوض كل هذا " .

وأخذت تحاول محاولة أخيرة فاترة من أجل عدم الذهاب للبحث عن جاريت .

وقالت : " إننى لا أعرف ماذا سأقول له إذا ما قابلته " .

قالت " ديانا " : " إننى على ثقة من أنك ستفكرين فى شىء ما ، والآن دعينى أقوم أنا بهذه المكالمة الهاتفية . هيا ، أحضرى حافظة نقودك ، فإننى سأحتاج إلى رقم بطاقة ائتمانك " .

كان عقل تريسا مشغولاً حينما عادت إلى مكتبها ، جاريت بليك ، ويلمينجتون ، مركز أيلاند ديفينج . أخذت هذه الكلمات تتردد فى ذهنها ، وكأنها تقوم بالتدرب على أداء جزء من مسرحية .

قامت بفتح الدرج الأسفل حيث تقوم بحفظ حافظة نقودها وصمتت للحظة قبل أن تعود إلى مكتب ديانا ، وكان هناك شىء آخر يسيطر على تفكيرها ، ولكنها فى النهاية قامت بإعطاء حافظة النقود إلى ديانا ، فقد كان عليها أن ترحل فى الليلة التالية إلى ويلمينجتون فى ولاية نورث كارولينا .

واقترحت عليها ديانا أن تأخذ بقية اليوم ، وكذلك اليوم الذى يليه إجازة ، وشعرت تريسا عند مغادرتها المكتب ، بأنها قد وضعت فى مأزق تماماً كالذى وضعت فيه السيد شينداكين من قبل .

ولكن على عكس السيد شينداكين ، فقد كانت تشعر بالسعادة فى أعماقها . وحينما هبطت الطائرة فى ويلمينجتون فى اليوم التالى ، ذهبت إلى الفندق وسجلت اسمها هناك وهى تتساءل ما الذى سيؤدى إليه كل هذا ؟

الفصل الخامس

نهضت تريسا مبكراً فى اليوم التالى كعادتها دائماً واتجهت نحو النافذة ، وكانت شمس نورث كارولينا تبعث بأشعتها الذهبية لتخترق ضباب الصباح ، وقامت بفتح باب الشرفة لتجدد هواء الغرفة .

ثم ذهبت لتأخذ حماماً ، وخلعت ملابسها ووقفت فى حوض الاستحمام . وأخذت تفكر وتحدث نفسها بأنها لم تتجشم عناء كبيراً للوصول إلى هنا ، فمنذ أقل من ثمان وأربعين ساعة ماضية كانت تجلس مع ديانا وهما تعيدان قراءة الرسائل ، وتجريان مكالمات هاتفية ، وتبحثان عن جاريت ، وبمجرد أن عادت إلى منزلها فى ذلك اليوم تحدثت إلى جاريتها إيلا التى وافقت على العناية بـ " هارفى " مرة أخرى ، والاحتفاظ بكل ما يصلها من خطابات .

وذهبت " تريسا " فى اليوم التالى إلى المكتبة لتقرأ عن رياضة الغوص وأدواتها ، فقد بدا من المنطقى أن تبدأ بذلك . فقد علمتها السنوات التى قضتها كمحررة ألا تعتبر أى معلومات لديها كشىء مسلم به ، ولكن عليها أن تقوم بوضع خطة لأى عمل أولاً ، وتبذل قصارى جهدها فى الإعداد لأى شىء .

وكانت الخطة التي أعدتها في منتهى البساطة ، فستذهب إلى مركز إيلاند ديفينج ، وتتجول عبر المتجر على أمل أن تلقى نظرة على جاريت بليك .

فإذا اكتشفت أنه رجل في السبعين من عمره أو طالب في العشرين ، فكل ما ستفعله هو أن تعود أدراجها مرة أخرى . ولكن إذا صدق حدسها هي وديانا ، وبدا أنه يقاربها في العمر ، فستحاول أن تتحدث معه . ولهذا فهي ستقضى بعض الوقت لتعرف بعض المعلومات عن رياضة الغوص - حيث تريد أن تبدو أمامه وكأنها على دراية بها . وربما من خلال ذلك تستطيع أن تعرف المزيد عنه ، وذلك إذا ما تحدثت معه عن شيء يوليه اهتمامه ، دون أن تخبره بالكثير عن نفسها ، وبهذا تكون أكثر إحاطة بالأمور .

ولكن ماذا بعد ؟ هذا هو ما لم تحدده إلى الآن . فهي لا تريد أن تخبر جاريت بسبب قدومها ، فسيبدو ذلك له كأنه ضرب من الجنون ، فهل من المعقول أن تقول له : " مرحباً ، لقد قرأت رسائلك التي كنت تبعث بها لـ " كاثرين " ، وعلمت إلى أي مدى كان حبك لها ، وإنني اعتقدت أنك قد تكون الرجل الذي أبحث عنه " ، كلا ، فهذا غير معقول . لا يمكن أن تقول له ذلك ، ولا يبدو أيضاً لائقاً أن تقول له : " مرحباً ، إننى أعمل بصحيفة البوسطن تايمز ، ولقد عثرت على رسائلك ، فهل بإمكاننا كتابة موضوع عنك " ، كلا ، هذا لا يبدو مناسباً . وكذلك لم تبد أى فكرة من الأفكار التي طرأت على ذهنها مناسبة أيضاً .

ولكن على الرغم من أنها لا تعرف ماذا ستخبره فإنها لم تقطع كل هذه المسافة لتتخلى عن الفكرة وتستسلم لليأس الآن . وكما

أخبرتها ديانا ، فإذا لم تجده الشخص المناسب ، فستعود إلى بوسطن بكل بساطة .

انتهت من الاستحمام ، وأخذت تجفف جسدها ، قبل أن تضع بعضاً من مرطب الجسم على يديها وذراعيها . ثم ارتدت قميصاً أبيض ذا أكمام قصيرة ، وسروالاً من القطن وحذاءً أبيض . فقد أرادت أن تبدو على طبيعتها وقد بدت كذلك بالفعل ، ولم تكن تريد الظهور بمظهر مُلفت حيث إنها ترغب فى تقييم الموقف من وجهة نظرها ، دون أن تلفت نظر أى شخص آخر .

وحيثما كانت على استعداد للذهاب ، وجدت دفتر الهاتف ، فأخذت تقلب صفحاته ودونت عنوان مركز إيلاند ديفينج على قطعة صغيرة من الورق . وبعد لحظات ، كانت تسير عبر الردهة ، وأخذت تردد كلمات ديانا .

توقفت عند أحد المتاجر ، حيث ابتاعت خريطة لمنطقة ويلمينجتون ، وقد أعطاها البائع أيضاً خريطة بالاتجاهات ، وقد وجدت طريقها بسهولة على الرغم من أن ويلمينجتون كانت أكبر مما تصورت . وكانت الشوارع تكتظ بالسيارات وبخاصة وهى تعبر الكبارى التي تقود إلى الجزر القريبة من الساحل .

كان الوصول إلى شاطئ كيور ، وشاطئ كاروليننا وشاطئ رايتسفيل يتم عن طريق المرور عبر الكبارى التي تقطع المدينة ، حيث كانت معظم السيارات تتجه إليها .

كان مركز إيلاند ديفينج يقع بالقرب من المكان الذى ترسو فيه القوارب . وبمجرد أن شقت طريقها عبر المدينة ، أصبح المرور أقل ازدحاماً . وبعد أن وصلت إلى الطريق الذى تريده ، قامت بتهدئة سرعة السيارة وأخذت تبحث عن المركز .

ومن حيث انعطفت بالسيارة ، لم يكن المركز على مسافة بعيدة . وكان يقف أمام المركز عدد قليل من السيارات كما تمننت ، وقامت بإيقاف سيارتها على بعد أمتار قليلة من المدخل .

كان المبنى خشبياً باهت اللون نتيجة للهواء المالح ، ونسيم المحيط . وكان أحد جانبي المبنى يواجه مياه المحيط ، وكانت لافتة المركز المكتوبة بخط اليد معلقة بسلسلتين صدئتين ، وكانت تبدو على النوافذ آثار آلاف العواصف المطيرة التي هبت على المكان .

غادرت سيارتها ، وأزاحت شعرها الذي تطاير على وجهها ، واتجهت نحو مدخل المركز . وتوقفت قبل أن تقوم بفتح بابه ، وذلك من أجل أن تأخذ نفساً عميقاً وتستجمع أفكارها ، ثم دلفت إلى الداخل . وبذلت قصارى جهدها للتظاهر بأنها جاءت إلى المركز من أجل أسباب عادية .

أخذت تتجول ببصرها عبر المكان ، وهي تسير بين ممراته وتشاهد مختلف عملائه وهم يجذبون الأدوات ، أو يبدلون منها من فوق الأرفف . وأخذت ترقب كل فرد كان يبدو أنه يعمل في المركز ، وتنظر خلسة لكل رجل هناك وهي تتساءل إذا ما كان هو جاريت ، ولكن كان يبدو أنهم جميعاً زبائن في المتجر .

شقت طريقها نحو مؤخرة المتجر ، ووجدت نفسها تحديق إلى مجموعة من المقالات التي نشرت في الصحف والمجلات الموضوعية في أطر ومعلقة فوق الأرفف ، وبعد إلقاء نظرة سريعة ، انحنت للأمام من أجل إلقاء نظرة جيدة . وفجأة أدركت أنها عثرت على الإجابة لأول سؤال عن جاريت بليك الغامض .

أخيراً عرفت كيف يبدو .

كان أول مقال - مطبوع من إحدى الصحف - يتناول رياضة الغوص ، وكان التعليق المكتوب تحت الصورة يقول : " جاريت بليك من مركز إيلاند ديفينج يستعد لإعطاء أول درس من دروسه في رياضة الغوص في المحيط " .

وكان جاريت في الصورة يقوم بإصلاح وضع الشريط الذي يحمل خزان الأكسجين فوق ظهر أحد الطلاب ، وأدركت من خلال صورته ، أنها هي وديانا كانتا على حق في رأيهما عنه . فقد بدا أنه في الثلاثينيات من عمره ، وكان وجهه نحيفاً وشعره بني اللون قصيراً . ويبدو أن لونه قد تغير قليلاً نتيجة للساعات التي يقضيها في الشمس ، وكان أطول من الطالب بنحو بوصتين ، وكان القميص بدون الأكمام الذي يرتديه يكشف عن عضلات مفتولة .

لم تستطع تحديد لون عينيه جيداً ، لأن الصورة كانت باهتة قليلاً ، على الرغم من أنها استطاعت أن تحدد أن وجهه كان يعميل إلى الحمرة بفعل عوامل الجو . وخيل إليها أنها رأت بعض التجاعيد بجانب عينيه ، والتي قد يكون سببها النظر كثيراً إلى الشمس .

أخذت تقرأ المقال بعناية ، لتعرف متى يقوم بإعطاء دروسه ، وبعض المعلومات عن كيفية الحصول على الشهادات في الغوص . أما المقالة الثانية فلم تحتو على أية صور ، ولكنها كانت تتحدث عن تحطم سفينة كانت مشهورة في شمال كارولينا ، وكان هناك أكثر من خمسمائة حادثة تحطم سفن على الساحل ، في شمال كارولينا ، وأطلق عليه لذلك مقبرة الأطلنطي . فبسبب الصخور وبعض الجزر التي تشرف مباشرة على الساحل ظلت السفن تغرق لعدة قرون .

أما المقالة الثالثة ، فكانت لا تحتوى على أية صور ، وتحدث عن المونيتور ، وهى أول مدرعة فيدرالية منذ الحرب الأهلية ، والتي غرقت بالقرب من كيب هاتيراس فى عام ١٨٦٢ أثناء سحبها بواسطة سفينة بخارية . وقد تم اكتشاف تحطم هذه السفينة وغرقها ، وتم استدعاء جاريت بليك وآخرين من أجل الغطس فى قاع المحيط ، وذلك فى محاولة لانتشال السفينة .

أما المقالة الرابعة فكانت تتحدث عن هابينستانس ، وقد تم التقاط ثمانى صور لها من زوايا مختلفة ، من داخل السفينة ومن خارجها . وكانت المقالة كلها تتحدث عن تفاصيل إصلاحها ، وقد علمت أن السفينة فريدة من نوعها لأنها مصنوعة من الخشب بالكامل . وقد تم تصنيعها لأول مرة فى لشبونة فى البرتغال فى عام ١٩٢٧ ، وقد قام بتصميمها هيريشوف ، وهو أحد مهندسى الملاحة البحرية المعروفين فى تلك الفترة . وكان للسفينة تاريخ طويل وملىء بالمخاطر والمغامرات (ومن بينها ، استخدامها فى الحرب العالمية الثانية لدراسة الحاميات الألمانية التى كانت تصطف على شواطئ فرنسا) ثم بعد ذلك أبحرت المركب إلى نانتكت حيث اشتراها رجل أعمال محلى ، وعندما اشتراها جاريت بليك منذ أربع سنوات ، كانت بحاجة إلى إصلاح وترميم ، وذكرت المقالة أنه قام بإصلاحها وترميمها هو وزوجته كاثرين .

كاثرين

نظرت تريسا إلى التاريخ الذى نشرت فيه المقالة ، فكان أبريل ١٩٩٢ ، ولم تذكر المقالة أن كاثرين توفيت . ولأن إحدى الرسائل التى معها قد تم العثور عليها منذ ثلاث سنوات فى نورفولك ، فهذا يعنى أن كاثرين لا بد أنها توفيت فى عام ١٩٩٣ .

" هل يمكننى مساعدتك ؟ "

استدارت تريسا بتلقائية نحو الصوت الذى جاء من خلفها ، فوجدت أن هناك شاباً يبتسم من خلفها ، وشعرت بالسرور لأنها قد شاهدت صورة لـ " جاريت " منذ دقائق ، فمن الواضح أن هذا الشخص ليس هو جاريت .

فسألها : " هل أفزعتك ؟ " فهزت تريسا رأسها بالنفى بسرعة وقالت :

" لا ... إننى كنت أتأمل الصور فحسب " .

فأشار إليهم وقال : " إنها رائعة ، أليس كذلك ؟ "

" من ؟ "

" هابينستانس ، إن جاريت - الرجل الذى يمتلك المركز - هو الذى أعاد بناءها . إنها سفينة رائعة ، بل من أجمل السفن التى رأيتها على الإطلاق ، خاصة بعد أن تم الانتهاء من إعادة إصلاحها " .

" هل هو موجود الآن - أعنى جاريت ؟ "

" كلا ، إنه عند رصيف الميناء ، وسيأتى إلى هنا فى ساعة متأخرة " .

" أوه ... "

" هل بإمكانى مساعدتك فى العثور على أى شىء تريدينه ؟ إننى أعرف أن هناك بعض الفوضى فى المكان ، ولكنك ستجدين هنا أى شىء ستحتاجينه من أجل ممارسة الغوص " .

فهزت رأسها قائلة : " أشكرك ، إننى فى الواقع كنت أستعرض المكان " .

" حسناً ، أخبرينى ، إذا كان يمكننى مساعدتك فى العثور على شىء ما " .

" بالطبع ، سأفعل " فأوما الفتى فى ابتهاج ، ثم استدار واتجه نحو الخزانة فى مقدمة المركز ، وقبل أن تتوقف عن الكلام ، وجدت نفسها تسأله بلا وعى :

" هل قلت إن جاريت عند رصيف الميناء ؟ "

فاستدار ناحيتها مرة أخرى وأخذ يخطو نحوها وهو يقول :
" أجل على بعد مبنين عند مرفأ القوارب ، هل تعرفين مكانه ؟ "
" أعتقد أننى قد مررت به وأنا فى طريقى إلى هنا " .
" المفترض أن يكون هناك لمدة ساعة ، ولكن كما أخبرتك من قبل ، إذا أتيت فيما بعد ، فسوف تجدينه هنا ، هل تريد يننى أن أترك له أية رسالة ؟ "

قالت تريسا : " لا ، ليس الأمر بهذه الأهمية " .

وأضت الدقائق التالية وهى تتظاهر بأنها تنظر إلى الأشياء المختلفة الموضوعة على الأرفف ، ثم غادرت المكان وهى تلوح إلى هذا الشاب .

لكن بدلاً من الذهاب نحو سيارتها ، اتجهت نحو مرفأ السفن .

حينما بلغت مرفأ السفن ، أخذت تجول ببصرها على أمل أن تلمح هابينستانس ، ولأن معظم السفن كانت بيضاء اللون ، بينما هابينستانس من الخشب الطبيعى ، فقد وجدتها بسهولة . وشقت طريقها نحو الجسر الذى ترسو بجواره السفينة .

وعلى الرغم من أنها شعرت بالتوتر وهى تخطو على الجسر ، فقد منحتها المقالات التى قرأتها فى المتجر بعض الأفكار عما يمكن أن تتحدث بصدده . فبمجرد أن تقابل جاريت ، فسوف تقول له فى منتهى البساطة إنها بعد قراءة المقالة التى تتحدث عن هابينستانس ، أرادت أن تراها عن كثب ، وسيبدو ذلك منطقياً .

وربما تستطيع حينئذ أن تمد الحديث بينهما لوقت أطول ، ومن ثم ستتكون لديها بعض الأفكار عن شخصيته ، ثم بعد ذلك ... على كل سترى ما سيحدث .

كان أول شيء لاحظته حينما اقتربت من السفينة أنه لا يوجد أحد بجوارها . فليس هناك أى شخص على سطحها أو عند المرفأ . وبدا وكأنه لم يقترب أحد من المكان منذ الصباح . بدت السفينة ساكنة ، وكان الشراع مغطى ، وبدا كل شيء فى مكانه . وبعد أن تجولت ببصرها لترى إذا ما كان جاريت بالقرب من المكان . أخذت تتأكد من اسم السفينة المكتوب من الخلف ، ولقد كانت بالفعل هابينستانس . وأزاحت بعض خصلات شعرها التى سقطت على وجهها ، وأخذت تحدث نفسها قائلة : " إنه لشيء عجيب ، لقد ذكر الرجل فى المتجر أنه هنا ، فأين هو ؟ "

وبدلاً من أن تعود مرة أخرى إلى المركز ، وقفت للحظات تتأمل المركب ، لقد كانت رائعة بالفعل ومصنوعة بمهارة فنية عالية على عكس السفن الأخرى التى كانت تحيط بها . كان لها سحر خاص على عكس السفن التى ترسو بجوارها ، ولقد ذكرتها بسفن القراصنة التى كانت تشاهدها فى الأفلام ، ولكنها كانت نموذجاً مصغراً ، وأخذت تتجول حولها وهى تدرسها من زوايا مختلفة ، وتتساءل كيف كان حال السفينة قبل إصلاحها وترميمها ، فمعظم أجزاء السفينة كانت تبدو جديدة ، على الرغم من أنه قد قيل إنه لم يتم تغيير كل الخشب المصنوع منه السفينة ، لذا من المحتمل أنهم قاموا بصقلها ، وحينما نظرت عن قرب ، رأت فى هيكل السفينة بعض الشقوق الصغيرة وهو ما جعلها تتأكد من صحة نظريتها .

قررت فى النهاية أن تجرب رياضة الغوص فيما بعد . من الواضح أن الرجل الذى يعمل فى المركز قد أخطأ حينما ذكر أن

جاريت موجود عند مرفأ السفن . وبعد أن ألقـت نظرة أخيرة على السفينة ، استدارت لتغادر المكان .

وكان هناك رجل يقف عند الجسر على بعد أقدام منها ، وكان يرقبها بدقة .

جاريت

كان يتصبب عرقاً من حرارة الصباح ، وكان قميصه مبللاً من شدة العرق ، وكانت الأكمام مقطوعة ، تكشف عن عضلات مفتولة . كانت يداه سوداء اللون من الشحم العالق بهما ، وكانت ساعة الغطس التي يرتديها في معصمه قديمة تبدو كما لو كان يستخدمها منذ سنوات . وكان يرتدى سروالاً قصيراً ، وحاداً رياضياً دون جوارب . وبدا جاريت وكأنه شخص قد قضى معظم - إن لم يكن كل - وقته بالقرب من المحيط .

لاحظ أنها رجعت خطوة للوراء وهو يقول لها : " هل بإمكانى مساعدتك ؟ " وكان يبتسم ولكنه لم يقترب منها ، كما لو كان يخشى أن تشعر بالحرج .

كان هذا هو ما شعرت به بالفعل حينما تلاقت عيناها . ومرت دقيقة لم تستطع أن تفعل خلالها شيئاً سوى أن تحديق إليه . وعلى الرغم من أنها قد رأت صورة له من قبل ، إلا أنه كان يبدو أفضل مما توقعت . لم يكن على درجة مبهرة من الوسامة ، إلا أن وجهه كان يكسوه سمرة جميلة تلك التي خلفتها الشمس ومياه البحر . ولم تكن عيناها أخاذتين كعيني ديفيد ، بيد أنه كان هناك شيء يجذبها إليه بشدة ربما كان هذا الشيء يتعلق برجولته التي كانت واضحة حينما وقف أمامها .

وتذكرت خطتها ، فأخذت نفساً عميقاً ، واتجهت نحو هابينستانس .

" لقد كنت أشاهد سفينتك فحسب ، إنها رائعة بحق " .
فقال في عذوبة وهو يحك يديه حتى يزيل بعضاً من الشحم الزائد العالق بهما : " أشكرك ، إنه شيء لطيف منك أن تقول هذا " .

كادت نظرتـه الثاقبة تكشف حقيقة الموقف ، وفجأة تداعت كل الأحداث في ذهنها - منذ أن عثرت على الزجاجاة ، والفضول الذي سيطر عليها ، والبحث الذي أجرته ، ورحلتها إلى ويلمينجتون وفي النهاية مقابله وجهاً لوجه . شعرت بالارتباك فأغلقت عينيها ، وأخذت تحاول السيطرة على نفسها بصعوبة . فلم تكن تتوقع أن يحدث كل ذلك بهذه السرعة البالغة ، وشعرت للحظة بالخوف الشديد .

خطا خطوة واحدة للأمام وسألها في صوت يشوبه القلق : " هل أنت بخير ؟ "
فأخذت نفساً عميقاً مرة أخرى ، وهي تحاول أن تسترخي ، وقالت : " نعم ، لقد شعرت للحظة بدوار " .

" هل أنت متأكدة أنك بخير ؟ "
مرت بيدها خلال شعرها وقد شعرت بالحرج وقالت : " إننى بخير الآن " .
سألها في فضول بعد أن تأكد من أنها بخير بالفعل : " هل تقابلنا من قبل ؟ "

هزت تريبسا رأسها في بطة قائلة : " لا أظن هذا " .
" إذن ، من أين علمت أننى أقتنى هذه السفينة " .
فأجابته وقد شعرت بالراحة لسؤاله : " أوه ... لقد رأيت صورتك أسفل المقالة المعلقة على الحائط في المركز ، بجانب الصور الأخرى التي تم التقاطها للسفينة . ولقد قال الشاب الذي يعمل

بمركزك إنك ستتواجد هنا ، واعتقدت أنه طالما أنك هنا ، فمن الأفضل أن آتى وأرى السفينة بنفسى .

" هل قال إننى موجود هنا ؟ "

فصمتت وهى تتذكر الكلمات التى قالها الشاب بالضبط ، ثم قالت : " لقد أخبرنى بأنك عند مرفأ السفن ، فأدركت أنه يعنى أنك هنا " .

فأوما برأسه قائلاً : " لقد كنت بالسفينة الأخرى التى نستخدمها فى الغوص " .

كان هناك مركب صيد صغير يطلق نفيراً ، فاستدار جاريت وأخذ يلوح للرجل الذى كان يقف على سطحه ، وبعد أن أبحر بعيداً ، استدار وواجهها مرة أخرى وقد أخذه جمالها ، لقد بدت أجمل حينما اقترب منها مما كانت تبدو وهو يراها عبر المرفأ ، وبسرعة خفض عينيه وامتدت يده إلى منديله الذى كان يضعه فى جيبه الخلفى ، وأخذ يمسح العرق الذى كان يتصبب على جبهته .

قالت " تريسا " : " لقد بذلت مجهوداً رائعاً فى إعادة إصلاح تلك السفينة وترميمها " .

فابتسم ابتسامة خافتة وهو يزيح المنديل بعيداً وقال : " شكراً لك ، إنه لطيف منك أن تقولى ذلك " .

كانت تريسا تنظر إلى هابينستانس وهو يتحدث إليها ، ثم استدارت مرة أخرى إليه ، وقالت فجأة : " إننى أعرف أن ذلك ليس من شأنى ولكن هل تمنع إذا سألتك بعض الأسئلة عن السفينة ؟ "

وأدركت من التعبيرات التى ارتسمت على وجهه أنها ليست المرة الأولى التى يُسأل فيها عن السفينة .

" ما الذى تودين معرفته ؟ "

فبذلت قصارى جهدها لتبدو لبقة ، وقالت : " هل كانت

بالفعل فى حالة سيئة حينما قمت بشرائها كما ذكر المقال ؟ "

خطا إلى الأمام وهو يشير إلى أجزاء مختلفة من السفينة وهو يتحدث عنها ويقول : " لقد تآكل معظم الخشب بالقرب من مقدمة السفينة ، وكانت هناك ثقوب كبيرة فى جانبى السفينة ولقد كان من العجيب حينئذ أنها لازالت طافية فوق سطح المياه . فقمنا بتغيير وإبدال جزء كبير من الهيكل ، وكان ما تبقى منها بحاجة إلى الصقل . ثم تم إعادة طلائها مرة أخرى ، وكان ذلك من الخارج ، وكان علينا أيضاً إصلاحها من الداخل وهذا استغرق مجهوداً أكبر " .

وعلى الرغم من أنه كان يستخدم أسلوب الجمع فى إجاباته إلا أنها قررت ألا تعقب على ذلك " .

" لا بد أنك بذلت مجهوداً كبيراً " وكانت تبتسم وهى تقول ذلك ، وشعر جاريت بأن هناك شيئاً يتحرك بداخله ، وكان يقول لنفسه : " إنها رائعة الجمال " .

ثم قال لها : " بالفعل ، ولكن كان الأمر يستحق ، إنها من أفضل السفن وأمتعها فى الإبحار " .

" لِمَ ؟ "

لأنها قد صُممت بواسطة أشخاص يستخدمونها لكسب قوت يومهم ، فأولوها عناية كبيرة فى تصميمها ، وهذا ما جعل الإبحار بها أيسر " .

" أعتقد أنك تبهر منذ وقت طويل " .

" منذ أن كنت طفلاً صغيراً " .

فأومات برأسها ، وبعد فترة صمت قليلة ، خطت خطوة صغيرة نحو السفينة وقالت : " هل تمنع ؟ "

" فhez رأسه بالنفى : " بالطبع لا " .
فخطت تريسا نحوها ، وأخذت تتحسس هيكلها بيدها ،
ولاحظ جاريت أنها لا ترتدى خاتم الزواج ، على الرغم من أنه من
المفترض ألا يعنيه ذلك بأى حال من الأحوال . سألته تريسا دون أن
تستدير ناحيته : " ما نوع الخشب المستخدم فى بنائها ؟ "
" الماهوجونى " .
" هل السفينة مصنوعة منه بالكامل ؟ "
" معظمها ، ما عدا السارى وبعض الأجزاء الداخلية " .
فأومات برأسها ، وأخذت جاريت يشاهدها وهى تسير بجانب
ها بينستانس ، ولم يستطع منع نفسه من النظر إلى قوامها ، وإلى
شعرها الأسود المسترسل الذى كان ينسدل على كتفيها . ولكن لم
تكن هيئتها هى التى استرعت انتباهه بل الثقة التى تتمتع بها وهى
تتحرك ، حيث بدت كما لو كانت تعرف ما يدور فى عقل الرجال
وهى تقف بالقرب منهم ، وفجأة انتبه لأفكاره فhez رأسه .
سألته وقد استدارت لتواجهه : " هل قاموا بالفعل باستخدام
هذه السفينة فى التجسس على الألمان فى الحرب العالمية الثانية ؟ "
فضحك بصوت عال قائلاً وقد بذل جهده لتصفية ذهنه . " هذا
ما أخبرنى به المالك السابق للسفينة ، ولا أعلم إذا ما كان هذا
صحيحاً أم أنه قد ذكر ذلك لمجرد الحصول على سعر أعلى " .
" حسناً ، حتى ولو لم يكن هذا صحيحاً ، فإنها بالفعل سفينة
رائعة ، كم استغرقت من الوقت لإصلاحها وترميمها ؟ "
" حوالى سنة " .
أخذت تنظر من خلال إحدى نوافذها المستديرة ، ولكنها كانت
مظلمة من الداخل ، فلم تستطع أن تراها جيداً " .
" وماذا كنت تستخدم فى الإبحار أثناء إصلاحها ؟ "

" لم نكن نبحر ، فلم يكن هناك وقت كاف ، وخاصة بجانب
العمل فى المركز ، وإعطاء دروس الغوص وإعداد هذه المركب " .
سألته وهى تبتسم : " هل تعرضت لأعراض انسحاب إدمان
الإبحار ؟ " ولأول مرة أدرك جاريت أنه يستمتع بالحديث معها .
قال : " مطلقاً لقد أبحرنا بمجرد الانتهاء من ترميمها " .
ها قد سمعته مرة أخرى وهو يتحدث بأسلوب الجمع .
وبعد أن أبدت إعجابها بالسفينة مرة أخرى ، عادت إلى
جانبه ، ومكث كلاهما للحظات لا يتحدثان ، وأخذت جاريت
يتساءل إذا ما كانت قد لاحظت أنه ينظر لها خلسة بجانب
عينيه .
وأخيراً قالت وهى تعقد ذراعيها : " أعتقد أننى قد أخذت
جزءاً كافياً من وقتك " .
فقال وهو يشعر مرة أخرى بالعرق وهو يتصبب على جبهته :
" لا بأس ، إننى أحب التحدث عن الإبحار " .
" وأنا أيضاً ، إنه يبدو ممتعاً بالنسبة لى " .
" يبدو وكأنك لم تبحرى من قبل على الإطلاق " .
هزت كتفيها قائلة : " إننى بالفعل لم أبحر من قبل ، ولكننى
كنت أتمنى أن أقوم بذلك ولكن لم تتح لى الفرصة " .
كانت تنظر إليه كلما تحدثت ، وعندما تلاقى عيناها وجد
جاريت نفسه يمد يده إلى منديله للمرة الثانية خلال دقائق . وأخذ
يحدث نفسه قائلاً : " اللعنة " ، فالجو شديد الحرارة هنا ، وأخذ
يجفف جبهته ، ثم سمع الكلمات تخرج من فمه قبل أن يستطيع
إيقافها قائلاً :
" إذا رغبت فى الإبحار ، فأنا عادة أبحر بها بعد الانتهاء من
العمل ، ويسعدنى أن ترافقينى فى تلك الليلة " .

لماذا تفوه بذلك ؟ فلم يكن على ثقة مما يقول ، ربما كانت الرغبة في صحبة النساء بعد كل تلك السنوات ولو حتى لوقت قصير ، أو قد يكون لذلك علاقة بعينيها اللتين تتوهجان كلما تحدثت ، ولكن على أية حال ، مهما يكن السبب ، لقد طلب منها أن تأتي وترافقه وانتهى الأمر . ولا يوجد ما يمكن أن يفعله لتغيير ما قاله .

كانت تريسا مندهشة هي الأخرى إلى حد ما ، ولكنها قررت بسرعة أن تقبل الدعوة ، فإن ذلك هو السبب في قدومها إلى ويليمنجتون على أية حال .

قالت له : " سيسعدني ذلك ، ولكن متى ؟ "

أزاح المنديل بعيداً ، وهو يشعر بعدم الراحة لما تفوه به منذ قليل وقال : " هل تناسبك الساعة السابعة ؟ حيث توشك الشمس على الغيب ، وهذا هو الوقت المناسب للذهاب "

" إن السابعة موعد مناسب تماماً ، وسأحضر معي شيئاً لتناوله " ولدهشة جاريت بدت سعيدة ، ويعتريها الشعور بالإثارة من أجل الذهاب .

" لا داعي لإحضار أى شيء معك ؟ "

" ولكن ذلك أقل ما يمكن فعله ، فعلى كل حال ، فأنت لست بحاجة لأن تعرض على مرافقتك ، هل الشطائر مناسبة " .

أخذ جاريت خطوة إلى الوراء ، ليأخذ نفساً عميقاً ، وقال : " بالطبع مناسبة ، فأنا لن أختار " .

قالت له : " حسناً " ثم توقفت عن الكلام للحظات وهي تنتظر أن يقول شيئاً آخر . وعندما لم يتلفظ بأى شيء ؟ أخذت تعدل من وضع حقيبتها فوق كتفيها دون وعي . ثم قالت : " حسناً ، سأراك الليلة ، هنا بجوار السفينة ، أليس كذلك ؟ "

" هنا بالضبط " وأدرك إلى مدى كان يشعر بالتوتر ، فتنحى وابتسم ثم أضاف : " ستقضين وقتاً ممتعاً " .
" إننى على ثقة من ذلك ، أراك لاحقاً " .

استدارت وأخذت تسير عبر المرفأ ، وكان شعرها يتطاير في الهواء ، وعندما ابتعدت ، أدرك جاريت أنه قد نسى شيئاً .
فصاح : " مهلاً ! "

فتوقفت واستدارت لتواجهه ، وهي تستخدم يديها لتقى عينيها من الشمس وقالت : " نعم ؟ هل هناك شيء ؟ "

إنها جميلة أيضاً عن بعد .
خطأ نحوها خطوتين وقال : " لقد نسيت أن أسألك ، ما اسمك ؟ "

" إننى تريسا ، تريسا أوسبورن " .
" وأنا اسمى جاريت بليك " .
" حسناً يا جاريت ، أراك فى السابعة " .

بهذه الكلمات أنهت حديثها واستدارت ، وسارت مبتعدة فى سرعة .

أخذ جاريت يشاهد قوامها المشوق ، وهو يحاول أن يفهم مشاعره المتضاربة . فعلى الرغم من أن هناك جزءاً داخله كان يشعر بالإثارة لما حدث ، إلا أن هناك جزءاً آخر كان يحدثه بأن هناك شيئاً غير مفهوم يحدث . كان يعرف أنه لم يكن هناك سبب للشعور بالذنب ، ولكن كانت هذه المشاعر موجودة بالفعل ، وتمنى لو أن هناك شيئاً يستطيع أن يفعله حيال ذلك .

ولكن لم يكن هناك شيء بالطبع يستطيع عمله ، لم يكن هناك شيء أبداً .

والذى جعل الأمر أكثر تعقيداً وصعوبة أنه كان لا يستطيع تذكر أى وقت مضى لم تكن فيه بجواره . فلقد قضيا معظم حياتهما معاً ، فكانا يدرسان بنفس المدرسة ، وذلك خلال سنوات دراستهما الأولى ، وفى السنة الثالثة ، أصبحا صديقين حميمين ، ولقد أعطاهما بطاقتين فى عيد الحب . ولكنهما افترقا بعد ذلك فى الدراسة بيد أنهما استمررا كصديقين . كانت كاترين طويلة ونحيفة ، وكانت الأصغر حجماً فى فصلها . وعلى الرغم من أنها كانت تحتل مكانة خاصة فى قلب جاريت ، إلا أنه لم يلحظ أنها قد أصبحت شيئاً فشيئاً شابة جذابة . لم يذهبها مطلقاً من قبل سنوياً إلى أى حفلة راقصة أو لمشاهدة فيلم ما ، ولكن بعد أربع سنوات وفى شابيل هيل حيث تخصص فى علم الأحياء المائية ، هرع إليها عند شاطئ رايتسفيل وأدرك إلى أى مدى كان أحمرق ، فلم تعد تلك الفتاة النحيفة التى كان يتذكرها ، ولكن كانت باختصار جميلة ، وكان لها جسد ممشوق شديد الجاذبية ، يجعل النساء والرجال على حد سواء يديرون رؤوسهم للنظر إليها إذا ما مرت بجوارهم . كانت شقراء ، وفى عينيها غموض ، وحينما أغلق فاه أخيراً ، والذى كان متسعاً من فرط الإعجاب سألها عما كانت تفعله مؤخراً فى حياتها ، ومن هنا كانت بداية علاقة بينهما انتهت بالزواج الذى استمر لست سنوات رائعة .

وفى ليلة زفافهما ، وفى حجرتها بالفندق التى كانت تضيئها الشموع فقط ، أعطته البطاقتين اللتين أهداهما إليها فى عيد الحب ، وانفجرت فى الضحك بصوت عال حينما رأت التعبير الذى ارتسم على وجهه عندما تذكر تلك البطاقتين وهمست إليه وهى تحيطه بذراعيها : " لقد احتفظت بهما بالطبع ، لقد كانت المرة الأولى التى أقع فيها فى الحب ، فالحب هو الحب ، أياً كان

الفصل السادس

كانت الساعة تقترب من الساعة ، ولكن بالنسبة لـ " جاريت بليك " كان الوقت قد توقف منذ ثلاث سنوات حينما كانت كاترين تعبر الطريق ، وصدمة شخص فقد السيطرة على سيارته ، وغير مسار حياته إلى الأبد . وقد دفعه الغضب الذى اعتراه وسيطر عليه فى الأسابيع التى أعقبت الحادث إلى أن يخطط للانتقام من السائق ، ولكنه لم يستطع تنفيذ خطته ، لأن الحزن الذى كان يمتلكه جعله غير قادر على فعل أى شيء مهما كان . فلم يكن يستطيع النوم أكثر من ثلاث ساعات فى الليلة ، وكان يبكى حينما يرى ملابسها ، وفقد حوالى عشرين كيلو جراماً من وزنه ، وذلك لتناوله لوجبات تتكون من القهوة والبسكويت فقط . وفى الشهر الذى تلا الحادث ، شرع فى التدخين لأول مرة فى حياته ، بل كان يلجأ فى بعض الليالى لتناول الكحوليات حينما لا يستطيع تحمل الألم . وكان والده يقوم بعمله مؤقتاً بينما كان جاريت يجلس فى صمت فى منزله وهو يحاول تخيل الحياة بدونها . فلم تكن لديه الإرادة أو الرغبة فى الحياة . وتمنى فى بعض الأحيان وهو يجلس هناك أن يبتلعه الهواء المالح المليء بالرطوبة حتى لا يواجه المستقبل وحيداً .

عمرك وأدركت حينئذ أنني إذا ما منحتك وقتاً كافياً ، فستعود إلى مرة أخرى .

وكلما كان جاريت يجد نفسه يفكر فيها ، كان يتذكرها إما في تلك الليلة أو في آخر مرة قاما فيها بالإبحار سوياً وهو إلى الآن يتذكر ذلك اليوم جيداً ، فقد كان شعرها يتطاير في الهواء ووجهها تكسوه الفرحة والسعادة وهي تضحك بصوت عال .

فقد كانت تصيح في بهجة وهي تقف عند مقدمة السفينة وتقول : " هل تشعر برذاذ المياه ؟ " وكانت تتعلق بحبل وتتمايل مع الرياح ، وكانت تتلألاً كالنجوم في السماء .

صاح جاريت قائلاً وهو يمسك بعجلة القيادة : " احترسى " ولكنها مالت أكثر ، وهي تنظر إليه بابتسامة شقية . فصاح مرة أخرى : " إننى لا أمزح ، بل أعنى ما أقوله " وللحظة شعر بأن قبضتها تتراخي ، فترك جاريت عجلة القيادة في سرعة ، ولكنه سمعها وهي تضحك وتعتدل مرة أخرى ، وشقت طريقها بسهولة نحو عجلة القيادة مرة أخرى ، وأحاطته بذراعيها ، وقبلت أذنيه ، وهمست بدلال : " هل شعرت بالقلق ؟ "

فقال : " إنك دائماً تسببين لي القلق حينما تفعلين مثل هذه الأشياء "

فأخذت تضايقه وتقول : " لا تكن قاسياً ، بعد أن أصبحت ملكي أخيراً . "

فقال : " إننى ملكك للأبد . "

فقالت وهي تقبله مرة أخرى : " ليس بهذه الطريقة . "

وبعد أن ألقت نظرة سريعة على ما حولها ، ابتسمت وقالت : " لماذا لا نقوم بخفض الشراع وإسقاط المرساة ؟ "

فقال : " الآن ؟ "

فأومأت موافقة : " إلا ، بالطبع ، إذا كنت ترغب في الإبحار طوال الليل " ، وبنظرة مأكرة لا تفصح عن شيء قامت بفتح باب القمرة ، وغابت عن النظر ، وبعد دقائق أوقف السفينة ، وفتح هو الآخر باب القمرة وانضم إليها .

زفر جاريت في حدة ، وهو يطرد هذه الذكرى من رأسه كالدخان ، وعلى الرغم من أنه يتذكر أحداث تلك الليلة ، إلا أنه أصبح من الصعب شيئاً فشيئاً وبمرور الوقت تذكر الشكل الذي كانت تبدو عليه بدقة . وشيئاً فشيئاً ، أخذت ملامحها تتلاشى من مخيلته . وعلى الرغم من أنه كان يدرك جيداً أن النسيان يساعد على التئام الجرح والشفاء من الألم ، إلا أن أقصى ما كان يتمناه هو رؤيتها أمامه مرة أخرى . بل إنه لم ينظر إلى ألبوم صورهما إلا مرة واحدة خلال سنوات ، لقد كان ذلك مؤلماً بشدة لدرجة أنه أقسم ألا يفعل ذلك ثانية . وهو الآن يراها بالليل فقط وذلك أثناء أحلامه . وكان يحب كثيراً أن يحلم بها ؛ لأن ذلك يجعله يعتقد أنها مازالت على قيد الحياة . فلقد كانت تسير وتتحرك أثناء الحلم ، وكان يأخذها بين ذراعيه ، وكان يبدو للحظة وكأن كل شيء قد عاد إلى نصابه الصحيح وأنها لا تزال حية ، ولكن للأحلام مساوئها أيضاً ، لأنه كان يشعر بالإرهاق والاكتئاب حينما يستيقظ . بل كان يذهب في بعض الأحيان إلى المركز ويغلق باب مكتبه ويجلس فيه طيلة الصباح ، حتى لا يتحدث إلى أحد .

ولقد بذل والده أقصى ما يستطيع لمساعدته على الخروج من أزمته ، فلقد فقد زوجته هو الآخر ، لذا فقد كان يتفهم جيداً ما يمر به ابنه . ولا يزال جاريت يزوره مرة واحدة كل أسبوع ، ودائماً ما يستمتع بالحديث معه ، فلقد كان والده هو الشخص الوحيد الذى يفهمه ويبادله نفس المشاعر . ولقد أخبره والده فى العام الماضى إنه عليه أن يفكر فى الزواج مرة ثانية حيث قال له : " ليس من المعقول أن تبقى وحيداً هكذا ، إنك تبدو كما لو كنت قد فقدت الأمل فى كل شيء " . كان جاريت يعلم أن هناك جانباً من الحقيقة فيما يقوله والده ، ولكن المشكلة تكمن فى أنه ليس لديه الرغبة فى العثور على امرأة أخرى . إنه لم يرتبط عاطفياً بأى امرأة أخرى منذ رحيل كاثرين ، بل الأسوأ من ذلك أنه لم تكن لديه الرغبة فى ذلك أيضاً ، وكان جزءاً بداخله قد مات . وعندما سأل جاريت والده لماذا لم يعمل هو بتلك النصيحة وتزوج مرة أخرى ، حول نظره بعيداً ، ثم قال شيئاً أثر فيه تأثيراً شديداً ، وتمنى لو لم يقله أبداً .

حيث قال : " وهل تعتقد أنه بإمكانى العثور على من يحل محلها ؟ "

ومرت الأيام ، وعاد جاريت إلى المركز مرة أخرى ليزاول عمله ، وبذل قصارى جهده ليستأنف حياته ثانية . فكان يبقى فى المركز حتى وقت متأخر ، ويقوم بترتيب الملفات وبتنظيم مكتبه فذلك أفضل من العودة إلى المنزل . فقد وجد أنه إذا ما كان الجو مظلماً بالخارج وقام هو بإضاءة أنوار خافته حينما يعود ، فلن يلمح أشياءها ويشعر بحضورها الذى كان قوياً ، وقد اعتاد على الحياة بمفرده مرة ثانية ، فكان يقوم بالطهى والتنظيف ، والكى ، بل إنه

كان يعمل بالحديقة كما اعتادت هى أن تفعل ، على الرغم من أنه لم يكن يستمتع بهذا العمل كما كانت تستمتع هى به . واعتقد بعد ذلك أنه قد أصبح فى حال أفضل ، ولكن حينما حان الوقت لحزم أغراض كاثرين ، لم يجد فى نفسه الشجاعة ليفعل ذلك ، فقام والده بذلك نيابة عنه . وبعد أن أمضى جاريت عطلة نهاية الأسبوع فى ممارسة رياضة الغطس ، عاد إلى المنزل الذى كان خالياً من كل متعلقاتها ، وبدأ له المنزل خاوياً بدون أغراضها ، ولم يعد يرى سبباً للبقاء فيه بعد ذلك ، فقام ببيعه خلال الشهر وانتقل إلى منزل أصغر يقع بالقرب من شاطئ كارولينا ، معتقداً أنه سيستطيع بذلك استئناف حياته مرة أخرى .

وما هو الآن قد أمضى فى منزله الجديد أكثر من ثلاث سنوات . لم يعثر والده على كل متعلقاتها ، فلقد قام جاريت بالاحتفاظ ببعض المتعلقات القليلة التى لم يكن يستطيع الاستغناء عنها ، وذلك فى صندوق صغير وضعه على المنضدة فى منزله ، وكانت هذه الأشياء عبارة عن البطاقتين اللتين كان قد أهداهما إليها فى عيد الحب ، وخاتم الزواج ، وبعض الأشياء الأخرى التى لا يفهمها الآخرون . وكان يحب أن يتأملها فى وقت متأخر من الليل . وعلى الرغم من أن والده كان يخبره فى بعض الأحيان أنه قد أصبح فى حال أفضل ، إلا أنه كان يقول لنفسه إن ذلك ليس صحيحاً ، فبالنسبة إليه لن يعود أى شيء كما كان .

ذهب جاريت بليك إلى المرفأ مبكراً عن مواعده بدقائق حتى يعد هابينستانس للإبحار ، فأزال غطاء الشراع ، وفتح باب القمرة ، وتأكد من أن كل شيء على ما يرام .

كان والده قد اتصل به وهو يخطو خارج باب المنزل فى طريقه إلى المرفأ ، ووجد جاريت نفسه يتذكر الحوار الذى دار بينهما .

سأله والده : " هل ستأتى لتناول طعام العشاء معى ؟ " فأجاب جاريت بأنه لن يستطيع وقال : " إننى سأبحر برفقة أحد الأشخاص هذه الليلة " .

فصمت والده للحظة ثم قال : " برفقة امرأة ؟ "

فشرح له جاريت كيف قابل تريسا .

فعلق والده قائلاً : " يبدو كأنك تشعر ببعض التوتر نتيجة لموعدك هذا " .

" إننى لا أشعر بالتوتر يا أبى ، وإنه ليس موعداً ، فكما ذكرت لك ، إننا سنقوم بالإبحار فحسب ، فقد أخبرتنى أنها لم تبحر من قبل قط " .

فسأله والده : " هل هى جميلة ؟ "

فأجابه جاريت : " وما فائدة ذلك ؟ "

قال والده : " لا فائدة ، ولكن يبدو لى وكأنه موعد " .

قال : " إنه ليس موعداً "

قال : " حسناً ، كما تقول "

* * *

رآها جاريت وهى تسير عبر المرفأ بعد الساعة بقليل ، وكانت ترتدى سروالاً وقميصاً أحمر بدون أكمام ، وكانت تحمل فى يدها سلة رحلات صغيرة وفى اليد الأخرى تحمل قميصاً واسعاً ومعطفاً خفيفاً . ولم تبد عليها أمارات التوتر كما شعر ولم يفصح التعبير الذى ارتسم على وجهها عما يدور فى ذهنها وهى تقترب منه . وحينما لوحت له بيدها ، اعتراه بعض الشعور بالذنب ، ولكن

سرعان ما لوح لها هو الآخر قبل أن ينتهى من حل الحبال ، وكان يغمغم لنفسه ويبذل قصارى جهده لتصفية ذهنه قبل أن تبلغ السفينة .

قالت فى بساطة : " مرحباً ، آمل ألا تكون قد انتظرت كثيراً " .

انتزع القفازات التى كان يرتديها فى يده وقال : " مرحباً ، لا لم أنتظر وقتاً طويلاً على الإطلاق ، لقد جئت قبلك بوقت قصير حتى أعد السفينة " .

" هل انتهيت من إعداد كل شىء ؟ "

فألقي نظرة على ما حوله للتأكد من إعداد كل شىء ، وقال :

" أظن ذلك ، هل بإمكانى مساعدتك فى الصعود ؟ "

ثم وضع القفازات جانباً ومد ذراعيه ، فأعطته تريسا أشياءها فوضعها على أحد المقاعد التى تمتد فوق سطح المركب . وعندما أمسك بيدها ليجذبها لأعلى ، شعرت بخشونة فى راحتيه ، وبعد أن صعدت فوق سطح السفينة ، اتجه هو نحو عجلة القيادة ثم رجع خطوة للوراء وقال :

" هل أنت على استعداد للانطلاق ؟ "

" عندما تكون أنت جاهزاً " .

" إذن ، اتخذى مقعداً ، فسنكون فى الماء بعد قليل ، هل ترغبين فى تناول أى مشروب قبل الانطلاق ؟ فهناك بعض الصودا فى الثلاجة " .

فهزت رأسها قائلة : " شكراً لك ، ليس الآن " .

أخذت تجول ببصرها عبر السفينة قبل أن تجد مقعداً فى جانب السفينة . وأخذت ترقبه وهو يدير المفتاح وترامى إلى مسامعها صوت المحرك وهو يدور . ثم ابتعد عن عجلة القيادة ، وقام بحل الحبلين

الذين يربطان السفينة ، وفي بطنه بدأت هابينستانس فى التحرك من مرساها . وقالت تريسا فى دهشة : " لم أكن أعلم أن هناك محركاً بالسفينة " .

فاستدار نحوها وأجابها بصوت عال حتى تسمعه : " إنه محرك صغير - بقوة تكفى لكى تحرك السفينة من مرساها ، فلقد قمنا بوضع محرك جديد حينما قمنا بإصلاحها " .

وغادرت هابينستانس مرساها . وبمجرد أن أصبحت تسير بأمان فى مياه الأطلنطى ، وجهه جاريت السفينة ناحية الرياح وأوقف المحرك . وبعد أن قام بارتداء قفازه ، رفع الشراع بسرعة ، وبحركة سريعة ، كان جاريت بجوار تريسا ، ومال بجسده مقترباً . وقال : " احترسى ، فستتحرك عارضة الشراع من فوق رأسك " .

فخفضت رأسها وشاهدت ما يحدث تماماً كما وصفه ، فقد تحركت عارضة الشراع فوق رأسها وهى تحمل الشراع وذلك فى اتجاه الرياح . وعندما أصبح فى الاتجاه الصحيح قام باستخدام الحبال لتثبيتته مرة أخرى . وقبل أن تطرف عيناها ، كان قد عاد إلى مكانه خلف عجلة القيادة وهو يقوم بتعديل موضعها ، وينظر إلى الشراع كما لو كان يتأكد من أنه قد قام بكل شئ ، على الوجه الأكمل ، واستغرق الأمر كله أقل من ثلاثين ثانية .

قالت تريسا : " لم أكن أعلم أنه يجب عليك الإبحار بالمركب بهذه السرعة ، لقد كنت أعتقد أن الإبحار رياضة يتم ممارستها على مهل " .

التفت ناظراً إليها ، فقد اعتادت كاثارين أن تجلس فى نفس المكان ، عندما تلقى الشمس بظلالها عند الغيب . وللحظة شعر بأنها هى التى تجلس أمامه ، فنفض هذه الخواطر وتنحنح قائلاً :

" هذا صحيح عندما تكونين فى قلب المحيط ، بمفردك ، ولكننا الآن فى المر المائى الداخلى ، وعلينا أن نبذل قصارى جهدنا لنشق طريقنا عبر المراكب الأخرى " .

وكان لا يزال ممسكاً بـ ... عجلة القيادة بمهارة ، وشعرت تريسا أن هابينستانس بدأت تزيد من سرعتها . نهضت تريسا من مقعدها واتجهت ناحية جاريت ، وتوقفت بجانبه ، وبدأ النسيم يهب ، وعلى الرغم من أنها كانت تشعر به على وجهها ، إلا أنه لم يكن قوياً لتحريك الشراع " .

قال بابتسامة تملو وجهه وهو ينظر إليها : " أعتقد أننا نسير فى الاتجاه الصحيح ، ولن يكون علينا تحويل اتجاه السفينة ، إلا إذا حولت الرياح اتجاهها " .

اتجها نحو الخليج ، ولأنها كانت تدرك أنه يركز انتباهه فيما يفعل ، فالتزمت الصمت وهى تقف بجواره .

وكانت تراقبه من جانب عينيها ، فشاهدت يديه القوية وهى تقبض على عجلة القيادة ، وكانت ساقه الطويلة تتحكم فى وزنه عندما تتمايل السفينة مع اتجاه الرياح .

وخلال حديثهما الهادئ ، راحت تريسا تجول ببصرها فيما حولها . وكمعظم السفن الشراعية الأخرى ، كانت السفينة تتكون من مستويين ، المستوى الأدنى حيث يقفان ، والمستوى الأعلى وكان يرتفع بمقدار أربع أقدام ويمتد حتى مقدمة السفينة ، ويحتوى على قمرة السفينة . وكانت هناك نافذتان صغيرتان تكسوهما من الخارج طبقة من الملح ، فكان من المستحيل أن يرى أحداً بداخل القمرة . وكان هناك باب صغير يؤدي إليها ، وكان منخفضاً بدرجة يجب معها خفض الرأس عند الدخول منه لتجنب الارتطام .

ثم حولت نظرها إليه ، وتساءلت عن عمره . ربما فى الثلاثينيات ، لم تستطع أن تخمن ، حتى بالنظر إليه عن قرب ، فقد كان وجهه متعباً من أثر الرياح إلى حد ما ، مما جعله يبدو أكبر من عمره الحقيقى

وحدثت نفسها مرة أخرى بأنه لم يكن من أكثر الرجال الذين قابلتهم فى حياتها وسامة ، ولكن كان هناك شىء يجذبها نحوه ، شىء لا تعرف كنهه .

وقبل ساعات قلائل عندما حدثت ديانا عنه عبر الهاتف ، حاولت أن تصفه لها ، ولكن لأنه لا يشبه معظم الرجال الذين عرفتهم فى بوسطن ، وجدت صعوبة شديدة فى ذلك . وقد أخبرت ديانا أنه يقاربها فى العمر ، وعلى درجة مميزة من الوسامة ، ولكنه كان يبدو متأثراً بالطبيعة كما لو أن قوته ناتجة عن الحياة التى اختارها . وكان هذا أقصى ما تستطيع وصفه من خلال المرة التى شاهدته فيها ، ولكن بعد أن شاهدته مرة أخرى عن كثب ، اعتقدت أنها لم تبعد كثيراً عن الوصف .

وقد شعرت ديانا بالسعادة . حينما أخبرتها تريسا أنها ستبحر مع جاريت هذا المساء . على الرغم من أنها لم تكن على ثقة من أنها ستقدم على هذه الخطوة . فلقد انتابها القلق لفترة لأنها ستكون بمفردها مع شخص غريب ، وبخاصة لأنهما سيكونان فى عرض البحر ، ولكنها أقنعت نفسها فيما بعد بأن قلقها ليس له أساس من الصحة . وأخذت تحدث نفسها طيلة فترة الظهيرة بأن هذا الموعد شأنه كأي موعد آخر وأن عليها ألا تضخم الأمور . وعندما حان موعد ذهابها إلى المرفأ ، كادت ألا تفعل . ولكنها قررت فى النهاية أنه يجب عليها الذهاب من أجل نفسها ، وحتى لا تشعر ديانا بالضيق وتنتقد أفعالها .

وعندما اقتربا من الخليج ، أدار جاريت عجلة القيادة ، وابتعدت السفينة الشراعية أكثر عن الضفاف ، واتجهت لمسافة أعمق فى المياه . وأخذ جاريت يتلفت جانباً ، وهو يراقب السفن الأخرى ، وهو ممسك بعجلة القيادة ، وعلى الرغم من تغير اتجاه الرياح ، إلا أنه كان يسيطر تماماً على السفينة ، وأدركت تريسا أنه يعرف تماماً ماذا يفعل .

أخذت طيور النورس تحلق فوق رأسيهما ، والسفينة تشق طريقها فى المياه ، وتنساب مع التيار . وأخذ الشراع يهتز بعنف محدثاً صوتاً وهو يتحرك مع الرياح . وكانت المياه تندفع على جانبي السفينة واستمرت السفينة فى الحركة وهما يشقان طريقهما تحت سماء نورث كارولينا الرمادية .

مدت تريسا ذراعيها وارتدت القميص الفضفاض الذى كانت قد أحضرتة معها . وقد شعرت بالسرور لذلك ، لأن الجو أصبح أكثر برودة من الوقت الذى غادرا فيه . وغربت الشمس بأسرع مما تصورت ، وانعكست أشعتها الخافتة على الشراع ، وأخذت تلقى بظلالها على مساحة كبيرة من سطح السفينة .

كانت المياه المندفعة خلف السفينة تحدث أصواتاً خافتة ، وتلتف كالدوامات . فاقتربت من حافة السفينة حتى تلقى نظرة قريبة على المياه ، وكان منظر المياه المتحركة أخاذاً ، ومن أجل أن تحفظ توازنها ، استندت بيدها على حافة السفينة ، فشعرت بشىء بارز تحت يديها ، وبالفعل كان هذا نقشاً محفوراً على الحافة يفيد بأن السفينة قد تم بناؤها فى عام ١٩٣٤ - وتم ترميمها فى ١٩٩١ .

جعلتهما الأمواج التى خلفتها السفن التى تمر عن بعد يتميلاان واتجهت تريسا مرة أخرى نحو جاريت والذى أخذ يدير عجلة القيادة بقوة هذه المرة ، ثم لمحت ابتسامة على وجهه وهو يتحرك

فى اتجاه المحيط الممتد أمامه وأخذت ترقبه حتى ابتعدت المركب عن الخليج .

إنها - ولأول مرة فى حياتها على الإطلاق - تقوم بشيء فى منتهى التلقائية ، شىء لم تتخيل أن تفعله منذ أسبوع مضى . وهى هى الآن قد فعلته ، وجاءت خلف جاريت ، ولكنها لا تعرف كيف ستسير الأمور . ماذا لو اكتشفت أن جاريت ليس هو الشخص الذى رسمته فى مخيلتها ؟ بالطبع ، ستعود إلى بوسطن وقد عرفت الإجابة ولكنها حتى الآن تتمنى ألا تغادر ، فقد وقعت أحداث كثيرة - بالفعل .

وبمجرد أن أصبحت هناك مسافة كافية بين هاينستانس والسفن الأخرى ، طلب جاريت من تريسا أن تمسك بعجلة القيادة قائلاً : " قومي بتثبيتها فقط " ثم قام هو بتعديل وضع الشراع مرة أخرى ، وقد استغرق وقتاً أقل هذه المرة حيث تأكد من أن السفينة تسير باتجاه الرياح ، ثم قام بربط حبل صغير على قضيب شراع السارية الأمامية (وهو شراع صغير مثلث الشكل أمام الشراع الأكبر) ، ثم لفه حول عجلة القيادة الخاصة بالقارب حتى يثبتها فلا تدور يميناً أو يساراً .

ثم قال : " هذا سيقوم بتثبيت وضعها " وأخذ يضرب بيده على عجلة القيادة ، ليتأكد من بقائها ثابتة فى مكانها ، ثم أضاف : " يمكننا أن نجلس إذا أردت " .

" ألا يجب عليك أن تمسك بعجلة القيادة ؟ "

" هذا ما سيفعله ذلك الحبل . فى بعض الأحيان ، حينما تغير الرياح من اتجاهها باستمرار ، يكون عليك الإمساك بعجلة القيادة طوال الوقت ، ولكننا محظوظون الليلة ، فالرياح مستقرة ، ويمكننا الإبحار فى هذا الاتجاه لساعات " .

عندما توارت الشمس ببطء فى السماء وحل المساء ، عاد جاريت إلى المكان الذى كانت تجلس فيه تريسا من قبل . وبعد أن تأكد من أنه لا يوجد أى شىء خلفها . يمكن أن يتسبب فى تمزيق ملابسها ، جلسا فى مؤخرة المركب ، هى على جانب ، وهو على الجانب الآخر ، حتى يواجهها بعضهما البعض . وقد شعرت تريسا بالهواء يداعب وجهها ، فأخذت تزيح شعرها إلى الخلف وهى تنظر عبر المياه .

أخذ جاريت يشاهدها ، لقد كانت تريسا أقصر منه فى الطول ، وقدر أنها قد تكون أقل منه بخمس أو سبع أقدام ، مليحة الوجه ، وكان قوامها يذكره بعروضات الأزياء اللاتى يشاهدهن فى المجلات . ولكن بالإضافة إلى جاذبيتها ، كان هناك شىء آخر يجذبه إليها . لقد كانت ذكية ، لماحة ، إنه يشعر بذلك . كما أنها على قدر كبير من الثقة بذاتها ، كما لو كانت تشق طريقها فى الحياة من خلال مبادئها وأفكارها ، وكانت هذه الصفات هى الأهم بالنسبة إليه ، فلا يساوى جمال المرأة شيئاً بدونها .

وقد ذكرته بـ " كاثرين " عندما نظر إليها ، وبخاصة التعبير الذى كان يرتسم على وجهها ، فبدت وكأنها تحلم حلماً من أحلام اليقظة وهى تنظر خلال المياه . فترك العنان لذاكرته حتى عادت للوراء حيث آخر مرة أبحر فيها مع كاثرين . ومرة ثانية انتابه الشعور بالذنب ، على الرغم من أنه بذل قصارى جهده ليدفع عنه هذه الأحاسيس . فهز رأسه وأخذ دون وعى يحرك سوار الساعة ، فأخذ يحلها ، ثم قام بربطها مرة أخرى .

قالت تريسا أخيراً وهى تلتفت نحوه : " إن المكان رائع هنا ، أشكر على دعوتك لى " .

فشعر بالسرور لأنها اخترقت حاجز الصمت وقال :

" إننى سعيد بذلك ، فإنه لـ ... شىء لطيف أن اصطحب شخصاً مثلك بين الحين والآخر . "

فابتسمت من إجابته ، وتساءلت إذا كان يعنى ما يقول بالفعل وقالت : " هل تبهر بمفردك دائماً ؟ "

فرجع إلى الوراى ومد ساقيه أمامه وقال : " عادة ، فإنها أمثل طريقة للترفيه بعد يوم عمل طويل مهما كان شاقاً ، فبمجرد أن أكون فى عرض المياه ، يزول أى شعور بالتعب . "

" هل رياضة الغطس مرهقة إلى هذا الحد . "

" لا ، إن الغوص أمتع جزء فى العمل ، ولكن الأشياء الأخرى ، كالأعمال الكتابية من مراسلات وخلافه ، والأشخاص الذين يقومون بالغاء دروسهم فى آخر لحظة والتأكد من أن كل شىء جاهز ومكتمل بالمركز ، كل تلك الأشياء تجعل اليوم شاقاً . "

" إننى متأكدة من ذلك ، ولكنك تحب هذا العمل ، أليس كذلك ؟ "

" بلى ، ولن أرضى عنه بديلاً " ، ثم صمت وأخذ يعبت بالساعة فى معصمه ، ثم أردف قائلاً : " وأنت يا تريسا ، ما هو عملك ؟ " وكان هذا أحد الأسئلة القليلة المناسبة التى خطرت بباله عنها خلال اليوم .

" إننى صحفية فى البوسطن تايمز . "

" وهل أنت هنا فى إجازة ؟ "

صمتت برهة قبل أن تجيب قائلة : " تستطيع أن تقول هذا . " فأوماً برأسه حيث كان يتوقع هذه الإجابة ثم قال : " وماذا تتناولين فى كتاباتك ؟ "

ابتسمت قائلة : " إننى أكتب عن تربية الأطفال . "

فلمحت نظرة دهشة فى عينيه ، نفس النظرة التى كانت ترتسم على وجه أى شخص كان يرغب فى الارتباط بها ، فأخذت تحدث نفسها قائلة : " عليك أن تكمل هذه الجملة " ، فأضافت : " فأنا لدى صبي فى الثانية عشرة من عمره . "

فرجع حاجبيه فى دهشة : " الثانية عشرة . "

" تبدو وكأنك قد صدمت . "

" إننى كذلك بالفعل ، فأنت لا تبدين أما لصبي فى الثانية عشرة من عمره . "

فقالمت مبتسمة ولكنها لم تبتلع الطعام ، فلم تكن على استعداد لأن تفصح عن عمرها الحقيقى : " نعم ، إنه فى الثانية عشرة من عمره ، هل ترغب فى أن ترى صورته ؟ "

" بالطبع . "

فأخرجت محفظتها ، والتقطت منها الصورة ، وأعطتها إياه ، فحدق إليها جاريت لدقيقة قبل أن يحول نظره إليها .

ثم قال : " لقد ورث نفس لون بشرتك ، إنه يبدو صبياً لطيفاً . "

قالت وهى تعيد الصورة إلى مكانها : " شكراً لك . وأنت هل لديك أطفال ؟ "

فهز رأسه قائلاً : " لا ، ليس لدى أطفال . "

وأكمل : " ما هو اسم ابنك ؟ "

" كيفن . "

" هل اصطحبته معك إلى هنا ؟ "

" لا ، إنه مع والده فى كاليفورنيا ، فلقد انفصلت عنه منذ عدة سنوات . "

ثم قال : " متى أعددت كل هذا على السفينة ؟ "
قالت : " أثناء عملي . "

دارت تريسا حوله فى صمت ، فقد تركته لأفكاره وذكرياته ، فكانت لا تعطى أى إشارة إذا ما لاحظت تردده ، وكان جاريت يقدر لها ذلك .

على يسار تريسا ، كان يوجد مقعد بحرى بطول أحد جوانب السفينة ، وكان عريضاً وطويلاً بدرجة مريحة تكفى لنوم شخص . وكان يواجهه على الجانب الآخر مباشرة منضدة صغيرة بمساحة تكفى لجلوس فردين . وكان يوجد بجوار الباب مغسلة وموقد وتحتهما ثلاجة صغيرة ، وإلى الأمام مباشرة ، كان يوجد باب يقود إلى غرفة النوم .

وقف جاريت على الجانب وهو يضع يديه فى خصره ، بينما كانت تتفقد الجزء الداخلى للسفينة ، وتنظر لكل شىء موضوع فيه . ولم يقف بالقرب منها كما يفعل بعض الرجال ، بل كانت هناك مسافة كافية تفصل بينهما . ولكنها كانت تشعر بعينه وهما تراقبانها ، على الرغم من أن نظراته لم تكن مباشرة ، وبعد مرور دقيقة قالت : " حينما تشاهدها من الخارج ، لا تظن أنها بهذا الحجم الكبير من الداخل . "

تنحج جاريت قائلاً : " إنه شىء مدهش ، أليس كذلك ؟ "
" نعم ، وتبدو كأنها تحتوى على كل شىء تحتاجه . "
" هى كذلك بالفعل ، فبإمكانى أن أبحر بها إلى أوروبا إذا أردت ، ولكنى لا أنصحك أنت بذلك ، إنه مناسب لى فقط . "
ثم اتجه نحو الثلاجة وانحنى ليخرج منها زجاجة مياه غازية وقال : " هل ترغبين فى تناول شىء ؟ "

أوما جاريت برأسه دون أن يبدى تعليقاً ، ثم حول نظره إلى سفينة شراعية أخرى كانت تمر من على بعد ، ونظرت إليها تريسا للحظة هى الأخرى ، وقد لاحظت هدوء مياه المحيط مقارنة بالخليج الصغير ، وكانت الأصوات المحيطة بهم هى أصوات الشراع الذى كانت تحركه الرياح ، وأصوات المياه حيث كانت هابينستانس تشق طريقها عبر الأمواج . كان أسلوب حديثهما مختلفاً عن أسلوب حديثهما عندما تقابلا فى المرفأ ، فقد ساد شعور بالراحة والحرية كما لو كان الهواء الطلق يحملهم بعيداً .

سألها " جاريت " : " هل ترغبين فى مشاهدة بقية السفينة ؟ "
أومات قائلة : " يسعدنى ذلك . "

نهض جاريت من مجلسه وتفحص الشراع مرة أخرى قبل أن يقود الطريق إلى الداخل ، وتبعته تريسا . وعندما فتح الباب ، توقف لبرهة ، فقد اجتاحتها فجأة الذكريات المدفونة منذ وقت طويل ، ولكن حركها وجود هذه السيدة .

لقد كانت كاثرين تجلس على مائدة صغيرة وفى يدها زجاجة من العصير ، وأمامها زهرية بها بعض الورد تعكس أضواء شمعة صغيرة تحترق . وكان لهبها يتمايل مع حركة السفينة ، ملقياً بالظلال داخل المركب ، واستطاع هو أن يلمح شبح ابتسامتها خلال هذا الضوء الخافت .

قالت : " اعتقدت أنها ستكون مفاجأة سارة ، فنحن لم نأكل على ضوء الشموع منذ فترة . "
نظر جاريت ناحية الموقد الصغير ، وكان بجانبه صحنان ملفوفان بأوراق الألومنيوم .

قالت : " بالتأكيد ، ثم أخذت تمسح بيدها على الجدران ،
وهي تتحسس مقانة وجودة الأخشاب المصنوعة منها السفينة " .
قال : " ماذا تفضلين ؟ " صودا أم كوكا ؟ "
أجابته : " لا بأس بال... " الصودا "
فجلس وأعطاهما الزجاجاة ، وتلامست أصابعهما وهي تأخذ منه
الزجاجاة .

قال : " لا يوجد لدى ثلج هنا في السفينة ، ولكنها مثلجة " .
قالت له : " سأحاول أن أبتلعها " ، فابتسم .
ثم قامت بفتحها وأخذت رشفة قبل أن تضعها على المنضدة .
أخذ ينظر إليها وهو يفتح زجاجاة المياه الغازية ، ويفكر فيما
قالت منذ قليل . إن لديها صبياً في الثانية عشرة من عمره ، وكونها
صحفية ، فهذا يعنى أنها ذهبت إلى الجامعة ، وأنها ربما قد
تزوجت بعد أن انتهت من دراستها ... إذن فهي قد تكبره بأربع أو
خمس سنوات . ولكنها لا تبدو كبيرة في السن لهذه الدرجة - لهذه
الدرجة بالتأكيد - وهي لا تتصرف كالنساء اللاتي في العشرينيات
من عمرهن . بل هناك نضج في تصرفاتها . وهو شيء لا تجده سوى
عند هؤلاء اللاتي خضن الكثير في حياتهن وواجهن صعاباً ونجحن
فيها .

ولكن لا يهم ذلك كثيراً .

حولت تريسا انتباهها إلى صورة فوتوغرافية معلقة على الحائط ،
ويظهر فيها جاريت وهو يقف على جسر ممتد في الماء ويحمل
سمكة بحرية ضخمة من نوع المرلين كان قد اصطادها ، وكان يبدو
في الصورة أصغر سناً مما هو الآن ، وكان يعلو وجهه في الصورة
ابتسامة عريضة . وقد ذكرها تعبير البهجة والسعادة المرتسم على
وجهه بـ " كيغن " حينما يحرز هدفاً في رياضة البيسبول .

كسرت هي حاجز الصمت وقالت وهي تشير إلى الصورة :
" أرى أنك تحب الصيد " فخطا خطوة نحوها ، وعندما اقترب
منها شعرت بحرارة تنبعث منه ، وكانت رائحته كالملح والرياح .
قال بهدوء : " نعم ، أحبه كثيراً ، فقد كان والدي صياداً ،
ولقد نشأت وأنا أحب البحر " .
" متى التقطت هذه الصورة ؟ "

قال : " منذ عشر سنوات ، قبل أن أعود إلى الكلية . لقد كنت
في السنة النهائية ، وكانت هناك مسابقة للصيد . وقررنا أنا
ووالدي قضاء ليلتين في مجرى الخليج . وقمنا باصطياد سمكة
المرلين هذه ، وكنا على بعد ستين ميلاً من الشاطئ ، ولقد استغرقنا
حوالي سبع ساعات لاصطيادها ، لأن والدي أراد أن أتعلم كيف
أفعل ذلك بالطرق التقليدية " .

قالت : " وماذا يعنى ذلك ؟ "

فضحك ضحكة خافتة وقال : " يعنى أنه عندما انتهينا كانت
يდაى قد كلتا من التعب ، ولم أستطع تحريك كتفى في اليوم
التالى ، لأن الصنارة التي استخدمناها لصيد السمكة لم تكن قوية بما
يكفى لسمكة بهذا الحجم الكبير ، لذا كنا ندع المرلين تجرى حتى
تتوقف ، ثم نقوم بسحبها بالصنارة ببطء . ثم ندعها تجرى مرة
أخرى وهكذا طوال اليوم حتى كلت ولم تعد تقوى على المقاومة بعد
ذلك " .

قالت : " إنه شيء يشبه رواية العجوز والبحر
لـ " هيمنجواى " .

قال : " بالفعل ، ما عدا أنني لم أكن أشعر بأننى " عجوز " حتى
اليوم التالى ، أما أبى فكان يمكن أن يقوم بهذا الدور فى
الفيلم " .

ألقت نظرة أخرى على الصورة وقالت : " هل هذا هو والدك
الذى يقف بجوارك " .

" نعم ، إنه هو " .

" إنك تشبهه كثيراً " .

ضحك جاريت ضحكة خافتة وهو يتساءل إذا ما كانت هذه
مجاملة أم لا ، واتجه نحو المائدة وجلست تريسا قبالتها ، وبمجرد
أن استراحت فى مجلسها سألته :

" لقد ذكرت أنك ذهبت إلى الجامعة ؟ "

التقت عيناه بعينيها وقال : " لقد ذهبت إلى جامعة نورث
كارولينا وتخصصت فى علم الأحياء المائية ، فلم يكن هناك شيء
يستهوئنى سوى ذلك . وعندما أخبرنى والدى أنه يجب أن أحصل
على شهادة ، فكرت فى أن أتعلم شيئاً أستطيع أن أستفيد منه فيما
بعد " .

" لذا قمت بشراء المتجر ؟ "

هز رأسه بالنفى وقال : " لا ، ليس بعد التخرج مباشرة . فبعد
التخرج ، عملت فى معهد " ديوك " البحرى وذلك كمتخصص فى
الغطس . ولكن لم يكن العائد مجزياً ، لذا حصلت على شهادة فى
تدريس رياضة الغوص ، وبدأت فى تعليم الطلاب فى عطلات نهاية
الأسبوع . ثم اشتريت المركز بعد ذلك بسنوات قليلة " ، ثم رفع
حاجبيه وقال : " وماذا عنك ؟ "

أخذت تريسا رشفة أخرى من زجاجة المياه الغازية قبل أن
تجيب قائلة :

" لم تكن حياتى مثيرة كحياتك ، لقد نشأت فى أوماها بولاية
نيبراسكا ، وذهبت إلى المدرسة فى بروان . وتنقلت بين عدة أماكن
وجربت أشياء عديدة ، ثم استقررت أخيراً فى بوسطن . وأنا أعمل

فى جريدة البوسطن تايمز منذ تسع سنوات ولكننى عملت بها
ككاتبة صحفية فى السنوات الأخيرة فقط ، أما قبل ذلك فكنت
أعمل بها كمراسلة .

" وما رأيك فى عملك ككاتبة ؟ "

فكرت فى سؤاله لدقيقة ، كما لو كانت تفكر فى عملها ككاتبة
صحفية لأول مرة .

ثم قالت أخيراً : " إنها وظيفة جيدة ، وهى الآن أفضل مما
بدأت بكثير ، فباستطاعتى الآن أن أصطحب كيفن من المدرسة ،
ولدى مطلق الحرية فى أن أكتب ما أشاء طالما أنه لا يخرج عن
نطاق ما أتناوله دائماً فى عمودى ، بالإضافة إلى أن العائد مناسب ،
ولا توجد أى مشاكل ، ولكن ... "

وتوقفت عن الحديث مرة أخرى ، ثم أردفت قائلة : " ولكن لم
يعد فيه شيء من التحدى والإبداع . ولا تسنى فهمى فإننى أحب ما
أقوم به ، ولكننى فى بعض الأحيان أشعر أننى أكتب نفس
الموضوعات مراراً وتكراراً - ولكن هذا ليس شيئاً سيئاً ، وبخاصة فى
وجود المهام الكثيرة التى أؤديها مع كيفن ، أعتقد ذلك . إننى مثلك
تماماً ، فلدى الكثير من المسؤوليات التى على تحملها دون وجود
أب ، أعتقد أنك تفهمنى .

أوما برأسه وتحدث برقة قائلاً : " إن الحياة لا تسير دائماً وفق
ما نهوى ، أليس كذلك ؟ "

قالت : " أعتقد ذلك " ولمحت التعبير الذى ارتسم على
وجهه ، وجعلها تتساءل إذا ما كان قد باح لها بشيء لم يذكره
لأحد من قبل ، ثم ابتسمت ومالت نحوه وقالت : " هل أنت
على استعداد لتناول شيء الآن ؟ لقد أحضرت معى أشياء كثيرة فى
السلة " .

" حينما ترغبين أنت بذلك "

" أتمنى أن تروق لك الشطائر والسلطة التي أعددتها ، فهي الأشياء الوحيدة التي اعتقدت أنها لن تفسد "

" إنها أفضل مما كنت سأتناوله ، فإني كنت سأتناول الهمبورجر فقط ، إذا ما كنت سأبحر بمفردى هذه الليلة . هل ترغبين في تناول الطعام هنا أم بالخارج ؟ "

قالت : " بالخارج ، بالطبع "

فأمسكا بزجاجات المياه الغازية وغادرا القمرة ، وجذب جاريت معطفاً واقياً من المطر من على المشجب القريب من الباب وهما في طريقهما إلى الخارج ، ثم أشار لها أن تذهب بدونها وقال لها : " امنحيني دقيقة لإلقاء الهلب ، حتى نستطيع أن نأكل دون فحص السفينة كل عدة دقائق " . اتجهت تريسا نحو مقعدها وفتحت السلة التي أحضرتها معها . وفي الأفق ، كانت الشمس قد احتجبت خلف غلالة من السحب ، فأخرجت تريسا شطيرتين ملفوفتين في ورق السوليفان ، وكذلك بعض الأطباق الورقية التي تحتوي على سلطة البطاطس .

ثم أخذت تشاهد جاريت وقد وضع المعطف جانباً ، وخفض الشراع ، فهدأت السفينة من سرعتها على الفور . وكان ظهره إليها وهو يعمل ، فلاحظت مرة أخرى مدى قوته . ومن حيث كانت تجلس ، ظهرت عضلات كتفيه أكبر من أول مرة لمحتها فيها ، مقارنة بخصره النحيل ، لم تستطع أن تصدق أنها تبهر بالفعل مع هذا الرجل ، فقد كانت في بوسطن منذ يومين فقط ، وبدا لها الأمر كله لا يصدق .

وبينما كان جاريت يعمل ، أخذت تريسا تنظر إلى أعلى ، وقد هب النسيم ، حيث انخفضت حرارة الجو ، وبدا الظلام يحل على المكان .

وبمجرد أن توقفت السفينة تماماً ، قام جاريت بخفض الهلب ، وانتظر لدقيقة ، حتى يتأكد من ثبات الهلب في مكانه . وعندما تأكد من ذلك ، اتخذ مجلسه بجانب تريسا .

قالت تريسا وعلى وجهها ابتسامة : " ليتنى أستطيع أن أفعل شيئاً لمساعدتك " ، ثم أزاحت شعرها على كتفها بنفس طريقة كاثرين ، وظل هو صامتاً لدقيقة .

فسألته تريسا : " هل كل شيء على ما يرام ؟ "

فأوما برأسه ، وقد شعر بعدم الارتياح مرة أخرى وقال : " كل شيء على ما يرام حتى الآن ، ولكنني أعتقد أنه لو اشتدت الرياح ، فسيكون علينا أن نغير اتجاه السفينة عدة مرات في طريق عودتنا " .

قامت بوضع بعض البطاطس بجانب الشطيرة في صحنه وأعطته إياه ، وقد لاحظت أنه قد اقترب منها أكثر من ذي قبل .

ثم قالت : " هل سنستغرق وقتاً أطول في العودة إذن ؟ "

أخذ جاريت إحدى الشوكات البلاستيكية ، وتناول بعضاً من السلطة ، واستغرق ذلك دقيقة قبل أن يجيب :

" أطول بقليل ، ولن يمثل ذلك أية مشكلة إلا إذا توقفت الرياح تماماً ، فإذا حدث ذلك ، فستتوقف السفينة وسيمثل ذلك مشكلة " .

" أعتقد أن ذلك قد واجهك من قبل " .

أوما برأسه موافقاً وقال : " مرة أو مرتين ، إنه شيء قليل الحدوث ، ولكنه يحدث بالفعل في بعض الأحيان " .

فبدت الحيرة علي وجهها وقالت : " لماذا هو نادر الحدوث ؟
فالرياح لا تهب دائماً ، أليس كذلك ؟ "
" ولكنها تهب عادة في المحيط ."
" كيف ذلك ؟ "

ابتسم وهو مستمتع بالحديث ووضع الشطيرة في صحنه وقال :
" إن الرياح تنشط نتيجة للاختلاف في درجات الحرارة - حيث
يندفع الهواء الساخن نحو الهواء البارد . ومن أجل أن يتوقف
هبوب الرياح عندما تكونين في المحيط ، يجب أن تكون درجة
حرارة الهواء مساوية لدرجة حرارة الماء لمسافة أميال ، وغالباً ما
يكون الهواء هنا ساخناً خلال النهار ، ولكن بمجرد أن تبدأ الشمس
في المغيب ، تنخفض درجة الحرارة سريعاً ، لذا فإن أنسب وقت
للإبحار هو وقت الغسق حيث تتغير درجة الحرارة بانتظام وثبات ،
هكذا يكون أنسب وقت للإبحار ."

قالت : " وماذا يحدث إذا ما توقفت الرياح ؟ "
" يتوقف كل من الشراع والسفينة ، ولا يكون بإمكانك فعل أى
شيء لتجعلها تتحرك ."
" إنك تقول إن ذلك قد حدث لك من قبل ؟ "
أوما برأسه موافقاً

قالت : " وماذا فعلت حينئذ ؟ "
" فى الواقع لم أفعل شيئاً ، جلست فحسب واستمتعت
بالهواء ، فلم أكن فى خطر ، وكنت أعلم أنه ستنخفض درجة
الحرارة ، لذا انتظرت حتى يحدث ذلك ، وبعد مرور ساعة أو نحو
ذلك ، نشطت الرياح وعدت بها إلى الميناء مرة أخرى ."
" يبدو كأنه كان يوماً ممتعاً ."

قال وهو يحول نظره عن نظراتها الموجهة ناحيته ، وثبت عينيه
على باب القمرة : " كان كذلك بالفعل " وأضاف بعد دقيقة ،
وكأنه يحدث نفسه : " بل من أجمل الأيام ."

أخذت كاثارين تتحرك فى مقعدها وهى تقول : " تعال
واجلس بجانبى ."

فأغلق جاريت باب القمرة واتجه نحوها .
قالت كاثارين بعدوبة : " إنه من أمتع الأيام التى قضيناها معاً
منذ وقت طويل ."

ثم هدأ صوتها وأصبح همساً : " لقد انشغلنا مؤخراً ، و... لا
أعرف ، لقد أردت أن أفعل شيئاً مميزاً من أجلنا ."

بدت لـ " جاريت " وهى تتحدث وكأنه يرتسم على وجهها
نفس التعبير الهادئ الدافئ الذى رآه فى ليلة زفافها .

فجلس جاريت بجانبها وأخذ يصب العصير ، وقال : " أنا
آسف ، لقد انهمكت فى العمل بالمركز فى الفترة الأخيرة ،
ولكنى أحبك ، وأنت تدركين ذلك تماماً ."

ابتسمت وهى تضم راحتيه وقالت : " أعرف ."
" أعدك ، بأنى سأكون أفضل عما قريب ."

أومات كاثارين برأسها وأمسكت بالعصير ، وقالت : " دعنا لا
نخوض فى ذلك الآن ، إننى الآن أرغب فى أن نستمتع بوقتنا ،
نحن الاثنان فقط ، دون أن يعكر صفونا شيء ."

" جاريت ؟ "
نظر جاريت إلى تريسا منزعجاً وقال : " أنا آسف ... ؟ "

حدثت إليه وقالت بمزيج من القلق والحيرة : " هل أنت بخير ؟ "

قال جاريت : " نعم ، إننى بخير ، لقد تذكرت شيئاً على إنجازه ، ثم أضاف وهو يعتدل فى مجلسه ويلف يديه حول ركبته : " يكفى ما قلته إلى الآن عن نفسى ، تريسا ... أخبرينى بشيء عن نفسك " .

بدأت حديثها وكانت متحيرة ولا تدرى ماذا يرغب بالضبط فى معرفته ، فأخذت تتناول الجوانب الأساسية فى حياتها دون الدخول فى تفاصيل دقيقة ، فتحدثت عن نشأتها ، وعملها وهوايتها ، وتحدثت أكثر عن كيفن ، وكيف أنه ابن رائع ، وأنها تشعر بالضيق لأنها لا تقضى وقتاً أطول معه .

استمع جاريت إليها وهى تتحدث ولم يقاطعها كثيراً وعندما انتهت من حديثها سألتها : " لقد قلت إنك تزوجت مرة واحدة ؟ " أومأت برأسها وقالت : " واستمر زواجى ثمانى سنوات ، ولكن يبدو أن الحب قد فتر فى قلب ديفيد - وكان هذا اسمه - ثم ما لبث أن دخل فى علاقة ، ولم أتحمل بالطبع أنا ذلك " .

قال جاريت فى رقة : " أفهم ما تعنين ، هذا يجعل الحياة صعبة " .

توقفت وأخذت رشفة من زجاجة المياه الغازية ، وقالت : " نعم ، بالفعل ، ولكننا مازلنا أصدقاء على الرغم من كل شيء ، فهو أب جيد لـ " كيفن " ، وذلك ما أبغيه الآن " .

مرت من أسفل السفينة موجة ضخمة ، فأدار جاريت رأسه ليتأكد من أن الهلب ثابت فى مكانه ، وعندما استدار مرة أخرى مواجهاً تريسا قالت : " والآن ، حان دورك ، حدثنى عن نفسك " .

تحدثت جاريت هو الآخر منذ البداية ، فحكى لها عن نشأته فى ويلمينجتون كطفل وحيد ، وقال لها إن والدته قد توفيت عندما كان فى الثانية عشرة . ولأن والده كان يقضى معظم وقته على السفينة ، فنشأ هو أيضاً وهو يحب المياه ويقضى فيها القسم الأكبر من وقته . ثم تحدث بعد ذلك عن أيام الجامعة ، ولكنه لم يذكر بعض الأحداث والقصص التى يمكن أن تترك انطباعاً سيئاً . ثم ذكر لها كيف بدأ عمله فى المركز ، وكيف يقضى أيامه الآن ، ومن الغريب أنه لم يذكر أى شيء مطلقاً عن كاترين ، وهو شيء تعجبت له تريسا .

وبينما كانا يتحدثان ، أظلمت السماء ، وبدأ الضباب يحيط بهما ، ومع الاهتزاز الخفيف للسفينة بين الأمواج ، بدأ يتولد بينهما نوع من الألفة ، وساهم الهواء العليل ، والنسيم الذى يداعب وجهيهما وحركة المركب الطفيفة فى تخفيف التوتر الذى كانا يشعران به فى البداية .

ثم حاولت تريسا بعد ذلك أن تتذكر آخر مرة خرجت فيها بصحبة أحد الرجال ، ولم تشعر بأى إلحاح من جانب جاريت لأن يقابلها مرة أخرى ، ولم يبد عليه أنه يتوقع ذلك ، فمعظم الرجال الذين قابلتهم فى بوسطن كانوا ينتظرون أن ترتبط معهم بعلاقة عاطفية . لقد كان تفكيراً مراهقاً - ولكنه مع ذلك كان يسيطر عليهم جميعاً . وقد وجدت أن جاريت نموذج مختلف .

وعندما بلغ بهما الحديث نقطة هادئة ، تراجع جاريت بظهره إلى الوراء ، وتخلل شعره بأصابعه ، ثم أغلق عينيه ، وبدأ وكأنه يستمتع بلحظة صمت هادئة ، فقامت تريسا أثناء ذلك بوضع الصحون المستعملة والمناديل فى السلة مرة أخرى ، حتى لا تسقط فى المحيط ، وعندما استعد جاريت ، هب من مقعده .

قال وكأنه يشعر بالضيق لانتهاء الرحلة : " أعتقد أنه قد حان وقت العودة " .

وخلال دقائق ، كانت السفينة فى طريق عودتها مرة أخرى ، وقد لاحظت تريسا أن الرياح قد اشتدت عن ذى قبل . وأمسك جاريت بعجلة القيادة ، حتى يحافظ على سير السفينة فى الاتجاه الصحيح . ووقفت تريسا بجانبه وهى تضع يدها على سور السفينة ، وهى تسترجع حديثهما مراراً وتكراراً . ولم يتحدث كل منهما لفترة طويلة ، ووجد جاريت نفسه يتساءل لماذا يشعر بالارتباك وعدم الاتزان .

فى آخر مرة أبحرا فيها معاً ، تحدثت جاريت وكاثرين لساعات ، وهما يستمتعان بتناول العشاء ، وكان البحر هادئاً ، وكان الارتفاع والانخفاض الطفيف للأمواج يعطيها شعوراً بالراحة والاسترخاء .

وفى تلك الليلة استلقت كاثرين بجانب جاريت تداعب شعره بأصبعها ، ولم تقل شيئاً فسألها جاريت أخيراً : " فيم تفكرين ؟ " همست قائلة : " لم أتخيل أنه من الممكن أن أحب شخصاً كل هذا الحب الذى أكنه لك " .

فمر جاريت بيده على وجنتيها ، ولم تفارق عيناها عينيه . وأجاب فى عذوبة : " وأنا أيضاً لم أتخيل أنه من الممكن ذلك ، ولا أعرف ماذا كنت سأفعل بدونك " .

قالت : " هل يمكنك أن تعدنى بشيء ؟ " .

" اطلبى ما تشائين " .

" إذا ما حدث أى شيء لى ، عدنى بأن تحب شخصاً آخر " .

لا أعتقد أننى أستطيع أن أحب أحداً سواك " .
" فقط ، عدنى بذلك " .

استغرق دقيقة قبل أن يجيب : " حسناً ، إذا كان ذلك يسعدك إذن ، فأنا أعدك " .
وابتسم فى رقة وحنان
فدنت كاثرين منه وقالت : " إننى سعيدة يا جاريت " .

عندما نفص جاريت الذكرى عن خاطره ، تنحنح ولمس ذراع تريسا بيده ليجذب انتباهها ، وأشار نحو السماء ، وقال أخيراً وهو يبذل قصارى جهده لتأخذ المحادثة شكلاً طبيعياً : " انظرى إلى كل ذلك ، لقد كانوا يستخدمون النجوم فى الإبحار ، وذلك قبل أن يبتدعوا آلات السدس (وهى آلة لقياس ارتفاع الأجرام السماوية من سفينة أو طائرة) والبوصلات ، وهناك ، يمكنك أن ترى النجم القطبى ، وهو دائماً ما يشير نحو الشمال " .

نظرت تريسا نحو السماء وقال : " كيف عرفت من بين النجوم ؟ " .

" عن طريق الاسترشاد بالنجوم ، هل ترين الدب الأكبر ؟ " .
" بالطبع " .

" إذا رسمت خطأ بدءاً من النجمتين اللتين يكونان حافة الملعقة ، فسيشيران ناحية النجم الشمالى " .

وأخذت تريسا تشاهده وهو يشير إلى النجوم التى يتحدث عنها ، وتفكر فى جاريت وفى الأشياء التى تستهويه : الإبحار ، الغوص ، الصيد والاسترشاد بالنجوم - أى شيء يتعلق بالنجوم أو أى شيء يمكنه من البقاء وحيداً لساعات متواصلة .

وبيد واحدة ، أمسك جاريت بمعطف المطر الأزرق - الذى كان قد تركه بالقرب من عجلة القيادة منذ فترة - وارتداه . وقال : " لقد كان الفينيقيون أعظم مكتشفى المحيطات تقريباً ، ولقد ذكروا فى عام ٦٠٠ ق . م أنهم قد أبحروا حول قارة أفريقيا ، ولكن لم يصدق أحد أنهم قاموا بذلك بالفعل ، لأنهم قد أقسموا أن النجم الشمالى قد اختفى فى منتصف الطريق خلال رحلتهم " .
" لِمَ ؟ "

" لأنهم قد دخلوا نصف الكرة الجنوبي ، وقد عرف المؤرخون فيما بعد أنهم قد قاموا بذلك بالفعل . ومن قبل ، لم ير أحد ذلك يحدث أبداً ، أو إذا تصادف ورآه ، لم يقوموا بتسجيله ، ولقد استغرق الأمر ألفى سنة قبل إثبات صحته " .

فأومات برأسها وهى تحاول تخيل تلك الرحلة الشاقة البعيدة وتساءلت : لماذا لم تعلم مثل تلك الأشياء ، وكذلك عن هذا الرجل الذى لديه هذا الكم من المعرفة والدراية بها . وفجأة أدركت لماذا وقعت كاثرين فى حبه ، ليس بسبب جاذبيته المميزة أو طموحه أو حتى سحره ، تلك الأشياء كانت جزءاً من صفاته ، ولكن الأهم من ذلك ، أنه كان يبدو أنه يعيش حياته من خلال آرائه الخاصة ومبادئه ، لقد كان هناك شىء غامض ومختلف فى تصرفاته وأفعاله . وهو ما جعله متفرداً ومميزاً عن أى رجل صادفته فى حياتها .

أخذ جاريت ينظر إليها أثناء انشغالها بالتفكير ، ولاحظ مدى رقتها وعذوبتها ، وقد بدت بشرتها الشاحبة فى الظلام غاية فى الرقة والنعومة . ووجد نفسه يتخيل كيف سيكون شعوره إذا ما تحسس وجنتيها براحتيه ، ثم سرعان ما هز رأسه لدفع هذا التفكير بعيداً .

ولكنه لم يفلح ، فقد كان النسيم يداعب شعرها ، مما حرك عواطفه . منذ متى لم تداهمه هذه المشاعر ؟ قطعاً منذ وقت طويل . ولكن لم يكن فى وسعه أن يفعل شيئاً حيال هذه الأحاسيس ، وكان يدرك جيداً أيضاً وهو يراقبها أنه ليس بالوقت المناسب أو المكان المناسب أو حتى الشخص المناسب . ومن داخله ، أخذ يتساءل هل سيكون هناك شىء صحيح مرة أخرى بعد الآن .
قال أخيراً وهو يحاول أن يبدو هادئاً : " أرجو ألا أكون مملاً ، فأنا أهوى مثل هذه النوعية من القصص " .

أدارت وجهها ناحيته وابتسمت قائلة : " لا ، على الإطلاق ، لقد أعجبتنى هذه القصة ، لقد كنت فقط أتخيل ما الذى صادفه هؤلاء الرجال أثناء رحلتهم ، فإنه ليس بالأمر اليسير أن تتوجه نحو شىء غريب ومجهول " .

قال وقد شعر بأنها تقرأ ما يدور فى مخيلته : " لا ، إنه ليس بالشىء اليسير فعلاً " .

كانت الأضواء المنبعثة من المباني الواقعة بجانب الشاطئ تتلألأ فى الضباب الذى أخذ يتكاثف ببطء . وكانت هابينستانس تهتز برفق فوق الأمواج العالية وهى تقترب من الخليج . وأخذت تريسا تلقى نظرة على الأشياء التى كانت قد أحضرتها معها ، فكان معطفها فى جانب السفينة بالقرب من القمرة ، فأخذت تذكر نفسها بالأ تنسأه حينما تصل إلى المرفأ .

ثم تساءلت إذا كان جاريت قد اصطحب أحداً آخر بخلافها هى وكاثرين للإبحار معه ، على الرغم من أنه قد ذكر لها أنه يبحر عادة بمفرده . وإذا كان هذا صحيحاً ، فماذا يعنى ؟ كانت تدرك أنه ظل يراقبها طيلة هذه الأمسية ، على الرغم من أن ذلك لم يكن ظاهراً . وحتى إن كان الفضول ينتابه بشأنها ، فقد نجح فى إخفاء

مشاعره ، فلم يدفعها لإعطاء معلومات عن نفسها ، ولم يسألها إذا كانت على علاقة عاطفية بأى رجل آخر . باختصار ، لم يفعل أى شىء هذه الليلة يمكن تفسيره بأنه اهتمام غير عادى .

ضغط جاريت على مفتاح كهرباء ، فأحاطت السفينة سلسلة من الأضواء ، وإن كانت لا تكفى لرؤية أحدهما الآخر بوضوح ، ولكنها تكفى لأن تراها السفن الأخرى وهى تقترب منها ، وأشار ناحية الساحل المظلم وقال : " ها هو الخليج ، يقع هناك بين الأضواء " ثم أدار عجلة القيادة ناحية هذا الاتجاه ، فأخذ الشراع يهتز ، وتحولت دفة السفينة لدقيقة قبل أن تعود إلى وضعها الأصلي .

وسألها أخيراً : " هل استمتعت بأول إبحار لك ؟ "

" بالطبع ، لقد كان رائعاً "

" إننى سعيد برأيك ، أنا أعلم أنها لم تكن رحلة إلى نصف الكرة الجنوبي ، ولكن هذا كل ما فى استطاعتي "

وقفا بجانب بعضهما البعض ، وبدا أن كلا منهما قد غرق فى أفكاره ، وظهرت فجأة من خلال الظلام سفينة شراعية أخرى على بعد ربع ميل تشق طريقها نحو المرفأ هى الأخرى ، فابتعد عنها جاريت بمسافة كافية ، وأخذ ينظر يمينا ويسارا ليتأكد من عدم ظهور أى سفينة أخرى ، ولاحظت تريسا أن الضباب قد حجب الأفق .

ثم حولت بصرها إليه ، فلاحظت أن شعره يتطاير إلى الورا بفعل الرياح . وكان المعطف الذى يرتديه يصل إلى منتصف فخذه ، وكان قديماً ، وقد تغير لونه من عوامل الجو ، فبدا وكأنه يرتديه منذ سنوات ، وقد أعطاه حجماً أكبر من حجمه الطبيعى . وستظل صورته تلك فى مخيلتها إلى الأبد كلما تذكرته ، وكذلك أول مرة رآته فيها .

وعندما اقتربا من الشاطئ ، اعترى تريسا الشك فجأة بأنهما سيتقابلان مرة أخرى ، فسرعان ما سيبلغان المرفأ خلال دقائق وسيودعان بعضهما البعض ، وهى تشك إذا ما كان سيطلب منها لقاءه مرة أخرى أم لا . وهى لن تطلب منه ذلك بالطبع ، فلن يبدو ذلك تصرفاً لائقاً .

شقا طريقهما عبر الخليج ، متجهين نحو المرفأ . وحافظ هو مرة أخرى على سير السفينة فى منتصف الممر المائى . ورأت تريسا ، سلسلة من العلامات التى تتخذ شكل مثلثات والتى تشير إلى القناة . حافظ جاريت أيضاً على ارتفاع الشراع حتى بلغ نفس النقطة تقريباً التى رفعه عندها من قبل ، ثم قام بخفض الشراع بنفس الشدة التى كان يقود بها السفينة طوال الليل ، وأدار المحرك . وخلال دقائق كانا يشقان طريقهما مخلفين وراءهما السفن الأخرى التى كانت رابضة طوال الليل . وعندما وصل إلى مرسى سفينته وقفت هى على سطح السفينة ، بينما قفز جاريت وأخذ يوثق هابينستانس بالحبال .

اتجهت تريسا نحو مؤخرة السفينة لتحضر معطفها وسلة الطعام ، ولكنها توقفت وأخذت تفكر لدقيقة . ثم أمسكت بالسلة وبدلاً من أن تلتقط المعطف ، دفعته بيدها الأخرى أسفل وسادة المقعد وحرصت على أن يظهر جزء صغير منه فقط . وعندما سألها جاريت إذا ما كان كل شىء على ما يرام ، تنحنحت قائلة : " لقد كنت فقط أحضر متعلقاتى " واتجهت نحو جانب السفينة ، ومد هو يده إليها ومرة أخرى شعرت بقوتها وهى تمسك بها ، ونزلت من أعلى هابينستانس إلى المرفأ .

نظر كل منهما إلى الآخر للحظات ، وكأنهما يتساءلان ، ماذا سيحدث بعد ذلك ؟ ، ثم تحرك جاريت أخيراً فى اتجاه السفينة

وقال : " على أن أغلقها طوال الليل ، ولن يستغرق ذلك وقتاً طويلاً " .

فأومأت قائلة : " علمت أنك ستقول ذلك " .

قال : " أيمكنني أن أصحبك أولاً إلى سيارتك ؟ "

قالت : " بالتأكيد " ثم سار عبر المرفأ وبجانبه تريسا ، وعندما بلغا السيارة التي كانت قد قامت باستئجارها ، أخذ جاريت يشاهدها وهي تبحث في السلة عن مفاتيحها ، وعندما عثرت عليها ، قامت بفتح باب السيارة .

ثم قالت : " لقد قضيت وقتاً رائعاً الليلة ، كما أخبرتك من قبل " .

" وأنا أيضاً " .

" عليك أن تصطحب آخرين للإبحار معك ، فإنني على ثقة من أنهم سيستمتعون بذلك كثيراً " .

فابتسمت ابتسامة عريضة وقال : " سأفكر في الأمر " .

وتلاقت عيناها لدقيقة ، وللحظة رأى طيف كاثارين في الظلام .

فقال بسرعة ، ولم تبد عليه أمارات الراحة : " على أن أعود ، فيجب أن أستيقظ مبكراً " ، فأومأت برأسها وهي لا تدري ماذا تفعل ، ومد جاريت يده إليها وقال : " سررت بمقابلتك يا تريسا ، وأتمنى أن تستمتعي بإجازتك " .

واعترأها شعور غريب وهي تصافحه ، بعد الأمسية التي قضياها معاً ولكنها كانت ستصاب بالدهشة إذا ما قام بأى شيء غير عادي .

قالت : " أشكرك على كل شيء يا جاريت ، لقد سررت أنا أيضاً بمقابلتك " .

ثم اتخذت مقعدها خلف عجلة القيادة وأدارت المحرك ، وأغلق جاريت باب سيارتها وأخذ يشاهدها وهي تنطلق بالسيارة ، ابتسمت وهي تنظر إليه من خلال المرآة ، ورجعت بالسيارة ببطء إلى الخلف وأخذ جاريت يلوح لها وهي تغادر المرفأ بسيارتها . وعندما شقت طريقها بأمان ، استدار واتجه مرة أخرى نحو المرفأ ، وتساءل عن سبب شعوره بعدم الراحة .

وبعد مضي عشرين دقيقة ، وبينما كان جاريت ينتهي من توثيق هابينستانس ، كانت تريسا تفتح باب غرفتها بالفندق . وتخطو إلى داخلها ، ونثرت متعلقاتها على الفراش واتجهت نحو دورة المياه ، وأخذت تضع المياه الباردة على وجهها ، ثم نظفت أسنانها قبل أن تغير ملابسها ، واستلقت في فراشها بعد ذلك ، ولم تشعل أى أضواء سوى الضوء الخافت المنبعث من المصباح الموضوع بجانب الفراش ، وأغمضت عينيها ، وأخذت تفكر في جاريت .

كان ديفيد سينتهج أسلوباً مختلفاً إذا كان هو الذى اصطحبها للإبحار معه وليس جاريت . وكان سيبذل قصارى جهده ليجعل الأمسية تبدو بالصورة الجذابة التي يبغيها ، فكان يقول : " لقد وجدت بعض الشراب بالمصادفة ، هل ترغبين في تناول بعض منه " - وبالقطع كان سيتحدث بشكل أكثر عن نفسه ، ولكن بأسلوب حاذق ومهذب ، فهو يدرك جيداً الخط الفاصل بين الثقة والغرور ، وسيحرص على ألا يتعدى هذا الخط . وإذا لم تكن تعرفه جيداً ، فلن تدرك أن ذلك أسلوب مصطنع ومتكلف من أجل خلق انطباع أمثل عن شخصيته . ولكن جاريت كان مختلفاً ، فقد أدركت على الفور أنه لا يتكلف - بل كان صادقاً في تصرفاته - وقد شعرت أنه قد أسرها بأسلوبه ، ولكن هل كان تصرفها هي

صحيحاً ؟ فهي لم تكن على ثقة من ذلك بعد ، فقد بدا تصرفها مخادعاً ، وهي لا تحب أن ترى نفسها كذلك .

ولكنها قد قامت بذلك بالفعل ، واتخذت قرارها ، ولا مجال للتراجع الآن . أطفأت المصباح ، وبمجرد أن اعتادت عيناها الظلام ، نظرت نحو المسافة التي تفصل بين الستائر المنسدلة ، وكان القمر هلالاً ، وقد ألقى بظلاله على الفراش ، وعندما نظرت ناحيته ، وجدت نفسها لا تقوى على النظر بعيداً ، حتى ارتخى جسدها ، وأغلقت عينيها واستسلمت للنوم .

الفصل السابع

قال جيب بليك بصوته الأجش وهو يتناول قدحاً من القهوة :
" وماذا حدث بعد ذلك ؟ "

كان جيب بليك يناهز السبعين من عمره ، وكان طويلاً ، نحيفاً إلى حد كبير وكانت التجاعيد تملأ وجهه ، والشيب يغطي معظم شعر رأسه الخفيف ، وكانت تفاحة آدم تبرز من خلال عنقه ، أما ذراعه فيكسوها الوشم والندبات كما كانت تغطيها كلف الشمس . أما مفاصل يديه فكانت دائمة التورم نتيجة للسنوات التي قضاها في ممارسة مهنة شاقة كصيد الجمبري . وإذا لم تلاحظ عينيه اللتين تنبعث منهما الصحة والحيوية ، فقد تظن أنه واهن أو يغلبه المرض ، ولكنه في حقيقة الأمر أبعد ما يكون عن ذلك . فلا يزال يمارس عمله كل يوم تقريباً ، حيث يغادر منزله كل يوم قبل الفجر ويعود عند الظهر .

قالت جاريت : " لم يحدث شيء ، فقد استقلت سيارتها وابتعدت " .

فحدق جيب بليك إلى ابنه ، وهو يقوم بلف أول سيجارة من عشرات السجائر التي يقوم بتدخينها في اليوم . وقد أخبره الطبيب منذ عدة سنوات أنه ينتحر بالتدخين ، ولكن لأن هذا الطبيب قد

توفى إثر أزمة قلبية وهو فى الستين من عمره ، فلم يكن جيب يضع ثقة كبيرة فى نصائحه الطبية .

" لقد كان هذا مضيعة للوقت ، أليس كذلك ؟ "

اندهش جاريت من صراحته وقال : " لا يا أبى ، لم يكن مضيعة للوقت . لقد قضيت وقتاً رائعاً الليلة الماضية ، لقد كانت متحدثه لبقه ، ولقد استمتعت بصحبته كثيراً " .

" ولكنك لن تراها ثانية " .

صب جاريت لنفسه قدحاً من القهوة ، وهز رأسه قائلاً : " أشك فى ذلك ، فكما أخبرتك من قبل ، إنها فى إجازة " .

" وكم ستمكث ؟ "

" لا أعرف ، فلم أسألها " .

" لماذا ؟ "

أضاف جاريت بعضاً من السكر إلى القهوة وقال : " لماذا تهتم بهذا الأمر إلى هذه الدرجة ؟ لقد أبحرت معها ، وقضينا وقتاً طيباً ، ولا يوجد ما أقوله أكثر من ذلك " .

" بل هناك المزيد بالتأكيد " .

" مثل ماذا ؟ "

" كأن تقول إذا ما كنت قد استمتعت بمقابلتها بدرجة تجعلك

تبدأ التعرف على أشخاص آخرين " .

أخذ جاريت يقلب قهوته وهو يفكر : " إذن هذا هو كل ما فى الأمر " .

وعلى الرغم من أنه قد نشأ معتاداً على تساؤلات والده طيلة سنوات عمره ، إلا أنه لم يكن فى حالة مزاجية تسمح له بالتطرق إلى هذا الموضوع مرة أخرى ، ثم قال : " أبى ، لقد ناقشنا ذلك من قبل " .

" أعلم ذلك ، ولكننى أشعر بالقلق من أجلك ، إنك تمضى وقتاً طويلاً بمفردك هذه الأيام " .

" لا ، ليس ذلك صحيحاً " .

قال والده فى رقة مفاجئة : " بل صحيح " .

" لا أريد مناقشة ذلك الآن يا أبى " .

ابتسم والده قائلاً : " ولا أنا أيضاً ، لقد حاولت ذلك بالفعل ، ولكننى لم أفلح " وبعد دقيقة من الصمت ، قام جيب بليك باتباع أسلوب آخر فى الحديث .

حيث قال : " كيف كانت تبدو ؟ "

أخذ جاريت يفكر لدقيقة ، وكان قد وجد نفسه رغماً عنه ، يفكر فيها لوقت طويل ليلة أمس قبل أن يخلد إلى النوم .

ثم قال " تريسا ؟ إنها جذابة وذكية ، بل ساحرة أيضاً " .

" هل هى متزوجة ؟ "

" أظن ذلك . لكنها قد تكون مطلقة ، ولا أعتقد أنها كانت

ستأتى وحدها إذا كانت مرتبطة برجل " .

أخذ جيب يلاحظ جيداً التعبيرات المرتسمة على وجه جاريت

وهو يجيبه . وعندما انتهى ، مال على قدح القهوة حتى يرتشف

منه وقال : " لقد أعجبتك ، أليس كذلك ؟ "

كان جاريت يدرك أنه عندما ينظر فى عيني والده ، فلن

يستطيع إخفاء الحقيقة عنه ، فقال : " نعم ، لقد أعجبتنى ،

ولكن كما أخبرتك من قبل ، فمن المحتمل ألا أراها مرة أخرى ،

فلا أعرف أين تقيم ، وكل ما أعرفه عنها أنها قد تغادر المدينة

اليوم " .

أخذ والده يتفرسه لدقيقة فى صمت قبل أن يعاود طرح الأسئلة قائلاً : " افترض أنها لا تزال هنا ، وعلمت بمكان إقامتها ، فهل أعجبك وترغب فى رؤيتها مرة أخرى ؟ "

أشاح جاريت بوجهه دون أن يجيب ، فمد جيب ذراعه عبر المنضدة ، وأمسك بذراع ابنه . وعلى الرغم من أنه فى السبعين من عمره ، إلا أن يديه كانتا قويتين ، وشعر جاريت أنه يضغط عليه ليجذب انتباهه .

قال جيب : " يا بنى ، لقد مرت ثلاث سنوات حتى الآن ، إننى أعرف جيداً قدر حبك لها ، ولكن يجب عليك أن تحاول تجاوز ذلك ، أليس كذلك ؟ عليك أن تكون قادراً على النسيان وتجاوز هذه المرحلة . "

استغرق الأمر منه دقيقة قبل أن يجيب قائلاً : " أعرف يا أبى ، ولكن ليس الأمر بهذه السهولة . "

قال والده : " إن أى شىء ذى قيمة ، وترك بصمة فى حياتنا لا يمكن نسيانه بسهولة ، تذكر ذلك . "

وبعد دقائق قليلة ، كانوا قد انتهيا من تناول قهوتيهما ، وترك جاريت دولارين على المائدة ، ثم تبع والده خارج المطعم ، واتجه ناحية شاحنته فى مكان انتظار السيارات . وعندما وصل جاريت إلى مركز الغوص الخاص به ، كانت تدور فى رأسه عشرات الأشياء والمهمات التى أمامه . لكنه وجد نفسه عاجزاً عن التركيز فيها ؛ لهذا قرر أن يعود مرة أخرى إلى الميناء حتى ينتهى من إصلاح المحرك الذى كان قد بدأ فى إصلاحه بالأمس . وعلى الرغم من أنه كان عليه أن يقضى بعض الوقت فى المركز اليوم ، إلا أنه قد شعر الآن بالحاجة إلى أن يبقى وحيداً .

جذب جاريت صندوق الأدوات من ظهر الشاحنة ، ثم وضعه فى القارب الذى يستعمله فى دروس الغوص . وقد كان قارباً خفيفاً وطويلاً ، ولكنه كان يكفى لحمل ثمانية طلاب بالإضافة إلى الأدوات اللازمة للغطس .

وعلى الرغم من أن العمل بالمحرك كان يستغرق وقتاً طويلاً إلا أنه لم يكن يحتاج إلى جهد كبير ، وقد قطع شوطاً كبيراً فى إصلاحه فى اليوم الماضى . وبينما كان يقوم بإزاحة الغلاف الخارجى للمحرك ، أخذ يفكر فى المناقشة التى دارت بينه وبين والده . لقد كان والده محقاً بالطبع ، فلا يوجد سبب لاستمرار مشاعره بهذا الشكل . ولكن - يعلم الله وحده - أن الأمر ليس بيده . فهو لا يعرف كيفية التغلب على هذه المشاعر ، فلقد كانت كآثرين تمثل كل شىء بالنسبة إليه فى الحياة ، فكان كل ما عليها فقط أن تنظر إليه ، حتى يشعر بأن كل شىء قد عاد فجأة لنصابه الصحيح فى هذا العالم ، أما ابتسامتها ... يا إلهى ... فكانت شيئاً لا يستطيع أن يجده فى أى امرأة أخرى . ولم يكن من العدل ... أن يُنتزع منه شىء كهذا . لماذا هى سواها دون باقى البشر ؟ ولماذا هو ؟ لقد ظل لشهور ، يستيقظ بالليل ليسأل نفسه " ماذا لو " ، فماذا لو انتظرت عدة ثوانٍ أخرى قبل أن تعبر الطريق ؟ ماذا لو أمضيت دقائق إضافية فى تناول إفطارهما ؟ ماذا لو رافقها هذا الصباح بدلاً من التوجه مباشرة إلى المركز ؟ آلاف من هذه الأسئلة ، ولا يزال لا يتفهم الأمر برمته .

وفى محاولة لتصفية ذهنه ، أخذ يركز انتباهه لإنجاز المهمة التى فى يده . فأخذ فى إزاحة المسامير التى تعمل على تثبيت " الكاربيراتير " فى موضعه ، ثم قام بإخراجه من المحرك ، وأخذ يقوم بتفكيكه ليتأكد من أنه لا يوجد شىء قد تآكل من الداخل .

وعلى الرغم من أنه كان يعرف أن ذلك ليس سبب العطل وأصل المشكلة ، إلا أنه كان يريد إلقاء نظرة فاحصة ليتأكد .

ارتفعت الشمس فوق رأسه وهو يعمل بجهد ، ووجد نفسه يجفف العرق المتصبب فوق جبهته ، وأخذ يتذكر أنه شاهد تريساً بالأمس وهي تسير عبر المرفأ متجهة نحو هابينستانس في نفس هذا الوقت تقريباً . ولقد لاحظها على الفور ، لا لشيء إلا أنها كانت بمفردها ، فمثيلاتها من النساء لا يأتين غالباً بمفردهن إلى الميناء ، وإنما يرافقهن دائماً رجال أثرياء ، يكبرهن في العمر ، ممن يمتلكون اليخوت التي ترسو على الجانب الآخر من المرفأ . وقد تملكته الدهشة عندما توقفت عند سفينته ، على الرغم من أنه كان يتوقع أن تسترعى السفينة انتباهها لدقيقة قبل أن تخطو نحو وجهتها ، فهذا ما يفعله في الغالب معظم الناس ، ولكن بعد أن أخذ يشاهدها لفترة وجيزة ، أدرك أنها جاءت إلى الميناء خصيصاً لرؤية هابينستانس . وكذلك كانت الطريقة التي تتجول بها حول السفينة تدل على أنها جاءت كذلك من أجل شيء آخر .

لقد أثارت فضوله ، وأراد أن يتحدث معها . وفي بادئ الأمر ، لم يلحظ شيئاً ، ولكن عندما كان قريباً منها في المركب في المساء ، أدرك أن هناك شيئاً غير عادي في الطريقة التي كانت تنظر بها إليه . كما لو كانت قد عرفت عنه شيئاً كان يخفيه دائماً في أعماقه ، والأكثر من ذلك ، أنها كانت تبدو أنها تعرف عنه أكثر مما تبوح به .

هز رأسه ، وكأنه يطرد تلك الأفكار من رأسه ، لأنه ليس لها أساس من الصحة . لقد أخبرته أنها قد قرأت بعض المقالات عن السفينة من المركز - وقد يكون هذا هو سبب النظرة الغريبة . ولذا قرر في النهاية أن الأمر كذلك ، فهو على ثقة أنه لم يلقها من

قبل ، لأنه لو حدث ذلك لتذكرها على الفور ، بالإضافة إلى أنها قد جاءت من بوسطن لقضاء الإجازة . لكن ظل هناك شيء غامض بالنسبة للأمر برمته .

ولكن لا يهم ذلك كثيراً .

فلقد أبحرا سوياً ، واستمتعا بوقتتهما وبصحبة بعضهما البعض ، ثم ودع كل منهما الآخر ، وانتهى الأمر . ولقد أخبر والده أنه لا يستطيع الوصول إليها مرة أخرى حتى إن أراد ذلك ، ومن المحتمل أن تكون الآن في طريق عودتها إلى بوسطن ، أو ستكون كذلك في غضون أيام . كما أن لديه المئات من الأشياء التي عليه إنجازها هذا الأسبوع ، فالصيف موسم مزدحم بدروس الغوص ، ويتم الاستعانة به في عطلة نهاية كل أسبوع حتى أواخر أغسطس . وهو ليس لديه الوقت أو الطاقة للاتصال بكل فندق في ويليمنجتون للبحث عنها . وحتى إذا قام بذلك بالفعل ، فماذا سيقول ؟ وما الذي يمكن أن يسأل عنه دون أن يبدو سخيلاً ؟

كان رأسه يزدحم بهذه الأسئلة وهو يقوم بإصلاح المحرك ، وبعد أن قام بتغيير القطعة التالفة ، قام بإعادة تركيب المحرك إلى وضعه الأول ثم قام بتشغيله ، وبدأ صوته أفضل . فقام بحل القارب من الحبال ، ثم سار بذلك به لمدة أربعين دقيقة ، على سرعات مختلفة ، ثم أخذ يدير المحرك ، ويقوم بإيقافه أكثر من مرة . وعندما تأكد من أن كل شيء على ما يرام ، عاد بالقارب إلى مرساه . وكان سعيداً لأن إصلاح القارب استغرق وقتاً أقل مما توقع ، فقام بجمع أدواته واتجه نحو الشاحنة ، ثم اتجه صوب مركز تدريب وبيع أدوات الغوص .

عندما وصل إلى هناك ، كانت هناك كومة من الأوراق كالمعتاد فوق مكتبه ، فأخذ دقيقة لمراجعتها . وكان معظمها أوامر شراء

لأشياء كان المركز بحاجة إليها ، وتم استيفائها بالفعل . وكانت هناك كذلك بعض الفواتير ، فجلس على مقعده ، من أجل الانتهاء من مجموعة الأوراق التي أمامه .

وقبل الحادية عشرة بقليل ، كان قد انتهى من معظم الأشياء المهمة التي كان يريد إنجازها ، ثم توجه إلى مقدمة المركز ، وكان إيان أحد موظفيه بالمركز في فترة الصيف - يتحدث بالهاتف حينما مر به جاريت ، فأعطاه ثلاث ورقات . وكانت أول ورقتين من الموزعين ، وقد أدرك من الرسائل المكتوبة أن هناك بعض الخطأ والخلط في أوامر الشراء التي طلبوها مؤخراً ، فأخذ جاريت يفكر وهو يتجه عائداً نحو المكتب أن هناك شيئاً آخر عليه إنجازها ، ثم أخذ يقرأ الرسالة الثالثة وهو يسير نحو المكتب .

بدأ في قراءة الرسالة وهو يسير إلى المكتب ، لكنه توقف عندما عرف بهوية الشخص الذي ترك له الرسالة . وعندما تأكد أن ليس بها ثمة خطأ ، دلف إلى مكتبه وأغلق الباب خلفه ، وأدار قرص الهاتف وسأل عن رقم الغرفة .

ثم قال : " مرحباً يا تريسا ، جاريت المتحدث ، هناك رسالة بأنك قد اتصلت بي " .

وبدا على صوتها السعادة لسماع صوته وهي تقول : " مرحباً يا جاريت ، شكراً لك على اتصالك ، كيف حالك ؟ " .

أعاد صوتها إليه ذكريات الليلة الماضية ، فابتسم وتخيل هيئتها وهي تجلس في غرفتها بالفندق وقال : " إننى بخير ، شكراً لك ، لقد كنت أراجع بعض الأوراق لتوى فوجدت رسالتك ، هل هناك أى شيء أستطيع تأديته لك ؟ " .

" لقد نسيت معطفي على السفينة ليلة أمس ، وأتساءل إذا ما كنت قد عثرت عليه " .

" لا ، لم أعثر عليه . إننى فى الواقع لم أتفحص المكان جيداً ، فهل تركته فى القمرة ؟ " .

" لست على ثقة من ذلك " . صمت جاريت للحظة ، ثم أردف قائلاً : " دعينى أذهب إلى هناك وألقى نظرة ، وسأعاود الاتصال بك وأخبرك إذا ما كنت قد عثرت عليه " .

" هل فى ذلك إزعاج لك ؟ " .

" كلا ، على الإطلاق ، فسوف يستغرق الأمر عدة دقائق ، هل ستمكثين فى غرفتك لفترة ؟ " .

" نعم ، سأنتظر " .

" سأعاود الاتصال بك على الفور " .

ثم غادر جاريت المركز ، واتجه سريعاً نحو المرفأ ، وبعد أن اعتلى هابينستانس ، قام بفتح باب القمرة ، ونزل إلى أسفل وعندما لم يعثر على المعطف غادر القمرة ، وألقى نظرة على سطح المركب ، فلمحه أخيراً بالقرب من مؤخرة السفينة حيث كان جزء منه فقط

ظاهراً من أسفل المقعد . فالتقطه ، وتيقن من أنه لا يوجد به أى بقع ، وعاد أدراجه مرة أخرى إلى المركز .

دلف إلى مكتبه مرة أخرى ، وعاد الاتصال بالرقم المدون على شريحة الورق ، وفى هذه المرة ، قامت تريسا بالتقاط سماعة الهاتف بعد أول رنين للهاتف .

قال لها : " جاريت المتحدث ، لقد عثرت على معطفك " .

بدا عليها الارتياح وقالت : " أشكرك لبحثك عنه " .

" لم يمثل ذلك أى مشكلة على الإطلاق " .

صمتت تريساً لدقيقة ، وكأنما تقرر ما الذى ستفعله فى الخطوة التالية ، وقالت أخيراً : " هل تستطيع أن تحتفظ به من أجلى ؟ ساكون بالمركز فى غضون عشرين دقيقة لآخذه . "

" إنه لمن دواعى سرورى . وبعد أن وضع سماعة الهاتف ، تراجع فى مقعده إلى الوراء وهو يفكر فيما وقع منذ لحظات ، إنها لم تغادر المدينة بعد . وقال لنفسه : " وسأراها مرة أخرى " . وعلى الرغم من أنه لم يستطع أن يفهم كيف نسيت معطفها حيث إنها لم تحضر معها سوى أشياء بسيطة ، إلا أنه كانت هناك حقيقة واضحة أمامه وهى أنه كان سعيداً بالفعل لحدوث ذلك . فلا يهم إذا كانت نسيت معطفها أم لا .

وصلت تريساً إلى المركز بعد عشرين دقيقة ، وكانت ترتدى سروالاً قصيراً ، وقميصاً بدون أكمام ذا رقبة قصيرة أظهر رشاقة جسمها . وعندما دلفت إلى المركز ، أخذ كل من جاريت وإيان يحدقان إليها وهى تجول ببصرها حول المكان ، ولمحتة أخيراً فابتسمت ونادته قائلة من حيث تقف : " مرحباً " . ورفع إيان حاجبه فى دهشة وهو ينظر لـ " جاريت " كأنما يسأله : " لماذا لم تخبرنى بأمرها من قبل ؟ " . تجاهل جاريت التعبير المرتسم على وجهه ، واتجه ناحية تريساً وهو يمسك بالمعطف فى يده . وكان يعلم أن إيان سيمعن النظر فى كل شىء يفعله ، وسيلح عليه بالأسئلة فيما بعد ، ولكنه غير مستعد لأن يبوح له بشىء الآن .

قال وهو يقدم لها المعطف عندما اقتربت منه أكثر لتأخذه : " إنه كالجديد تماماً " بينما كانت فى طريقها إلى المركز ، أخذ جاريت يزيل الشحم من يده . وارتدى أحد القمصان الجديدة التى يعرضها المركز للبيع . لم يكن غاية فى الأناقة ، ولكنه بدا أفضل

بكثير من المرة السابقة التى رآته فيها ، فقد بدا نظيفاً على الأقل ، ولم يكن الشحم يملأ يديه .

قالت : " أشكرك لأنك أحضرته من أجلى من فوق المركب " ، وقد كان هناك شىء غامض فى عينيها جعل الميل الذى شعر به نحوها أول مرة يزداد ، ودون وعى ، أخذ يحك جانب وجهه وقال :

" إنه لمن دواعى سرورى ، أعتقد أن الرياح قد أزاحتها بعيداً " . قالت وهى تسعل سعالاً خفيفاً : " أعتقد ذلك " . أخذ جاريت يتفلسفها وهى تعيد إصلاح أكتاف قميصها بيدها ، ولم يستطع أن يعرف إذا ما كانت فى عجلة أم لا . ولم يكن على ثقة إذا ما كان يريد أن تغادر بعد ، وتفوه بأول كلمات طرأت على ذهنه :

فقال : " لقد قضيت وقتاً رائعاً معك الليلة الماضية " . قالت : " وأنا أيضاً " .

والتقت عيناها بعينيه وهى تقول ذلك ، فابتسم جاريت فى رقة ، ولم يكن يدري ما الذى يجب أن يقوله فيما بعد ، فلقد مضى وقت طويل منذ أن تعرض لموقف كهذا . وعلى الرغم من أنه كان يجيد معاملة الزبائن أو الغرباء عموماً ، إلا أن هذا الموقف كان مختلفاً تمام الاختلاف . ووجد نفسه يبدل تركيز الوقوف على قدميه ، وكان يعتريه شعور بأنه لا يزال فى السادسة عشرة من عمره ، وأخيراً تحدثت هى .

قالت : " أشعر وكأننى مدينة بالجزء الذى اقتطعته من وقتك " .

" لا تبالغى ، فأنت لست مدينة لى بشىء " .
" ربما ليس من أجل إحضار معطفى ، وإنما من أجل الليلة الماضية " .

فهز رأسه وقال : " ولا من أجل هذا أيضاً ، إننى أشعر بالسرور لمجيئك " .

إننى أشعر بالسعادة لمجيئك ، أخذت الكلمات تتردد فى رأسه فور التفوه بها . فمنذ يومين فقط ، لم يكن يتخيل نفسه يردد هذه الكلمات لأى شخص .

دق جرس الهاتف ، وأخرجه صوت رنينه من أفكاره ، وقال من أجل كسب مزيد من الوقت : " هل أتيت إلى هنا من أجل معطفك فقط ، أم أنك ستذهبين لرؤية بعض المناظر السياحية أيضاً ؟ " .

فقالت : " لم أخطط لذلك بعد ، لقد حان وقت الغداء الآن وسأذهب لأتناول وجبة سريعة " ثم نظرت إليه وكأنما تتوقع شيئاً وقالت : " هل لديك أى مقترحات بخصوص المكان الذى يمكن أن أتناول الغداء به ؟ " .

فكر لدقيقة قبل أن يجيبها : " إننى أفضل مطعم هانك ، إنه يقع بالقرب من اللسان الممتد فى البحر " ، فإنهم يقدمون طعاماً طازجاً ، والمنظر هناك رائع " .
" أين يقع بالضبط ؟ " .

فأشار بيديه قائلاً : " عند شاطئ رايتسفيل ، عليك أن تعبرى الجسر إلى الجزيرة ثم اتجهى يمينا . الأمر سهل ، فقط عليك البحث عن اللافتات التى تشير إلى اللسان ، فالمطعم يقع هناك بالضبط " .

" وأى نوع من الأطعمة يقدمون ؟ " .

" الأطعمة البحرية هى الطعام الرئيسى ، فهم يقدمون الجمبرى والمحار الرائع ، ولكن إذا أردت تناول شئ آخر ، فستجدين لديهم الهامبورجر وما شابه ذلك " .

وانتظرت لترى إذا ما كان سيضيف شيئاً آخر ولكنه لم يفعل ، فحولت نظرها ناحية النوافذ ، وظلت واقفة هكذا فى مكانها ، وللمرة الثانية فى غضون دقيقتين ، شعر بالحرج والارتباك فى وجودها ، ما الذى يجعله يشعر بذلك ؟ واستجمع نفسه أخيراً قائلاً :

" يمكننى أن أصطحبك إلى هناك إذا رغبت ، فإننى أشعر ببعض الجوع ، وسيكون ذلك من دواعى سرورى " .
فابتسمت قائلة : " إنه من دواعى سرورى أنا أيضاً يا جاريت " .

فبدأ الارتياح على وجهه وقال : " إن شاحنتى بالخارج ، هل تريدننى أن أصطحبك بها " .

فأجابته : " أنت تعرف الطريق أفضل منى " فأفسح لها جاريت الطريق ، وقادها عبر المركز ثم إلى الباب الخلفى ، فسارت بهدوء خلفه حتى لا يرى تعبيرات وجهها ، ولم تستطع تريسا أن تمنع نفسها من الابتسام ، ومن الشعور بالسعادة فى داخلها .

كان مطعم هانك قائماً منذ بناء الجسر الخشبي الممتد فى المياه ويرتاده كل من الأجانب وأبناء المدينة ، وعلى الرغم من أنه لم يكن على درجة كبيرة من الرقى إلا أنه كان ذا طبيعة مميزة ، وكانت أرضيته متآكلة إلى حد ما بفعل الأحذية المليئة بالرمال التى خطت عليها طوال تلك السنوات . وكانت النوافذ تطل على المحيط الأطلنطى ، والحوائط تزينها الأسماك التى تم تحنيطها . وكان هناك باب يقود إلى المطبخ عند أحد جوانب المطعم ، وشاهدت تريسا الصحون المليئة بالأطعمة البحرية الطازجة التى يحملها أكثر من نادل مرتدين سراويل قصيرة وقمصاناً زرقاء فضفاضة ، مطبوعاً

عليها اسم المطعم . وكانت المناضد والمقاعد مصنوعة من الخشب ، وكان تبدو متينة ، تزينها النقوش والأسماء المحفورة التي خلفها المئات من مرتادي المطعم . ولم يكن المكان يتطلب ارتداء ملابس رسمية ، وبدا لتريسا أن معظم الأشخاص الموجودين بالمطعم قد قضاوا معظم الصباح مستقلقين تحت أشعة الشمس .

قال جاريت وهما يتجهان نحو إحدى الموائد : " ضعي ثقتك بي ، فالطعام هنا رائع ، بغض النظر عن مظهر المكان " .

اتخذتا مقاعدهما على مائدة تقع في أحد الأركان ، وأزاح جاريت بيده زجاجتين من المياه الغازية ، لم يتم إبعادهما بعد . وكانت قائمة الطعام مليئة بمجموعة متنوعة من الصلصات الحريفة المليئة بالتوابل والبهارات التي تشمل صلصة الطماطم ، صلصة التبايك الحريفة ، صلصة الطرطار ، ومزيج من أنواع الصلصات الموضوعة في زجاجات بلاستيكية يسهل فتحها ، وكذلك نوع آخر من الصلصة يسمى " هانكز " . وبدت قائمة الطعام بالية ، وكأنه لم يتم تغييرها منذ سنوات . وقد لاحظت تريسا وهي تجول ببصرها عبر المكان ، أن المناضد جميعها تقريباً مشغولة .

قالت وهي تعتدل في مقعدها : " إن المكان مزدحم " .

" إنه دائماً كذلك ، وحتى قبل أن يزدحم شاطئ رايتسفيل بالسائحين . إن هذا المكان أسطورة ، وإنك إذا أتيت إلى هنا في يومى الجمعة والسبت ، سيكون عليك الانتظار لساعتين حتى تجدى مكاناً شاغراً " .

" وما الذى يجذب الناس إلى هنا ؟ "

" الطعام والأسعار . حيث تأتي إلى المطعم كل صباح شحنة طازجة من الجمبرى والأسماك الطازجة ، ولن تتكلفى أكثر من

عشرة دولارات فقط شاملة البقشيش ، بالإضافة إلى زجاجتين من المياه الغازية بجانب الطعام " .

" كيف يستطيع أن يقوم بتلك الموازنة ؟ "

" أعتقد بسبب كميات الأطعمة الكبيرة التي يبيعونها ، وكما ذكرت لك ، فالمكان مزدحم دائماً " .

" نحن إذن محظوظون ؛ لأننا استطعنا الحصول على مائدة شاغرة " .

" نعم ، ولكننا لحسن الحظ قد أتينا قبل وصول أبناء المدينة ، أما مرتادو الشاطئ لا يمكنون طويلاً ، بل يتناولون وجبة سريعة ، ويهرعون إلى الخارج من أجل الاستلقاء تحت أشعة الشمس " .

أخذت تجول ببصرها مرة أخرى عبر المكان قبل أن تنظر إلى القائمة وتقول : " إذن ، ماذا تقترح ؟ "

" هل تحبين تناول الأطعمة البحرية ؟ "

" إننى أعشقها " .

" إذن عليك بتناول لحم التونة أو الدرفيل ، فكلاهما شهى المذاق " .

فسألته : " درفيل ؟ "

فضحك بشدة وقال : " لا أقصد الزعانف ، بل لحم الدرفيل ، فهذا ما نطلق عليه هنا " .

قالت وهي تغمز بعينيها : " أعتقد أننى سأطلب سمك التونة ، وذلك حتى أكون على ثقة من أنك لن تحضر لى الزعنفة " .

" هل تعتقدين أنه يمكننى أن أفعل شيئاً كهذا ؟ "

قالت فى محاولة لإغاظته : " لا أعرف ما الذى يمكنك فعله ، لقد تقابلنا بالأمس فقط ، لا تنس ذلك ، لذا فأنا لا أعرفك تمام المعرفة لأكون على ثقة بما يمكن أن تقوم به " .

قال بنفس اللهجة : " لقد آلمتني " فانفجرت في الضحك ،
وضحك هو الآخر ، وبعد دقيقة فاجأته بأن مدت يدها عبر المائدة
ولسبت ذراعه في سرعة ، وفجأة تذكر أن كاثرين كانت قد اعتادت
أن تفعل نفس الشيء لجذب انتباهه .

قالت وهي تشير ناحية النوافذ : " انظر إلى هذا " ، فأدار
جاريث رأسه في نفس الاتجاه . كان هناك رجل عجوز يسير على
الجسر الخشبي الممتد في المياه حاملاً أدوات صيده ، وتبدو هيئته
طبيعية ، إلا أنه كان هناك ببغاء ضخم يقف على كتفيه .

فهز جاريث رأسه وابتسم ، وهو لا يزال يشعر بأثر لمسة يديها
على ذراعه . ثم قال : " لدينا هنا كل شيء ، ولكننا لم نصل بعد
مستوى كاليفورنيا ، ولكن أمهلينا فقط عدة سنوات " .

أخذت تريسا تراقب الرجل وهو يسير عبر الجسر الخشبي
وقالت : " عليك إحضار أحد الببغاوات ليكون بصحبتك عندما
تذهب للإبحار " .

فقال : " حتى يفسد على الهدوء والسلام الذي أنعم به . وأنا
أعرف جيداً أنه لن يتعلم الهدوء لسوء حظي ، وسوف يصدر أصواتاً
مزعجة طوال الوقت ويصيبني بالصداع . وربما يجن ويأكل جزءاً من
أذني عندما تغير الرياح اتجاهها لأول مرة " .

" وستبدو عندئذ كأحد القراصنة " .
" بل سأبدو كالأحمق " .

قالت تريسا وهي تتظاهر بالعبوس : " إنك لا تتقبل المزاح " .
وبعد برهة من الصمت ، أخذت تنظر حولها وتقول : " هل لديهم
هنا من يقوم بتقديم الطعام بالفعل ، أم علينا أن نقوم بصيد وطهو
السك بأنفسنا ؟ " .

غمغم وهو يهز رأسه : " يا للجنة " فانفجرت هي في الضحك
مرة أخرى وهي تتساءل إذا ما كان يشعر بالمتعة ، إنها تعتقد أنه
من المحتمل أن يكون كذلك بالفعل .

وبعد عدة دقائق جاء النادل ودون طلباتهم ، وقد طلب كل من
جاريث وتريسا المياه الغازية ، وبعد أن أعطى النادل طلباتهما إلى
المطبخ ، قام بإحضار زجاجتي المياه الغازية ووضعهما على المائدة .
سألته وهي ترفع حاجبيها في دهشة بعد أن غادر النادل :
" ألا توجد لديهم أكواب ؟ " .

" لا ، إنه ليس بالمكان الفخم " .
" عرفت الآن سبب إعجابك به بشدة " .

" هل في ذلك إشارة إلى افتقاري إلى الذوق السليم ؟ " .
" فقط إذا ما شعرت أنت بذلك " .

" إنك تتحدثين كطبيبة أمراض نفسية " .
" إنني لست طبيبة أمراض نفسية ، بل أنا أم . وهذا يجعلني
خبيرة في الطبيعة البشرية " .

" هل الأمر كذلك حقاً ؟ " .
" هذا ما أذكره لـ " كيفن " " .

تناول جاريث رشفة من زجاجة المياه الغازية ، ثم أردف
قائلاً : " هل اتصلت به اليوم ؟ " .

أومأت برأسها بالإيجاب وهي ترتشف رشفة هي الأخرى من
زجاجتها وقالت : " لدقائق فقط ، فقد كان في طريقه إلى ديزني
لاند عندما حدثت ، وكانت لديه أشياء كثيرة لإنجازها لذا لم
يستطع أن يتحدث طويلاً ، فقد كان يريد أن يكون في أول الصف
في لعبة أنديانا جونز " .

" هل يمضي وقتاً طويلاً مع والده ؟ " .

" إنه يقضى وقتاً رائعاً ، إن ديفيد يحنو عليه دائماً على الرغم من اعتقادي أنه يفعل ذلك لأنه يحاول تعويض الوقت القصير الذي يمضيه مع كيفن ، فهو لا يراه باستمرار ، ولذلك يتوقع كيفن أن يمضى وقتاً ممتعاً ومثيراً حينما يذهب إلى هناك " .
نظر إليها جاريت بفضول وقال : " يبدو وكأنك لست واثقة من ذلك " .

ترددت برهة قبل أن تجيب قائلة : " إننى أرجو فقط ألا يؤدي ذلك إلى خيبة أمله فيما بعد ، لأن ديفيد وزوجته الجديدة يبدآن فى تكوين عائلة ، وأعتقد أنه سيكون من الصعب بالنسبة لـ " ديفيد " وكيفن أن يكونا بمفردهما عندما يتقدم طفله فى العمر قليلاً " .
مال جاريت إلى الأمام قليلاً وهو يتحدث قائلاً : " من المستحيل أن تحمى أطفالك من الإحباط أو خيبة الأمل التى سيصادفونها فى حياتهم " .
" أعلم ذلك جيداً ، ولكننى فقط ... " .

وتوقفت عن الحديث ، ولكن جاريت أكمل ما تفكر فيه قائلاً :
" إنه ابنك ولا ترغبين فى رؤيته حزينا أو مجروحاً " .
قالت : " تماماً " ، وتكاثفت بعض قطرات المياه على زجاجة المياه الغازية ، فقامت تريسا بإزالة العلامة التجارية الورقية الموضوعية على الزجاج ، يا إلهى ! إنها مرة ثانية تقوم بنفس الشيء الذى اعتادت كاثرين عليه . فأخذ جاريت يرتشف المياه الغازية محاولاً أن ينفض تلك الأفكار عن رأسه ، ويجبر عقله على مواصلة الحديث الدائر بينهما .

ثم قال : " لا أعلم بالضبط ماذا أقول فيما عدا أنه إذا ما كان كيفن يماثلك ، فأنا على ثقة من أنه سيكون على ما يرام فيما بعد " .

" ماذا تعنى ؟ "

فتنحرج قائلاً : " أعنى ، إن حياة أى شخص لا تسير دائماً فى سهولة ويسر دون عثرات ، بما فى ذلك حياتك أنت أيضاً . فمن المؤكد أنه قد واجهتك أوقات عصيبة ، وأعتقد أنه حينما يراك وأنت تتغلبين على أزماتك ، فسيتعلم منك قطعاً كيف يفعل ذلك هو الآخر " .

" إنك أنت الآن الذى يتحدث كطبيب أمراض نفسية " .
" إننى فقط أخبرك بما تعلمته خلال حياتى ، فلقد كنت فى مثل عمر كيفن تقريباً حينما توفيت والدتى بسبب إصابتها بمرض السرطان ، وقد تعلمت من والدى خلال تغلبه على تلك الأزمة أنه يجب على أن أواصل حياتى ، غير عابئ بما يحدث " .

" هل تزوج والدك مرة ثانية ؟ "
قال وهو يهز رأسه بالنفى : " لا ، أعتقد أنه قد مرت عليه لحظات قليلة كان يرغب فى ذلك ، ولكنه لم يفعل " .
وحدثت نفسها قائلة : " علمت الآن لماذا لم تفعل ذلك أنت أيضاً ، فمن شابه أباه فما ظلم " .

ثم سألته : " هل مازال يقطن فى المدينة ؟ "
" نعم ، أنا أراه كثيراً هذه الأيام ، فإننا نحاول أن نلتقى مرة واحدة على الأقل فى الأسبوع " " إنه يحب التأكد من أننى أسلك سلوك الرشاد " .
ابتسمت قائلة : " هكذا يفعل دائماً معظم الآباء " .

بعد دقائق أتاها الطعام ، واستكملا حديثهما وهما يتناولان طعامهما ، وفى تلك المرة كان جاريت هو الذى يتحدث أكثر ، وأخذ يخبرها عن نشأته فى الجنوب ، وأخذ يقص عليها بعض

الأحداث الشيقة والمثيرة التي وقعت له أثناء الإبحار أو الغوص . وأخذت هي تستمع له وقد أسرها بحديثه . ومقارنة بالقصص التي كان يقصها على مسامعها الرجال في بوسطن - والتي كانت معظمها عن إنجازاتهم في عالم التجارة والمال - كانت قصص " جاريت " جديدة وشيقة لم تسمع بها من قبل . فلقد أخبرها عن آلاف المخلوقات البحرية المختلفة التي شاهدها أثناء قيامه بالغوص . وحدثها عن كيفية الإبحار خلال عاصفة هبت فجأة وكادت تقلب سفينته . وقد طارده في إحدى المرات سمكة قرش ضخمة ، فاختبأ في السفينة الغارقة التي كانوا يبحثون عنها ويحاولون انتشالها ، وقال وهو يهز رأسه لينفض عن رأسه تلك الذكرى : " وكاد الهواء أن ينفذ قبل أن أصد على السطح " .

أخذت تريسا تتفرس في وجهه وهو يتحدث ، وكانت سعيدة لأن أسلوبه في الحديث قد تغير مقارنة بالليلة الماضية وأصبح أكثر ليناً . ولكنها لا تزال تلاحظ نفس الأشياء التي رأتها في الليلة الماضية : الوجه النحيل ، العينين الزرقاوين الوضاءتين ، والرشاقة التي يتحرك بها . إلا أن هناك بعض الحماس والحيوية في أسلوب حديثه معها الآن ، وقد جذبها وراق لها هذا التغيير ، فلم يعد يزن كل كلمة يتفوه بها .

فرغاً من تناول غدائهما - وقد كان محقاً ، فالطعام شهى ولذيذ - وتناولوا زجاجتين إضافيتين من المياه الغازية . وكانت المراوح المعلقة تدور بسرعة فوق رأسيهما ، وكانت الشمس لا تزال ساطعة في كبد السماء ، وأصبح المطعم شديد الحرارة ، ولكنه لا يزال مزدحماً . وبعد أن أحضر لهما النادل فاتورة الحساب ، وضع جاريت بعض النقود على المائدة ، وأشار لها بالاستعداد للانصراف . " هل أنت مستعدة للذهاب ؟ "

" نعم ، وأشكرك جزيل الشكر على الغداء ، فلقد كان رائعاً " . وعندما غادرا المطعم ، توقعت هي أن يرغب جاريت في العودة إلى المركز مرة أخرى ، ولكنها ولدهشتها فاجأها بشيء مختلف . فقال : " ما رأيك في السير بجانب الشاطئ ، فالطقس يكون أقل حرارة بجانب المياه " ، وعندما وافقته ، قادها إلى جانب الجسر الخشبي الممتد في المياه ، وأخذ يهبط درجات السلم ، وهو يسير بجانب تريسا . وكانت درجات الجسر الخشبي متعرجة قليلاً ومغطاة بالرمال ، مما جعلهما يمسكان بحافة الجسر الخشبي وهما يشقان طريقهما . وبمجرد أن وصلا إلى الشاطئ ، اتجها نحو المياه ، وأخذا يسيروا أسفل الجسر الخشبي ، وكان الجو منعشاً . وعندما بلغا الرمال المبتلة عند الشاطئ ، توقفا وقاما بخلع أحذيتهم ، وكانت العائلات المختلفة ، متجمعة إما على الشاطئ أو تمرح وتتقافز في المياه .

أخذا يسيروا في صمت ، وعلى مهل بجانب بعضهما البعض . وكانت تريسا تجول ببصرها فيما حولها ، وتشاهد المناظر المختلفة . سألتها جاريت : " هل قضيت وقتاً طويلاً على الشواطئ أثناء إجازتك هنا ؟ "

فهزت تريسا رأسها بالنفي وقالت : " لا ، لقد وصلت إلى هنا أمس الأول فقط ، وهذه أول مرة آتى فيها إلى الشاطئ منذ وصولي " .

" وهل أعجبك ؟ "

" إنه بديع " .

" هل يشبه الشواطئ الموجودة في الشمال ؟ "

" يشبه بعضها ، ولكن المياه أكثر دفئاً هنا ، ألم تذهب إلى الشواطئ الشمالية من قبل ؟ "

" لم أغادر نورث كارولينا مطلقاً "

ابتسمت إليه قائلة : " إنك رحالة بالفعل ، أليس كذلك ؟ " فضحك بشدة وقال : " لا ، ولكننى لا أشعر أنى أحب الذهاب إلى هناك كثيراً ، إننى أحب المكان هنا بشدة ، ولا أتخيل أن هناك مكاناً أجمل من هذا . " وبعد أن سارا بضع خطوات نظر إليها وغير دفة الحديث قائلاً : " ما المدة التى ستمكثينها فى ويلمينجتون ؟ " " سأمكث إلى يوم الأحد ، فعلى أن أعود إلى عملى يوم الاثنين . "

حدث نفسه قائلاً : " خمسة أيام فقط . "

ثم سألتها : " هل تعرفين أحداً هنا فى المدينة ؟ "

" لا ، لقد أتيت إلى هنا بمفردى . "

" لماذا ؟ "

" لقد أردت فقط أن أزور المدينة ، فلقد علمت أن بالمكان أشياء جميلة ، فأردت أن أزورها بنفسى . "

اندهش من إجابتها وسألها : " هل تمضين الإجازات دائماً بمفردك ؟ "

وفجأة ظهرت إحدى السيدات وكانت تركض على الشاطئ ، وتتحرك نحوهما بسرعة وبجانبها كان يجرى كلب لابرادور أسود مدرب ، وقد بدا منهكاً من حرارة الشمس ، وكان لسانه يتدلى إلى الخارج ، واستمرت السيدة فى الركض دون أن تلاحظ حالة الكلب ، ودارت السيدة حول تريسا ، وكاد جاريت أن يخبرها بشئ عن حالة الكلب وهى تمر بجانبها ، ولكنه أدرك أنه ليس من شأنه .

مرت عدة دقائق قبل أن يستأنف جاريت حديثه مرة أخرى قائلاً : " هل يمكننى أن أطرح عليك سؤالاً شخصياً ؟ "

" هذا يعتمد على طبيعة السؤال نفسه . "

فتوقف عن السير والتقط محارتين صغيرتين قد لفتتا انتباهه ، وبعد أن قلبهما فى يده عدة مرات ، أعطاها إياهما .

ثم قال : " هل تواعدين أحداً فى بوسطن ؟ "

قالت وهى تلتقط المحارتين : " لا . "

تجمعت الأمواج حول أرجلها وهما يقفان فى المياه الضحلة ، وعلى الرغم من أنه كان يتوقع الإجابة ، إلا أنه لم يستطع أن يتفهم كيف تقضى امرأة كهذه حياتها وحيدة دون شريك .

" ولم لا ؟ امرأة مثلك من المفترض أن يكون لديها الكثير من

المعجبين . "

ضحكت لذلك ، واستأنفا سيرهما مرة أخرى ببطء وقالت :

" أشكرك ، لطيف منك أن تقول هذا ، ولكن الأمر ليس بهذه

البساطة ، وخاصة حينما يكون لديك صبي . هناك الكثير من

الأشياء التى على وضعها فى الاعتبار حينما أفكر فى الارتباط ،

وتوقفت ثم سألته : " وماذا عنك ؟ هل أنت مرتبط ؟ "

هز رأسه قائلاً : " كلا . "

" إذن ، فدورى أن أسألك ، ولم لا ؟ "

تنحج جاريت قائلاً : " أعتقد أننى لم أقابل أى امرأة أشعر

بميل لأن أراها باستمرار . "

" أهذا كل ما فى الأمر ؟ "

لقد كانت لحظة صدق ، وكان جاريت يعلم ذلك ، وكان كل ما

عليه أن يؤكد جملته السابقة ، وينتهى الأمر ، ولكنه ظل لخطوات

صامتاً .

بدأ الازدحام يقل تدريجياً كلما ابتعدا عن الجسر الخشبي ،

حتى وصلا لمكان لم يسمعا فيه سوى صوت الأمواج المتلاطمة . ورأى

جارية مجموعة من طيور النورس تقف بالقرب من حافة المياه ، وكانت تتحرك مبتعدة عن طريقهما . وكانت الشمس تسطع فوق رأسيهما مباشرة ، وكانت حرارتها تنعكس بشدة على الرمال ، مما جعلهما يسيران وأعينهما نصف مفتوحة بفعل حرارتها .

ثم قال لها : " ليس هذا كل ما فى الأمر ، فلكى أكون صادقاً ، فإننى لم أحاول أن أتواعد مع أى امرأة من الأساس " .
لم يكن جارية ينظر إليها أثناء حديثه ، بل كان ينظر أمامه مباشرة كما لو كان يستجمع أفكاره ، ولكنها استطاعت أن تستشعر وجومه ومقاومته .

ثم قال : " هنالك شىء لم أخبرك به الليلة الماضية " .
وفجأة ، انتابها الشعور بالقلق . فهى تعرف بالضبط ما الذى ينوى إخبارها به ، فحاولت أن تبدو طبيعية وقالت ببساطة :
" حقاً ؟ "

فقال أخيراً : " لقد كنت متزوجاً ، واستمر زواجى ست سنوات " ، ثم استدار ناحيتها وهو يقول بأسلوب جعلها تجفل :
" ولكنها توفيت " .

فقالت بهدوء : " إننى آسفة " .
توقف مرة أخرى والتقط بعض الأصداف ، ولكنه لم يعطها إياها هذه المرة ، ولكن قلبها فى يديه عدة مرات ، ثم ألقى بواحدة منها خلال الأمواج المتجهة نحو الشاطئ ، وأخذت تريسا تشاهدها وهى تختفى فى المحيط .

ثم قال : " لقد حدث ذلك منذ ثلاث سنوات . ومنذ ذلك الحين ، لم يكن لدى الرغبة فى الارتباط عاطفياً بأى امرأة " .
وتوقف للحظة ، وكان يشعر بعدم الراحة .
" لا بد أنك تشعر بالوحدة فى بعض الأحيان " .

" نعم ، بالفعل ، ولكننى أحاول أن أتجاوز عن ذلك الشعور ، وألا أفكر فيه كثيراً . وأحاول الانهماك فى عملى بالمركز - فهناك الكثير . لإنجازته - فذلك يجعل الأيام تمضى سريعاً . وقبل أن ينتابنى أى شعور بالوحدة ، يكون قد حان موعد النوم ، وأبدأ فى اليوم التالى من جديد " .

وعندما أنهى حديثه ، نظر إليها بابتسامة باهتة ، لقد صرح أخيراً بما يشعر به . لقد كان يشعر لسنوات أنه يريد أن يبوح بما فى صدره لأى شخص آخر بخلاف والده ، وها هو انتهى به المطاف لأن يصرح بما يضطرم بداخله لامرأة من بوسطن لا يعرف عنها الكثير ، امرأة استطاعت أن تفتح أبواباً ، كان قد أغلقها منذ فترة طويلة .

ولم تتفوه هى بشىء ، وعندما لم يصف هو شيئاً آخر سألته :
" وكيف كانت تبدو ؟ "
جف حلق جارية وهو يقول : " كاثرين ؟ هل تريدين حقاً أن تعرفى عنها شيئاً ؟ "

قالت فى صوت عذب : " نعم ، أريد " .
قام بإلقاء صدفة أخرى على الموج المتكسر على الشاطئ ، وهو يستجمع أفكاره . كيف يمكنه أن يعبر عنها فى كلمات ، ولكن جزءاً منه كان يحاول ، وكان يرغب فى أن تعرف تريسا دون سواها ذلك وتتفهمه . ومرة أخرى ورغماً عنه ، عاد بذاكرته إلى الوراثة .

قالت كاثرين وهى تنظر إليه من خلال الحديقة : " مرحباً يا عزيزى ، لم أتوقع أن تعود إلى المنزل سريعاً " .
" لم يكن هناك قدر كبير من العمل هذا الصباح ، ففضلت أن أعود إلى المنزل لتناول الغداء ، وأطمئن عليك " .

" إننى أشعر بأنى أفضل كثيراً الآن "

" هل تعتقدن أنها الأنفلونزا ؟ "

" لا أعرف ، أو ربما كان سبب ما أشعر به شيئاً ملوثاً تناولته ، ولكن بعدما ذهبت إلى عملك بحوالى ساعة ، شعرت ببعض التحسن ، فقامت ببعض الأعمال فى الحديقة "

" إننى أرى ذلك بالفعل "

قالت وهى تشير إلى رقعة صغيرة من التربة بها بعض الزهور المفتوحة : " ما رأيك فى تلك الزهور ؟ "

أخذ جاريت يتحسس زهور البنفسج التى زرعت حديثاً وابتسم قائلاً : " إنها رائعة ! ولكن ألا ترين أنه كان يجب أن تتركى بعضاً من الطين فى حوض الزهور بدلاً من تلويث نفسك به كله ؟ "

أخذت تمسح جبهتها بظهر يديها ، ووقفت تنظر إليه بعينين نصف مفتوحتين فى ضوء الشمس الساطعة وقالت :
" هل أبدو سيئة إلى هذا الحد ؟ "

وكانت ركبتاها داكنتين نتيجة لانغماسها فى الطين ، وكان هناك بعض الطين العالق بوجنتيها ، وكان شعرها يتطاير والاحمرار يعلو وجهها ، وكان العرق يتصبب منها نتيجة المجهود الذى بذلته فى الحديقة .

" بل تبدين رائعة "

خلعت كاثرين القفاز الذى كانت ترتديه ، وألقته على أرض الحديقة ، وقالت : " إننى لست رائعة ، ولكن أشكرك يا جاريت ، والآن دعنى أقوم بإعداد طعام الغداء ، فأنا أعلم أنه يجب أن تعود إلى المركز "

تنهد جاريت وأدار رأسه ، وكانت تريسا تحديق إليه وتنتظر أن يكمل حديثه . فتحدث فى رقعة وعذوبة ، وقال : " لقد كانت فاتنة ، ساحرة ، ولديها روح عالية من الدعابة . وكانت تقف بجوارى وتساندنى فى أى شىء أفعله ، لقد عرفتُها طوال حياتى - لقد ذهبنا إلى المدرسة معاً ، وتزوجنا بعد تخرجى فى الجامعة بعام واحد . ولقد استمر زواجنا ست سنوات قبل أن يقع الحادث . وكانت أسعد ست سنوات فى حياتى بأكملها . وعندما انتزعت منى ... " وتوقف عن الحديث وكأنما خانتها العبارات ، ثم أكمل :
" لا أعرف كيف سأعتاد على حياتى بدونها "

كان الأسلوب الذى يتحدث به عن كاثرين قد جعل تريسا تشعر بالألم من أجله بقدر لم تتخيله ، فلم يكن صوته فقط هو الذى جعلها تشعر بذلك ، بل تلك النظرة البادية على وجهه قبل أن يصفها - كما لو كان يتمزق بين روعة ذكرياته وألم التذكر . وعلى الرغم من أن الرسائل كانت رقيقة ومفعمة بالحب ، إلا أنها لم تجعلها مهيأة لكل تلك الأحاسيس ، وأخذت تحدث نفسها قائلة :
" كان يجب علىّ ألا أذكره بها ، فأنا أعرف بالفعل شعوره تجاهها ، ولم يكن هناك أى سبب لكى أجعله يتحدث عنها "

لكن تردد صوت آخر فى عقلها قائلاً : " بل هناك سبب بالفعل ، فعليك أن تعرفى رد فعله تجاهك . وعليك أن تعرفى إذا ما كان على استعداد أن يضع الماضى خلفه أو لا "

وبعد مرور دقائق ، أخذ جاريت يلقي بالأصداف المتبقية فى المياه وذلك دون وعى وقال : " إننى آسف لذلك "

" ماذا ؟ "

" ما كان يجب علىّ أن أحدثك عنها أو عنى بهذا الشكل "

" لا بأس يا جاريت ، لقد أردت أن أعرف ، وإننى أنا التى سألتك عنها ، ألا تذكر ؟ "

فقال وكأنما قد ارتكب خطأ ما : " لم أقصد أن أبدو كذلك " وكان رد فعل تريسا تلقائياً .

حيث خطت نحوه ، ومدت يدها نحو يده وأمسكت بها فى يدها ببطء ، وضغطت عليها فى رقة . وعندما نظرت إليه ، رأت تعبيرات الدهشة فى عينيه ، على الرغم من أنه لم يحاول أن يبعد يديه من بين يديها .

ثم قالت : " لقد فقدت زوجة ، وهو شىء لا يعرفه الكثيرون ممن هم فى مثل أعمارنا " ، فخفض عينيه بينما كانت تحاول هى البحث عن الكلمات المناسبة .

وأضافت : " إن مشاعرك تكشف الكثير عنك ، إنك من هذا النوع من الأشخاص الذين إذا وقعوا فى حب شخص ما ، يظلون هكذا إلى الأبد ، فليس هناك ما يدعو للخجل " .

" أعلم ذلك ، ولكن لقد مر على ذلك ثلاث سنوات و " " سوف تعثر على الشخص المناسب فى يوم من الأيام ، فهكذا دائماً الأشخاص الذين يقعون فى الحب مرة ، فذلك جزء من طبيعتهم " .

ضغطت على يديه مرة أخرى ، وشعر جاريت بالدفء يملؤه من جراء ذلك ، ولسبب ما ، لم يكن يريد أن تترك يديه .

ثم قال أخيراً : " أرجو أن تكونى على صواب " . " إننى كذلك بالفعل ، فأنا أفهم تلك الأشياء جيداً ، فأنا أم ، ألا تذكر ؟ "

فضحك بشدة محاولاً أن يخفف من حدة التوتر الذى كان يشعر به وقال : " بل أتذكر ، وأعتقد أنك أم رائعة " .

ثم استدارا ، وبدأ فى الرجوع مرة أخرى نحو الجسر الخشبي الممتد ، وأخذوا يتحدثان بهدوء عن السنوات الثلاث الأخيرة . وكانت لا تزال أيديهم متشابكة حتى وصلا إلى شاحنته . واتجهوا مرة أخرى إلى المركز ، وكان جاريت أكثر ارتباكاً وحييرة من ذى قبل ، فقد كانت أحداث اليومين السابقين غير متوقعة على الإطلاق . فلم تعد تريسا غريبة عنه أو مجرد صديقة ، لم يعد ثمة شك فى أنه كان منجذباً إليها ، ولكنها سترحل فى غضون أيام قلائل . وكان يعلم أن ذلك ربما يكون أفضل .

سألته تريسا : " فإم تفكر ؟ " ، وكان " جاريت " يسير بسرعة كبيرة ، وهما يشقان طريقهما عبر الكوبرى الذى يؤدى إلى ويلمينجتون ومركز الغوص ، وأخذ يحدث نفسه قائلاً : " هيا ، قل لها ما يدور بخلدك " .

فقال أخيراً وهو مندهش من نفسه : " ما رأيك أن نتناول العشاء سوياً ؟ إذا لم يكن لديك أى ارتباطات بالمساء بالطبع " .

فابتسمت قائلة : " كنت أتمنى أن تقول ذلك " . وأثناء انحرافه يساراً إلى الطريق الذى يؤدى إلى المركز ، كان لا يزال يشعر بالدهشة من دعوته إياها .

ثم قال : " هل يمكنك أن تأتى إلى منزلى فى الثامنة ؟ فلدى بعض الأشياء التى على إنجازها ، ولن أنتهى منها إلا متأخراً " .

قالت : " لا بأس ، أين تقطن ؟ " قال : " عند شاطئ كارولينا : سوف أخبرك كيف تصلين حينما نصل إلى المركز " .

وصلا إلى المركز وتبعته تريسا إلى مكتبه ، وأعطاه ورقة بالاتجاهات التى تقود إلى منزله . وحاول جاهداً ألا يظهر على وجهه الارتباك الذى كان يشعر به .

وقال : " لن تجدى أى عناء فى الوصول - عليك فقط أن تبحثى عن الشاحنة أمام المنزل ، وإذا صادفتك أى مشكلة فى الوصول إلى هناك ، فاتصلى بى فى الرقم المدون أسفل الورقة " .
وبعد انصرافها ظل جاريت يفكر فى تلك الليلة . وبينما كان يجلس فى مكتبه ، كان هناك سؤالان يترددان فى عقله ، أولهما :
ما سر انجذابه الشديد نحو تريسا ؟ وثانيهما : لم يراوده ذلك الشعور بأنه يخون كاثرين ؟

الفصل الثامن

قضت تريسا باقى فترة الظهيرة فى التجول ، بينما كان جاريت منهمكاً فى عمله بالمركز ، ولأنها كانت لا تعرف ويلمينجتون حق المعرفة ، فأخذت تسأل عن الاتجاهات التى تؤدى إلى المقاطعة التاريخية ، ثم أمضت بضع ساعات وهى تتجول بين المتاجر العديدة ، والتى كان معظمها مخصصاً للسائحين ولإرضاء أذواقهم . ووجدت بعض الأشياء التى يهواها كيفن ، على الرغم من أنها لم تجد شيئاً يناسب ذوقها . وبعد أن ابتاعت له زوجاً من السراويل القصيرة التى يمكن أن يرتديها بمجرد عودته من كاليفورنيا ، عادت مرة أخرى إلى الفندق لتغفو قليلاً ، وغطت فى النوم سريعاً ، فقد ظهرت عليها آثار المجهود الذى بذلته فى اليومين السابقين .

أما جاريت ، فقد واجه بعض المشاكل البسيطة فى عمله ، حيث وصلت شحنة جديدة من المعدات فور عودته إلى المركز . وبعد أن قام بحزم الأدوات التى لا يحتاجها ، تحدث إلى الشركة ، وذلك لإجراء الترتيبات الخاصة بإعادة بقية المعدات ، وفى فترة ما بعد الظهيرة ، قام ثلاثة أفراد ممن لديهم دروس فى الغوص هذا

الأسبوع بإلغاء هذه الدروس ، وذلك لتواجدهم خارج المدينة . فألقى نظرة سريعة على قائمة الانتظار ، فوجدها غير مثمرة بالمرّة . وعندما شارفت الساعة على السادسة والنصف ، كان التعب قد حل عليه ، وتنهد في ارتياح وهو يغلق المركز . وبعد ذلك توجه إلى متجر البقالة ، لشراء بعض الأشياء اللازمة للعشاء . ثم بعد ذلك أخذ دشاً بارداً ، وارتدى سروالاً من الجينز ، وقميصاً خفيفاً من القطن ، ثم اتجه نحو الثلاجة ليحضر زجاجة من المياه الغازية ، وبعد أن قام بفتحها ، اتجه نحو الحديقة الخلفية وجلس على أحد المقاعد الحديدية ، وعندما نظر إلى ساعته ، أدرك أن تريسا على وشك الوصول .

ظل جاريت جالساً في الحديقة الخلفية ، ثم سمع أخيراً صوت محرك سيارة أسفل البناية ، فاتجه نحو جانب المنزل ، فشاهد تريسا وهي تقوم بإيقاف سيارتها خلف شاحنته مباشرة . نزلت من سيارتها ، وكانت ترتدي سروالاً من الجينز ، ونفيس القميص الذي كان قد ارتدته من قبل ، والذي يجعل قوامها رائعاً . وكان يبدو عليها الراحة والنشاط وهي تتجه نحوه ، وعندما ابتسمت له بعودة ، أدرك أن انجذابه إليها يتزايد بشدة منذ تناولهما الغداء سوياً ، وهو شعور جعله يشعر ببعض القلق وعدم الراحة لسبب لا يريد الاعتراف به لنفسه .

اتجه نحوها وهو يحاول جاهداً ألا يبدو متكلفاً ، وقابلته تريسا في منتصف الطريق ، وكانت تحمل في يدها زجاجة كبيرة من العصير ، وحينما اقتربت منه استطاع أن يشم رائحة عطرها الأخاذ .

ثم ناولته الزجاجة وهي تقول : " لقد أحضرت بعضاً من العصير ، فسوف يكون لذيذاً بجانب العشاء " . ثم توقفت عن الحديث للحظة وقالت : " كيف كان يومك ؟ " " لقد كان يوماً شاقاً ، فقد استمر العملاء في التردد على المركز حتى أغلقناه . كما كان لدى كم كبير من المراسلات . في الواقع ، لقد وصلت إلى المنزل منذ فترة وجيزة " ، واتجه نحو مدخل المنزل ، وكانت تريسا تسير بجانبه مباشرة ثم قال : " وأنت ؟ كيف أمضيت بقية اليوم ؟ " قالت وهي تداعبه : " لقد ذهبت إلى الفندق لأغفو قليلاً " فانفجر في الضحك .

" لقد نسيت أن أسألك من قبل ، هل تحبين تناول شيء بعينه على العشاء ؟ " " ما الذي انتويت أنت إعداده ؟ " " لقد كنت أفكر في بعض شرائح اللحم البقري المشوية ولكنني تساءلت إذا ما كنت تأكلين مثل تلك الأصناف " . " هل تمزح ؟ أنسيت أنني نشأت في نبراسكا ، إنني أحب شرائح اللحم البقري المطهية جيداً " . " إذن فهناك مفاجأة سارة بانتظارك " . " وما هي ؟ " " إنني أفضل من يطهو شرائح اللحم في العالم " . " حقاً ؟ "

" سأثبت لك حالاً " فضحكت ضحكة صافية . وعندما اقتربا من الباب ، أخذت تريسا تنظر إلى المنزل لأول مرة . فقد كان منزلاً صغيراً نسبياً - ، وكان يتكون من طابق واحد على شكل مستطيل - وكان الطلاء الموجود على جوانبه الخشبية

” كلا ، أبداً ، فعلى أن أعيد الشواية إلى الخارج ، فهي تحتاج
لكثير من التنظيف “ .

ثم غادر جاريت من خلال الباب الزجاجي .
أخذت تريسا تنظر إلى الصور للحظات ، ثم أخذت تتجول في
المنزل ، وقد لاحظت أن المنزل مثله مثل كل المنازل الواقعة على
الشاطئ ، فلم يكن به مساحة تكفى أكثر من فرد أو فردين حيث لم
يكن هناك سوى غرفة نوم واحدة ، يقود إليها باب غرفة المعيشة
مباشرة . وكانت تشبه الغرفة الرئيسية ، حيث يوجد بها أيضاً
بعض النوافذ الممتدة من الأرض حتى السقف والتي تطل أيضاً على
الشاطئ . أما الجزء الأمامي للمنزل - وهو الجانب الأقرب إلى
الشارع - فكان يحتوى على المطبخ ، وجزء صغير لتناول الطعام
(فلم يكن يشبه الحجرة تماماً) ودورة مياه ، وعلى الرغم من أن
كل شيء بدا منمقاً إلا أنه بدا وكأنه لم يتم تغيير أو تجديد أى شيء
بالمنزل منذ سنوات .

عندما عادت مرة أخرى إلى الغرفة الرئيسية ، توقفت عند غرفة
نومه ، وأخذت تنظر بداخلها . ورأت الصور الفوتوغرافية لقاع
البحر مرة أخرى تزين الجدران ، وكانت هناك أيضاً خريطة كبيرة
لساحل شمال كارولينا معلقة مباشرة فوق فراشه . وكانت تحدد
مواقع تحطم خمسمائة سفينة تقريباً . وعندما نظرت نحو الحامل
الموجود بجانب الفراش رأت صورة امرأة . وعندما تأكدت أن
جاريت لا يزال منهمكاً بالخارج فى تنظيف الشواية ، دخلت
الغرفة لتلقى نظرة عن قرب .

من المؤكد أن هذه الصورة قد التقطت لـ ” كاثرين “ وهى فى
منتصف العشرينيات ، وقد بدا أن جاريت هو الذى قام بالتقاطها
مثل الصور الأخرى ، وتساءلت إذا كان قد قام بوضعها فى إطار

مقشراً بشكل كبير فى أكثر من مكان ، وعلى عكس المنازل الموجودة
على شاطئ رايتسفيل فقد كان المنزل يقع مباشرة فوق الرمال ،
وعندما سألتها لماذا لم يتم رفعه على قوائم خشبية كبقية المنازل ،
أخذ يشرح لها أن المنزل قد تم بناؤه قبل بناء مجموعة المنازل
الأخرى التى تم رفعها لمقاومة الإعصار ، ثم قال لها : ” يجب أن
ترفع المنازل حتى تمر أمواج المد العارمة أسفل أساس المنازل ، ومن
المحتمل أن يلحق الإعصار القادم بهذا المنزل القديم إلى البحر ، لكن
حتى الآن كان الحظ بجانبى ولم يحدث هذا ! “
” ألا تشعر بالقلق لذلك ؟ “

” كلا ، ولم يكن هناك الكثيرون الذين يرغبون فى شراء هذا
المنزل ، وهذا هو السبب الذى جعلنى أستطيع شراءه لقلّة ثمنه ،
وأنا أعتقد أن المالك السابق قد سئم من الضغوط التى يتعرض لها فى
كل مرة تهب فيها أى عاصفة شديدة على الأطلنطى .
بلغا درجات السلم القديمة ، ودلفا إلى داخل المنزل ، وكان أول
شيء لاحظته تريسا لدى دخولها هو المنظر الخارجى من خلال
الغرفة الرئيسية ، فلقد كانت النوافذ تمتد من الأرض حتى سقف
الغرفة وتجرى بطول الجانب الخلفى للمنزل كله ، وكانت تطل
على ممر خشبى وشاطئ كارولينا .

قالت فى دهشة : ” إن المنظر هنا آية فى الروعة “ .
” نعم ، بالفعل . على الرغم من أننى أسكن هنا منذ عدة
سنوات ، ولكننى لا أزال أراه آية فى الجمال والروعة “ .
كانت هناك مدفأة فى أحد جوانب المنزل تحيط بها العشرات
من الصور لقاع البحر ، فاتجهت ناحيتها وسألته : ” هل تمانع إذا
ما أخذت جولة فى المنزل ؟ “

ثم سألته : " هل قمت بالتقاط كل الصور المعلقة على الجدران ؟ "

فاستخدم ظهر يده لإزاحة شعره من فوق جبهته وقال : " نعم ، كنت معتاداً لفترة أن أصطحب معي الكاميرا في أوقات الغوص . إنني أعلق معظم هذه الصور على جدران المركز ، ولكنني وجدت أن المركز قد اكتظ بالكثير منها ، ففكرت في إحضار بعضها إلى هنا " .

" إنها تبدو لمصور محترف " .
" أشكرك ، ولكنني أعتقد أن جودتها لها علاقة بالكم الكبير الذي التقطته ؟ فإنك لم ترى الصور التي احترقت " .

ورفع الشواية وهو يتحدث ، على الرغم من أنه كان هناك بعض الفحم المحترق العالق بها ، إلا أنها بدت جاهزة للشواء . ثم وضعها على أحد جوانبها ، ومد يده إلى حقيبة من الفحم ، ووضع بعضاً منه في الشواية ، التي بدت كأنها صنعت منذ ثلاثين عاماً . واستخدم يديه ليتأكد من أنه قد قام بنشر الفحم في جميع الاتجاهات ، ثم قام بإضافة قليل من السائل المساعد على الاشتعال على الفحم .

قالت بنفس اللهجة التي استخدمتها من قبل لإغاضته : " أتعلم أنهم يستخدمون الآن الشوايات التي تعمل بالغاز ؟ "
" أعلم بذلك ، ولكنني أفضل الطريقة التي نشأنا عليها ، وإلى جانب ذلك ، فإن مذاق اللحم بهذه الطريقة أشهى . كما أن الطهي بمثل هذه النوعية من الشوايات الحديثة يشبه الطهي على الموقد المنزلي ، فما الفائدة ؟ "
فابتسمت قائلة : " ولقد وعدتني بأنني سأتناول أشهى لحم تذوقته على الإطلاق " .

قبل الحادث أم بعده . وعندما رفعتها إليها لاحظت أن كاثارين كانت جذابة وكانت أقل منها حجماً وكان شعرها الأشقر يصل إلى كتفها . وعلى الرغم من أن الصورة كانت باهتة بعض الشيء ، فلقد كان يبدو أنه قد تم تكبيرها ، إلا أنها كانت تستطيع أن تلاحظ عينيها جيداً ، فلقد كان لونهما أخضر داكناً ، يشبه عيني القطعة . وكان يطل منهما نظرة غريبة . وبدت العينان وكأنهما تنظران إليها ، فوضعت الصورة برفق ، وتأكدت من وضعها في نفس الزاوية ، واستدارت مرة أخرى . واستمر شعورها بأن كاثارين تراقب كل خطوة من خطواتها .

حاولت تجاهل ذلك الإحساس ، ونظرت إلى المرآة المثبتة في خزانة الملابس ، ولدهشتها ، لم تجد سوى صورة واحدة إضافية فقط لـ " كاثارين " . فقد كانت الصورة لـ " كاثارين " وجاريت ، وهما يبتسمان ابتسامة عريضة ، وهما يقفان على ظهر هاينستانس . وقد توقعت أن تكون هذه الصورة قد تم التقاطها قبل وفاة كاثارين بشهور قلائل ؛ وذلك لأن السفينة كانت تبدو حديثة الإصلاح والترميم .

كانت تدرك أنه يمكن أن يدخل إلى المنزل في أية لحظة ، فغادرت غرفة نومه على الفور . وكان يعتربها الشعور بالذنب ؛ لأنها كانت تفتش في المكان دون علمه . واتجهت نحو الأبواب الزجاجية المنزلة التي تصل بين الغرفة الرئيسية ، وبين المر الخشبي الموجود خلف المنزل ، فقامت بفتح هذه الأبواب . وكان جاريت منهمكاً في تنظيف الشواية وابتسم لها حينما رآها تخطو خارج المنزل . وأخذت تتجول على حافة المر الخشبي حيث كان يعمل هو ، ثم اتكأت على الحاجز الخشبي .

الثقاب وأشعل الفحم . وتراجع إلى الورا حينما ارتفعت السنة
النيران ، وجعلها النسيم الخفيف تتراقص على شكل دوائر .
ثم قال : " لقد اشتعل الفحم ، سأبدأ فى إعداد العشاء " .
" هل بمقدورى مساعدتك ؟ "

" ليس هناك الكثير ، ولكن إذا كنت محظوظة ، ربما أطلعك
على وصفتى السرية " .

فأمالت رأسها ونظرت إليه بمكر ثم قالت : " إنك تتباهى بشدة
بمقدرتك على شواء اللحم " .

" أعلم ذلك ، ولكننى على حق " .

ثم غمز بعينه لها ، فضحكت وهى تتبعه إلى الداخل حيث
المطبخ ، ثم فتح جاريت إحدى الخزانات وجذب حبتين من حبات
البطاطس ، ووقف أمام حوض المياه ، وغسل يديه أولاً ، ثم قام
بغسل البطاطس . بعد ذلك قام بإشعال الموقد ، ولف البطاطس .
بعد ذلك ببعض أوراق السوليفان ، ووضعها فوق الحامل .

قالت له : " كيف يمكننى مساعدتك ؟ "

" كما أخبرتك من قبل ، ليس هناك الكثير من الأعمال ، فلقد
أعددت كل شىء ، وقمت بشراء إحدى علب السلطة ، ولا يوجد
أى أنواع أخرى بالقائمة الليلة " .

وقفت تريسا إلى جانب جاريت وهو يقوم بوضع البطاطس فى
الفرن ، ثم قام بإخراج السلطة من الثلاجة ، وأخذ ينظر إليها من
جانب عينيه وهو يقوم بوضع السلطة فى أحد الأوانى . ما الشىء
الذى بها وجعله يرغب فجأة فى أن يبقى بجوارها قدر الإمكان ؟
أخذ هذا السؤال يدور فى رأسه ، وهو يقوم بفتح الثلاجة ، ويخرج
شرائح اللحم التى كان قد أوصى المتجر بتقطيعها بجوار الثلاجة ،

قال : " وستتذوقينه بالفعل ، ثقى فيما أقول " .
انتهى من وضع السائل الذى يساعد على الاشتعال ، ثم وضع
الزجاجة بجانب حقيبة الفحم ، وقال : " سأترك السائل فوق
الفحم لعدة دقائق ، هل ترغبين فى تناول أى مشروب ؟ "

فسألته " تريسا " : " ماذا لديك ؟ "

فتنحى قائلاً : " مياه غازية ، مشروبات ساخنة ، والعصير
الذى قمت بإحضاره " .

فقالت : " لا بأس من زجاجة مياه غازية " .

فقام جاريت بالتقاط الفحم والسائل ، وقام بوضعهما فى خزانة
قديمة بجوار المنزل ، وبعد أن أزال الرمال من حدائه ، دلف إلى
الداخل ، وترك الباب الزجاجى مفتوحاً .

وأثناء وجوده بالمنزل ، أخذت تريسا تجول ببصرها عبر
الشاطئ . وقد شارفت الشمس على الغيب وقد غادر معظم الناس
الشاطئ ، أما القلة الباقية منهم ، فكانوا يركضون أو يسيرون .
وعلى الرغم من أن الشاطئ لم يكن مزدحماً ، إلا أنه قد مر من أمام
المنزل أكثر من عشرة أشخاص فى المدة البسيطة التى تركها فيها
جاريت .

سألته تريسا عندما عاد إليها : " ألا تسأم من وجود كل هؤلاء
الأشخاص حول المنزل ؟ "

فناولها زجاجة المياه الغازية . وقال : " لا ، فأنا لست متواجداً
معظم الوقت على أية حال . وعندما أعود إلى المنزل ، يكون الشاطئ
خالياً ، أما فى الشتاء ، فلا يوجد أى فرد فى الخارج على
الإطلاق " .

وتخيلته لدقيقة وهو يجلس على المر الخشبي ، يتأمل المياه
بمفرده كعادته دائماً . مد جاريت يده فى جيبه ، وأخرج علبة من

ثم بدأ فى تجميع كل الأشياء التى سوف يحتاجها ، وبعد أن قام بجمع هذه الأشياء وضعها بجوار تريسا .

فابتسمت إليه بتحد ، وقالت : " إذن ما هو الشيء الذى يميز هذه الشرائح ؟ "

فتنحج ، وصب بعضاً من عصير الليمون فى أحد الأوانى المسطحة ، وقال : " هناك بعض الأشياء ، إن هذه الشرائح سميكة ، فالمتجر لا يقوم عادة بتقطيع شرائح اللحم بهذا السمك ، لذا عليك أن توصيه بذلك من قبل . ثم تقومى بتتبيل الشرائح بالملح والفلفل ، والثوم المفروم ، ثم تقومى بنقعها فى عصير الليمون ، حتى يتحول اللحم إلى اللون الأبيض . "

وكان يقوم بإعداد الشرائح وهو يحدثها ، ولأول مرة منذ أن التقت به شعرت أنه يبدو فى عمره الحقيقى ، وبناء على ما أخبرها به فقد كان يصغرها بأربع سنوات على الأقل .

" إذن فهذا هو سر الوصفة ؟ "

فقال وقد أدرك فجأة مدى جمالها : " إنها البداية فقط ، فعليك بعد ذلك إضافة بعض قطرات من الخل ، قبل أن تضعيها على الشواية مباشرة . ثم تعتمد الخطوات التالية على كيفية طهوها ، وليس على ما تضيفينه من نكهات . "

" تبدو وكأنك بحق أحد الطهاة . "

" ليس الأمر كذلك ، إننى فقط بارع فى إعداد بعض الأكلات ، ولكننى لا أقوم بإعداد الكثير منها هذه الأيام . فعندما أعود من عملى إلى المنزل ، أكون بحاجة إلى وجبة لا تتطلب مجهوداً كبيراً . "

" وأنا أيضاً كذلك ، ولولا كيفن ، ما قمت بطهو كل هذا الكم من الطعام . "

وعندما انتهى من إعداد اللحم ، اتجه نحو أحد الأدراج ، وأخرج منه سكيناً ، ثم عاد مرة أخرى بجانبها ، ثم مد يده ، وأخذ ثمرتين من الطماطم من فوق الطاولة ، وشرع فى تقطيعهما .

ثم قال : " يبدو وكأنك على علاقة طيبة مع كيفن . " " إننى كذلك بالفعل ، وأتمنى أن تستمر هكذا ، فهو قد أصبح مراهقاً الآن ، وأخشى ألا يرغب فى قضاء وقت أطول معى حينما يكبر فى السن . "

" ولكن يبدو من الطريقة التى تحدثت بها عنه ، أنكما ستظلان قريبين دائماً . "

" أتمنى ذلك ، فهو الآن كل شيء بالنسبة لى ، ولا أدرى ماذا يمكننى أن أفعل إذا ما أخرجنى من حياته . فلدى بعض الأصدقاء الذين لديهم أبناء أكبر منه بقليل ، ويخبروننى بأن ذلك شيء لا مناص منه . "

" إننى على ثقة من أنه سوف يعتريه بعض التغيير ، فهذا هو الحال مع من فى مثل عمره . ولكن هذا لا يعنى أنه سيبتعد عنك ، ولن يبوح لك بما فى داخله . "

فنظرت إليه قائلة : " هل تتحدث بناء عن تجربة ، أم أنك تقول فقط ما أرغب فى سماعه ؟ "

هز كتفيه ، وقد لاحظ عطرها الأخاذ مرة أخرى ، وقال : " إننى أتذكر فقط ما مررت به مع أبى ، فقد كنا دائماً حميمين ، ولم تتغير علاقتنا عندما دخلت المدرسة الثانوية . فصحيح أننى بدأت أقوم بأشياء مختلفة وألتقى بأصدقائى لفترات طويلة ، ولكننا كنا نتحدث طوال الوقت . "

" أرجو أن يحدث ذلك معى . "

وساد الهدوء أثناء إعداد الطعام ، وشعر جاريت أن وقوفها بجواره وهو يقوم بتقطيع الطماطم ، أدى إلى تخفيف حدة التوتر الذى كان يشعر به ، فتريسا هى أول امرأة يدعوها إلى هذا المنزل ، وأدرك جاريت أن هناك شيئاً مريحاً فى وجودها معه .
وعندما انتهى جاريت من تقطيع الطماطم ، وضعها فى إناء للسلطة ، وقام بمسح يديه فى منشفة ورقية ، ثم انحنى ليلقى بزجاجة المياه الغازية الثانية .

ثم قال لها : " هل ترغبين فى تناول زجاجة أخرى ؟ "

ارتشفت آخر قطرات فى زجاجتها ، واندهشت لأنها انتهت من تناول الزجاجة سريعاً ، وأومات برأسها موافقة ، وهى تضع الزجاجة الفارغة على الطاولة . فقام جاريت بنزع غطاء الزجاجة وناولها إياها ، وفتح زجاجة أخرى ليتناولها هو . وكانت تريسا تقف باسترخاء أمام الطاولة ، وعندما تناولت الزجاجة ، شعر بأن هناك شيئاً مألوفاً فى الطريقة التى كانت تقف بها ، ربما فى الابتسامة المرتسمة على شفتيها ، ربما نظرتها إليه وهو يرفع الزجاجة ليقربها إلى فمه . وقد ذكرته مرة ثانية ، بهذا اليوم من أيام الصيف ، وقت الظهيرة عندما كانت كاثرين على قيد الحياة . فقد عاد مبكراً إلى المنزل ليفاجئها بتناول الغداء معها ، وبالعودة إلى ذلك اليوم ، فقد كان يبدو مليئاً بالإشارات - ولكن كيف كان يمكنه أن يستشف كل ذلك ، وكانا يقفان معاً فى المطبخ - تماماً مثلما يقف هو وتريسا الآن .

قال جاريت وقد كانت كاثرين تقف أمام الثلاجة : " لقد ظننت أنك قد تناولت طعام الغداء " .

نظرت كاثرين إليه ، وقالت : " إننى لا أشعر بالجوع ، ولكن أشعر بالعطش ، هل ترغب فى بعض من الشاي المثلج ؟ " " نعم ، إن الشاي مناسب تماماً ، ألم يصل البريد بعد ؟ " أومات كاثرين برأسها موافقة ، وقالت وهى تمد يدها لتلتقط علبة الشاي من فوق الحامل العلوى : " نعم ، إنه فوق المائدة " . ثم فتحت الخزانة ، ومدت يدها لتأخذ كوبين ، وبعد أن وضعت الكوب الأول على المائدة ، أمسكت بالثانى ولكنه انزلق من يدها .

ألقي جاريت بالبريد جانباً وقال : " هل أنت بخير ؟ "

مررت كاثرين يدها على شعرها ، وقد شعرت بالحرج . ثم انحنيت لتلتقط بقايا الزجاج المتناثر ، وقالت : " لقد شعرت ببعض الدوار للحظات ، ولكننى سأكون بخير " . اتجه جاريت نحوها ، وبدأ يساعدها فى إزالة بقايا الزجاج وقال : " هل عاودك الشعور بالتعب مرة أخرى ؟ " " كلا ، ولكن ربما كان سبب ذلك هو أننى قضيت وقتاً طويلاً بالخارج هذا الصباح " .

وظل صامتاً للحظة أثناء التقاطه للزجاج .

ثم قال : " هل أنت واثقة من أنه يجب على أن أعود إلى العمل ؟ لقد كان هذا الأسبوع شاقاً بالنسبة لك " . قالت : " سأكون بخير . وبجانب ذلك ، إننى أعرف أنه لديك الكثير من الأعمال " .

وبالرغم من أنها أصبحت على ما يرام عندما شرع فى الذهاب إلى العمل مرة أخرى ، إلا أنه شعر أنه ما كان ينبغى أن يصغى إليها ، ويتركها بمفردها .

ازدرد لعابه ، وشعر فجأة بالسكون الذى خيم على المطبخ ، فقال وقد شعر أنه بحاجة إلى شيء ، أى شيء ليفعله : " سأذهب لأرى الفحم ، وأتمنى أن يكون جاهزاً "

" هل بإمكانى أن أعد المائدة بينما ترين أنت الفحم ؟ "

" بالطبع ، إن كل الأشياء التى ستحتاجينها موجودة هنا "

وبعد أن قام بتعريفها مكان الأشياء التى ستحتاجها ، اتجه نحو الخارج ، وهو يجبر نفسه على الاسترخاء ، وأن ينفذ عن ذهنه شبح الذكريات . وبمجرد أن اقترب من الشواية ، أخذ يتفحص الفحم ، وهو يحاول أن يشغل ذهنه ، ويركز انتباهه على المهمة التى بين يديه . أو شك الفحم أن يتحول إلى اللون الأبيض ، فهو يحتاج فقط إلى دقائق ، ثم اتجه مرة أخرى نحو صندوق البحر ، وأخرج منه هذه المرة مروحة ورقية ، ثم وضعها على حافة الجسر الخشبي ، وأخذ نفساً عميقاً ، وكان الهواء منعشاً ، بل ساحراً . وقد أدرك فجأة وللمرة الأولى أنه على الرغم من صورة كاثرين التى كانت فى مخيلته منذ دقائق ، إلا أنه كان لا يزال يشعر بالسرور والارتياح لوجود تريسا معه . بل إنه فى الواقع كان يشعر بالسعادة ، وهو شعور لم ينتبه منذ فترة طويلة .

ولم يكن هذا الشعور فقط بسبب توافقهما ، بل كان بسبب الأشياء البسيطة التى فعلتها تريسا ، طريقة ابتسامتها ، فى نظرتها إليه ، وفى الأسلوب الذى احتضنت به يديه فى الظهيرة . فلقد بدأ يشعر أنه يعرفها منذ مدة أطول ، وأخذ يتساءل إذا كان شعوره هذا نابعاً من أنها كانت تشبه كاثرين فى نواح عديدة ، أم لأن والده كان محقاً ؛ لأنه أخبره بأنه بحاجة لأن يمضى بعض الوقت مع شخص ما .

وبينما كان هو فى الخارج ، أخذت تريسا تقوم بتنسيق المائدة ، فوضعت كوبين من الزجاج بجانب كل طبق من الأطباق ، وأخذت تبحث فى الدرج عن بعض الأواني الفضية . وكان هناك شمعدان بجوار الأواني ، فأخذت تتساءل هل سيكون هناك مبالغة إذا ما قامت بإشعال الشموع ، ولكنها قررت أخيراً أن تضعها على المائدة ، وسوف تترك له حرية الاختيار فى إشعالها ، ودخلت جاريت بينما كانت هى على وشك الانتهاء .

قال لها : " لا يزال أمامنا بضع دقائق ، هل تودين الانتظار بالخارج ؟ "

أمسكت تريسا بزجاجة المياه الغازية ، وتبعته إلى الخارج ، وكان النسيم يهب كالليلة الماضية ، ولكنه لم يكن شديداً ، فجلست على أحد المقاعد ، وجلست جاريت بجانبها مباشرة ، وقد شبك قدميه ، وقد أظهر قميصه الخفيف لون بشرته السمراء . وأخذت تريسا تتفرسه وهو يمد بصره نحو المياه ، وأغمضت عينيها للحظة ، وكان يعتربها شعور بالنشاط والحيوية بصورة لم تشعر بها منذ فترة طويلة .

ثم قال ليكسر حاجز الصمت : " أراهن أنك لا تتمتعين بمشهد كهذا فى بوسطن "

" إنك على حق ، فممكنى لا يطل على مثل هذا المنظر الرائع ، فإننى أقطن فى شقة ، ويقول والداى إننى فقدت عقلى لكونى أسكن فى وسط المدينة ، فهما يعتقدان أنه ينبغى على أن أعيش فى الضواحي "

" ولماذا لا تفعلين ذلك ؟ "

" لقد كنت أسكن هناك بالفعل ولكن قبل الانفصال ، أما الآن فقد أصبحت المسألة أسهل بكثير ، وبإمكانى الوصول إلى عملى فى

عدة دقائق ، ومدرسة كيفن تقع بجوار المنزل ، وليس على أن أقطع الطريق العام إلا إذا كنت سأذهب خارج المدينة ، بالإضافة إلى ذلك ، فقد كنت أريد أن أقطن في مكان مختلف بعد الانفصال ، فلم أحتمل نظرات الجيران لي بعد أن علموا بانفصالي أنا وديفيد .
" ماذا تعنين ؟ "

هزت كتفيها ، وقد أصبح صوتها أكثر رقة : " لم أخبر أحداً منهم بأنني قد انفصلت عن ديفيد ، فأنا أعتقد أن ذلك ليس من شأنهم .
" بالطبع . "

توقفت عن الحديث للحظة وهي تسترجع الأحداث : " إنني أعلم ذلك ، ولكنهم كانوا يرون في ديفيد زوجاً رائعاً . فلقد كان وسيماً وناجحاً ، ولن يصدقوا أنه كان يخطئ . وعندما كنا متزوجين ، كان يتصرف وكأن كل شيء على ما يرام ، فلم أكن أعرف أنه كان على علاقة عاطفية إلا في النهاية .
استدارت ناحيته ، وقد ارتسمت على وجهها نظرة أسف ، وقالت : " وكما يقولون ، فالزوجة آخر من يعلم . "
" وكيف اكتشفت الأمر ؟ "

هزت رأسها وقالت : " أعلم أنني سأبدو وكأنني سأكرر ما يقوله الآخرون ، ولكنني علمت بالفعل خلال الغسلة . فعندما تسلمت ملابسه ، أعطاني العامل بعض الإيصالات التي كانت في جيبه ، وكان أحد هذه الإيصالات من فندق في وسط المدينة . ولقد علمت من التاريخ المدون أنه كان متواجداً في مساء هذا اليوم في هذا الفندق . وعندما واجهته بالأمر أنكره ، ولكنني اكتشفت أنه يكذب من أسلوب نظرت له ، ولقد تأكدت من وجود علاقة بينه وبين

إحدى السيدات ، وانتهت حياتنا معاً إلى هذا الحد ، ثم أقمت دعوى طلاق .

استمع إليها جاريت بهدوء ، حتى تنتهي من حديثها ، وأخذ يتساءل عن كيفية ارتباطها بشخص فعل بها كل ذلك ، وأردفت كما لو كانت تقرأ ما يدور في ذهنه .

" إن ديفيد كان من هذا النوع من الرجال الذين يقولون أي شيء ويجعلونك تصدقه ، بل إنني كنت أعتقد في كثير من الأحيان أنه هو نفسه كان يصدق ما كان يخبرني به . لقد التقينا في الجامعة ، وقد بهرتني بشخصيته ، لقد كان ساحراً ، متوقد الذهن ، جذاباً . ولقد تملكني الغرور والتميز ؛ لأنه اهتم بي ، ولقد كنت فتاة صغيرة قادمة من نبراسكا ، وكان هو يختلف عن أي شخص التقيت به من قبل . وعندما تزوجنا ، اعتقدت أن حياتنا معاً ستكون أشبه بالقصص الرومانسية ، ولكن كان هذا أبعد ما يكون عما كان في ذهنه ، فلقد اكتشفت فيما بعد أنه أقام علاقة بامرأة أخرى بعد خمسة شهور فقط من زواجنا . "

ثم توقفت للحظة ، ونظر جاريت نحو زجاجة المياه الغازية ، وقال : " لا أدري ماذا أقول . "

قالت بحزم : " ليس هناك ما يمكنك قوله ، لقد انتهى الأمر . وكما أخبرتك بالأمس ، إن الشيء الوحيد الذي أريده منه هو أن يكون أباً حنوناً لـ " كيفن " .
" إنك تهونين من الأمر . "

" لا أعني ذلك ، ولكن ديفيد قد جرحني بشدة . ولقد استغرق الأمر سنتين وحضور أكثر من جلسة عند طبيبة نفسية لأصل إلى ما أنا فيه الآن ، ولقد تعلمت الكثير من تلك الجلسات ، بل إنني تعلمت الكثير عن نفسي أيضاً . ففي إحدى الجلسات كنت أتحدث

عن ديفيد ووضاعته ، فأوضحت الطبيبة لى أنه إذا استمرت فى غضبى ، فهذا يعنى أنه لا يزال يسيطر على ، وأنا لست على استعداد لتقبل ذلك ، لذا بدأت أهون من الأمر .

ثم تناولت رشفة من زجاجة المياه الغازية ، وسألها جاريت :
" هل قالت لك الطبيبة النفسية شيئاً آخر تذكرينه ؟ "

فكرت لدقيقة ، ثم ابتسمت ابتسامة باهتة ، وقالت : " لقد قالت لى شيئاً آخر فى الواقع ، وهو أنه إذا حدث والتقيت بشخص يذكرنى بـ " ديفيد " ، على أن أدير له ظهرى ، وأهرب نحو التلال . "

" وهل أذكرك بـ " ديفيد " ؟ "

" إنك لا تشبهه فى شىء على الإطلاق . "

فقال وهو يحاول تصنع الجدية : " هذا جيد ، فليس هناك أى تلال فى هذا الجزء من المدينة ، وإلا فسيكون عليك الجرى لمسافة طويلة . "

فانفجرت فى الضحك ، ونظر جاريت نحو الشواية ، وسألها وقد أصبح الفحم جاهزاً للشواء : " هل أنت مستعدة لبدء شواء شرائح اللحم ؟ "

" هل ستطلعنى على سر وصفتك السرية ؟ "

قال وهما ينهضان من مقعدهما : " بكل سرور " ، ثم أحضر بعض الخل من المطبخ ، وقام بوضع بعض منه فوق شرائح اللحم ثم قام بانتشالها من عصير الليمون ، وأضاف الخل على الجانب الآخر ، ثم فتح الثلاجة ، وأخرج كيساً صغيراً من البلاستيك .

فسألته تريساً : " ما هذا ؟ "

" إنه الدهن الذى يكون عالقاً باللحم ، والذى يتم نزعها فى الغالب ، ولكننى جعلت الجزار يحتفظ ببعض منه عندما أحضرت شرائح اللحم . "

" وما فائدته ؟ "

" ستريين . "

وبعد أن اتجها نحو الشواية ومعها شرائح اللحم وماسك اللحم ، وضعهما على حافة الجسر الخشبي بجانب المروحة الورقية التي كان قد أخرجها من الصندوق من قبل ، وبدأ ينحى الرماد جانباً بعيداً من الفحم ، وأخذ يشرح لها ما يفعله ، وقال :

" إن جزءاً من طهى شرائح لحم لذيدة يكمن فى التأكد من أن الفحم شديد السخونة ، ولذلك عليك استخدام المروحة فى إزالة الرماد ، حتى لا يكون هناك ما يعوق الحرارة . "

ثم أعاد شبكة الشواية العلوية فوق الفحم ، وتركها لتسخن لدقيقة ، ثم استخدم الماسك بعد ذلك ، ليضع اللحم على الشواية . "

ثم سألها : " كيف تفضلين شرائح اللحم ؟ "

" متوسطة النضج . "

" إن شرائح بهذا الحجم ، يستغرق نضجها حوالى إحدى عشرة دقيقة لكل جانب من جوانبها . "

فرفعت حاجبيها فى دهشة ، وقالت : " إنك تتمتع بدقة شديدة فى الطهو . أليس كذلك ؟ "

" لقد وعدتك بتناول شرائح لحم شهية ، وأنا أنوى ذلك . "

وخلال الوقت القصير الذى استغرقه شى اللحم ، كان جاريت يرقب تريساً من جانب عينيه ، فقد كان هناك شىء فاتن فى قوامها ، وقد ظهر بوضوح وهى تقف أمام قرص الشمس الذى كانت

على وشك المغيب ، وقد مالت السماء إلى اللون البرتقالي ، وجعلها الضوء الخافت تبدو جميلة ، وأضفى لونا داكناً على عينيها ، وكان شعرها يتطاير في النسيم .

سألته : " فيم تفكر ؟ "

التفت على صوتها ، وقد أدرك فجأة أنه لم يتفوه بشيء منذ أن بدأ في الشيء .

فقال ، وقد التفت نحوها ، ولمح ابتسامتها : " كنت فقط أفكر في مدى حقارة زوجك السابق " .

فربتت على كتفيه برفق ، وقالت : " ولكن إذا كنت متزوجة ، فلم أكن لأقف معك الآن " .

فقال وهو لا يزال يشعر بلمسة يدها : " كان الأمر سيبدو مخجلاً " .

فوافقت قائلة : " معك حق " ، والتقت عيناها لدقيقة ، فاستدارت جاريت أخيراً ، ومد يده ، وأمسك بالدهن ، ثم تنحنت قائلاً :

" أعتقد أنه حان الوقت لإضافة ذلك " .

ثم أمسك بالدهن وقام بتقطيعه إلى شرائح صغيرة ، ووضعها فوق الفحم بحيث يقع أسفل الشرائح مباشرة ، فسألته : " ماذا تفعل ؟ "

" سوف يختلط الدهن بالعصير الناتج من اللحم ، وذلك سوف يجعل اللحم طرياً ، ولهذا السبب يجب استخدام الماسك بدلاً من الشوكة " .

ثم قام بنثر قطع أخرى من الدهن على الفحم ، مكرراً ما فعله ، وقالت تريسا وهي تجول ببصرها :

" إن المكان هنا هادئ ومريح ، لقد أدركت سبب شرائح لهذا المنزل " .

بعد أن انتهى مما كان يفعله ، تناول رشفة أخرى من المياه الغازية كي يربط بها حلقه . ثم قال : " هناك شيء في البحر يجذب الناس إلى هنا ، وأعتقد أن ذلك سبب قدوم الكثيرين إلى هنا للاسترخاء " .

التفتت ناحيته ، وقالت : " أخبرني يا جاريت ، ما الذي تفكر فيه حينما تكون هنا بمفردك ؟ "

" أشياء عديدة " .

" هل هناك أي شيء على وجه التحديد ؟ "

كان يريد أن يقول إنه يفكر في كاثرين ، ولكنه لم يستطع . تنهد قائلاً : " لا ، ليس هناك شيء بعينه . فقد أفكر بعض الأحيان في العمل ، أو في الأماكن الجديدة التي أكتشفها أثناء الغوص ، وفي بعض الأحيان أحلم بالإبحار بعيداً ، تاركاً كل شيء خلفي " .

فراقبته جيداً وهو يتفوه بآخر الكلمات ، وقالت : " هل تستطيع حقاً أن تفعل ذلك ؟ أن تبهر بعيداً ولا تعود ؟ "

" لست على ثقة من ذلك ، ولكنني أحب أن أفكر في ذلك ، فأنا عكسك تماماً ، فليس لي عائلة ما عدا والدي ، وأنا أعتقد أنه سيتفهم ذلك على أية حال . فأنا وهو متشابهان في جوانب كثيرة ، وأعتقد أنه لولا وجودي في حياته ، لكان سافر هو الآخر منذ فترة طويلة " .

" ولكن ذلك يعد هروباً " .

" أعلم ذلك " .

أخذت تضغط عليه قائلة : " ولكن لماذا تريد أن تفعل ذلك ؟ " ، وعندما لم يجبهها ، اقتربت منه ، وقالت له فى عذوبة :

" جاريت أعرف أن ذلك ليس من شأنى ، ولكنك لا تستطيع أن تهرب مما يمر بك فى حياتك الآن " ثم منحته ابتسامة واثقة ، وقالت : " وإلى جانب ذلك ، فلديك الكثير لتمنحه لمن تحب " . وظل جاريت صامتاً ، وأخذ يفكر فيما قالته ، وهو يتساءل عن سر اختيارها للكلمات التى تجعله دوماً فى حال أفضل .

وفى الدقائق التالية ساد الصمت بينهما . أخذ جاريت يقلب شرائح اللحم ، وكان السائل المنبعث منها يتساقط فوق الشواية . وكان نسيم المساء العليل يهب محدثاً صوتاً كالنغمات ، وكانت الأمواج تتلاطم على الشاطئ فى صخب وهدير مستمر .

انشغل ذهن جاريت بالتفكير فى اليومين الماضيين ، فأخذ يسترجع اللحظة التى رآها فيها لأول مرة ، والساعات التى قضياها سوياً على ظهر هابينستانس ، وتنزههما على الشاطئ فى بداية اليوم ، وكذلك عندما حدثها لأول مرة عن كاثارين . وقد زال معظم التوتر الذى كان يشعر به فى أول النهار . وبينما كانا يقفان معاً فى وقت الغسق ، شعر بأن هناك شيئاً يعتريهما هذا المساء ، وكان أكبر من أن يعترف به .

وعندما كانت شرائح اللحم على وشك النضج ، دلفت تريسا إلى الداخل لتكمل إعداد المائدة ، فأخرجت البطاطس من الموقد ، وقامت بإزاحة ورق السوليفان ، ووضعت فى الصحون ، ثم وضعت السلطة فى منتصف المائدة بجانب بعض التوابل المختلفة التى وجدتها فى باب الثلاجة . وأخيراً وضعت الملح ، الفلفل ، الزبد ، وزوجاً من المناديل . ولأن الظلام قد بدأ يحل فى الداخل ، فقامت

تريسا بإضاءة أنوار المطبخ ، ولكنها شعرت بأن الأضواء مبهرة أكثر من اللازم ، فقامت بإطفائها ، ودون وعى ، قامت بإشعال الشموع . ووقفت على مسافة من المائدة لترى إذا ما كان ذلك فيه شىء من المبالغة ، ولكنها رأت أنه لا ضير فى ذلك . وبينما كان جاريت يخطو إلى الداخل ، كانت تضع زجاجتين من المياه الغازية فوق المائدة .

بعد أن أغلق الباب الزجاجى ، أخذ يشاهد ما فعلته . لقد كان المطبخ مظلماً ، إلا من ألسنة اللهب التى كانت تنبعث من الشموع ، وقد بدت تريسا فاتنة على ضوءها ، وبدا شعرها الداكن أيضاً رائع الجمال ، مثيراً ، أما عيناها فكانتا تعكسان أضواء الشموع . وظل جاريت صامتاً لفترة ، وكل ما استطاع أن يفعله هو أن يحدق إليها ، وقد أدرك فى تلك اللحظة فقط ما كان يحاول إنكاره لفترة طويلة .

قالت له فى هدوء : " اعتقدت أن ذلك سيضفى لمسة لطيفة " . " إنك على حق " ، واستمرا ينظران إلى بعضهما البعض من خلال الغرفة ، وأخذ كل منهما يفكر فيما يمكن أن يحدث بينهما ، وحولت تريسا بصرها بعيداً ، وقالت وهى تحاول أن تبحث عن شىء تقوله : " إننى لا أجد مفتاح الزجاجات " . فقال بسرعة : " سأتيك به حالاً ، فأنا لا أستخدمه كثيراً ، لذا ، فربما يكون ملقى فى أحد الأدراج " .

وحمل صحن اللحم المشوى ، ووضعه فوق المائدة ، ثم اتجه نحو أحد الأدراج ، وبعد أن بحث خلاله ، عثر على مفتاح زجاجات المياه الغازية ، ووضعه على المائدة ، وقام مسرعاً بفتح زجاجة المياه الغازية وصب كمية مناسبة فى كل كوب من الكوبين . وبعد أن جلسا ، قام باستخدام الماسك لتوزيع شرائح اللحم على الأطباق .

قالت له قبل أن تتناول أول قطعة من اللحم : " إنها اللحظة الفاصلة ، وابتسم جاريت ، وهى تقوم بتذوق اللحم ، واندبهشت تريسا ، لأنها وجدت أنه كان على حق فيما قاله بشأن اللحم . فقالت فى حماس : " جاريت ، إنها لذيدة وشهية حقاً " . قال : " أشكرك " .

أخذت الشموع تتناقص ، وكان الظلام قد حل تماماً ، وعبر لها جاريت مرتين عن سعادته لقبولها دعوته على العشاء ، ولقد شعرت تريسا فى المرتين برعشة خفيفة تجتاحها ، فأخذت رشفة من كوب المياه الغازية ، محاولة تجاهل هذا الشعور . كان المد قد بدأ يزداد فى الخارج ، وقد ساعد على ذلك القمر الذى يبدو هلالاً ، والذى أطل من بعيد .

* * *

بعد أن انتهيا من تناول العشاء ، اقترح جاريت أن يسيرا مرة أخرى على الشاطئ ، حيث قال : " إن الشاطئ يكون رائعاً فى المساء " ، وعندما وافقته فى اقتراحه ، قام بحمل الأطباق والأواني الفضية من فوق المائدة ، ووضعها فى الحوض . غادرا المطبخ واتجها نحو الخارج ، وأغلق جاريت الباب خلفه ، كان الطقس معتدلاً ، وخطا الاثنان فوق الجسر الخشبي ، وشقا طريقهما عبر كثب صغير من الرمال ، ومنه نحو الشاطئ . وعندما بلغا حافة المياه ، قاما بتكرار ما فعلاه فى أول اليوم ، حيث خلعا حذاءيهما ، وتركاهما على الشاطئ ، حيث لم يكن هناك أحد بالجوار ، سارا على مهل بجوار بعضهما البعض ، ولدهشتها مد جاريت يده نحو يديها ، وأمسك بها وشعرت هى بدفء يديه . وأخذت تتساءل لدقيقة كيف يكون شعورها إذا ما

أخذها بين ذراعيه ، وشعرت بإحساس غريب بداخلها ، وعندما نظرت إليه ، تساءلت إذا كان يدرك ما كانت تفكر فيه . واستمرا فى سيرهما ، وقد لفهما الظلام ، وقال جاريت أخيراً ، وكان صوته يبدو كأنه يتذكر شيئاً : " لم أقض ليلة كهذه منذ فترة طويلة " . " وأنا كذلك " .

كانت الرمال باردة تحت أقدامهما ، ثم سألته تريسا : " جاريت ، هل تذكر أول مرة طلبت فيها أن أبحر معك ؟ " " نعم " " لماذا طلبت منى ذلك ؟ "

نظر إليها بفضول وقال : " ماذا تعنين ؟ " " أعنى أنه بدا وكأنك ندمت على هذا المطلب ؟ " " لا أستطيع أن أستخدم تعبير الندم ، ولكن لقد اعترتني الدهشة مما طلبته ، ولكننى لم أندم على ذلك " . فابتسمت قائلة : " هل أنت واثق من ذلك ؟ "

" نعم ، تمام الثقة . ولعلك تذكرين أننى لم أطلب من أحد أن يرافقنى منذ ما يزيد على ثلاث سنوات . وعندما ذكرت أنك لم تبهرى من قبل على الإطلاق ، شعرت بأننى سئمت من البقاء بمفردى " . " أنت تعنى أننى أتيت فى المكان المناسب ، وفى الوقت المناسب " .

هز رأسه قائلاً : " لم أعن أن يبدو الأمر كذلك ، ولكننى كنت أرغب فى أن ترافقينى . ولا أعتقد أننى كنت سأطلب ذلك من أى شخص آخر غيرك ، وإلى جانب ذلك ، لقد سارت الأمور بصورة

أفضل مما كنت أتخيل ، فاليومان الماضيان كانا من أروع الأيام التي أمضيتها منذ وقت طويل .

شعرت بالدفء يسرى في داخلها مما قاله . وأثناء سيره ، شعرت به يضغط بأصابعه برفق على يديها ، وأردف قائلاً :

" هل تخيلت أن تكون إجازتك بهذا الشكل ؟ "

فترددت للحظة ، وقد قررت أنه ليس الوقت المناسب لتبوح له بالحقيقة .

وقالت : " كلا " .

سارا معاً بهدوء ، وكان هناك بضعة أشخاص على الشاطئ . وعلى الرغم من أنهم كانوا على مسافة ليست ببعيدة ، إلا أن تريسا لم تستطع أن تلمح سوى أشباح بسبب الظلام .

" هل ستأتين إلى هنا مرة أخرى ؟ أعني هل تمضين عطلة أخرى هنا ؟ "

" لا أدري ، لماذا ؟ "

" لأنني أتمنى أن تفعل ذلك " .

واستطاعت أن تلمح أضواء من بعيد فوق الجسر الخشبي ، وشعرت به مرة أخرى يضغط بأصابعه ويتحسس يدها .

قالت له : " هل ستدعوني على العشاء مرة أخرى إذا ما أتيت ؟ "

" سأطهو لك أي شيء تطلبين ، طالما كانت شرائح لحم مشوية " .

فانفجرت في الضحك ، وقالت : " سأفكر في الأمر ، أعدك " .

" وما رأيك في بعض دروس الغوص أيضاً ؟ "

" أعتقد أن كيفن سيستمع بذلك أكثر مني " .

" إذن ، دعيه يأتي معك " .

فنظرت إليه قائلة : " ألن تمنع في ذلك ؟ "

" كلا ، على الإطلاق ، ستسعدني مقابلته " .

" أعدك أنك ستحبه كثيراً " .

" أعلم ذلك " .

سارا في صمت ، حتى كسرت تريسا حاجز الصمت قائلة : "

جاريت ، هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالاً ؟ "

" بالطبع " .

" أعرف أن ذلك سيبدو غريباً ، ولكن " .

ثم صمتت للحظة ، ونظرت إليها نظرة متسائلة ، وقال :

" ماذا ؟ "

" ما هو أسوأ شيء فعلته في حياتك ؟ "

فانفجرت في الضحك بصوت عال : " من أين لك بهذا "

السؤال ؟ "

" أردت فقط أن أعرف ، فإنني دائماً ما أطرح هذا السؤال على "

الآخرين " .

" أسوأ شيء ؟ "

" على الإطلاق " .

ففكر لدقيقة ، ثم قال : " أعتقد أن أسوأ شيء ارتكبته في "

حياتي ، عندما خرجت أنا ومجموعة من أصدقائي في ليلة من ليالي "

ديسمبر ، وكنا ثملين ونحن نقود سيارتنا في شارع مزدان بالأضواء "

من أجل العيد ، فتوقفنا بالسيارة ، ثم شرعنا في فك وسرقة كل "

مصباح من مصابيح الإضاءة " .

" هذا غير معقول ! "

" لقد قمنا بذلك بالفعل . وكنا خمسة ، وملأنا مؤخرة السيارة بالمصابيح المسروقة . وتركنا الحبل المعلق به المصابيح - وكان هذا أسوأ جزء ، وظللنا بالخارج ساعتين نضحك بشدة عما اقترفناه ، كان يشار إلى هذا الشارع في الصحف بأنه من أجمل الشوارع المزدانة في المدينة ، لا أستطيع تخيل ما فكر فيه هؤلاء الناس ، لابد أنهم كانوا شديدي الغضب " .

قالت : " هذا بشع " .

ضحك مرة أخرى ، وقال : " أعلم هذا ، عندما أفكر في الأمر أراه فظيماً . ولكنه حينئذ كان يبدو مرحاً وطيشاً " .

" لقد ظننت أنك شخص لطيف ! " .

قال : " إنني كذلك بالفعل " .

قالت : " بل لست كذلك " وسألته مرة أخرى بفضول :

" وماذا فعلت أيضاً أنت وأصدقاؤك ؟ "

" أترغبين حقاً في معرفة ذلك ؟ "

" نعم " .

أخذ يلقي على مسامعها مغامراته حينما كان في سن المراهقة . بدءاً من كسر زجاج السيارات ، وحتى التلصص على منازل الفتيات . ولقد ذكر لها أنه رأى أحد أصدقائه ذات مرة يقود سيارته بجانبه ، وكان هو بصحبة إحدى الفتيات ، وبعد أن أشار له صاحبه بأن يقوم بخفض زجاج سيارته ، ففعل ، وعندئذ قام صاحبه بإلقاء زجاجة بها سهم ناري ، فانفجرت تحت قدميه .

وظل طوال عشرين دقيقة ، يقص لها بعضاً من نواتجه ، وكان ذلك شيئاً مسلياً ، وعندما انتهى أخيراً ، سألتها ذات السؤال الذي بدءا به حديثهما .

فقالت وهي تتظاهر بالخجل : " لقد كنت دوماً فتاة طيبة " .

فضحك مرة أخرى ، وشعر بأنها خدعته ، ولكنه لم يكثرث - وكان يدرك أنها لا تقول الحقيقة .

قطعا الشاطئ سيراً ، وكانا يتبادلان نواتجهما عن فترة الطفولة . وحاولت تريبسا أن تتخيله ، وهو شاب صغير بينما كان يتحدث ، وأخذت تتساءل ، ماذا سيكون رأيها فيه إذا كانت قد التقت به أيام الجامعة ، هل كانت ستراه جذاباً كما تراه الآن ، أم أنها كانت ستقع أيضاً في حب ديفيد ؟ ولكنها أرادت أن تقنع نفسها أنها كانت ستدرك الفرق في شخصيتيهما ، ولكن هل ذلك صحيح ؟ فلقد بدا ديفيد وكأنه شخص فريد حينئذ .

توقفا لدقيقة ومدا بصرهما عبر المياه ، واقترب منها ، وكادت أكتافهما تتلامس .

سألها جاريت : " فيم تفكرين ؟ "

" كنت أحدث نفسي بأن الصمت رائع في صحبتك " .

فابتسم قائلاً : " كنت أفكر بأنني رويت لك أشياء لم أبح بها لأحد من قبل " .

" هل سبب ذلك أنني سأعود إلى بوسطن ولن أفسئها لأحد ؟ "

فضحك قائلاً : " لا ، ليس الأمر كذلك على الإطلاق " .

" ما السبب إذن ؟ "

فنظر إليها بفضول ، وقال : " ألا تعرفين ؟ "

قالت : " لا " .

وكانت تبسم وهي تقول له ذلك ، وكانت تشجعه على الاستمرار . وأخذ يتساءل كيف يشرح لها شيئاً هو نفسه لا يدري كنهه . وبعد مرور لحظات ، كان يستجمع فيها أفكاره قال بهدوء :

" أعتقد أنني أردت أن تعرفيني على حقيقتي ، لأنك إذا عرفتنى عن قرب ، وظللت ترغيبين فى قضاء وقت أطول معى ... "

لم تتفوه تريسا بشيء ، ولكنها كانت تدرك تماماً ما يحاول قوله ، وأشاح جاريت بوجهه بعيداً .

ثم قال : " إننى آسف لذلك ، لم أكن أرغب فى إزعاجك " .
قالت : " إنك لا تزعجنى على الإطلاق ، إننى سعيدة بما ذكرته ... "

وصمتت . وبعد دقيقة ، استأنفا السير مرة أخرى .

قال لها : " ولكنك لا تشعرين بما أشعر به " .

نظرت إليه وقالت : " جاريت ... أنا ... " وصمتت

فقال : " لا ، إنك لست بحاجة لأن تقولى شيئاً — "

لم تدعه يكمل حديثه ، وقالت : " لا ، بل على أن أفعل ، إنك تريد إجابة ، وأنا أريد أن أخبرك " وتوقفت ، وهى تفكر فى أفضل أسلوب لتوصيل ما تريده ، فأخذت نفساً عميقاً ، وقالت :
" عندما انفصلت عن ديفيد ، مررت بفترة عصيبة ، وفكرت فى الارتباط مرة أخرى . ولكن كل الرجال الذين التقيت بهم ... لا أعرف ، لقد بدا وكأن العالم والبشر قد تغيروا خلال فترة زواجى ، فالكل يريد أن يأخذ دون أن يعطى شيئاً فى المقابل ، لقد سئمت من الرجال عامة " .

" لا أعرف ماذا أقول لك " .

" جاريت ، إننى لا أقول ذلك ، لأنى أعتقد أنك مثل باقى الرجال ، ولكنى أرى أنك أبعد ما تكون عنهم ، وذلك يخيفنى قليلاً ، لأننى إذا أخبرتك بمدى اهتمامى وإعجابى بك ، فهذا يعنى

أننى أقول لنفسي ذات الشيء ، وإذا فعلت ذلك ، فأعتقد أنني قد أجرح مرة أخرى " .

فقال فى عذوبة : " إننى لن أجرحك أبداً " .

فتوقفت وواجهته ، وتحدثت بهدوء قائلة : " أعرف أنك تعنى ذلك ، ولكنك مازلت تعيش فى ذكرياتك طيلة السنوات الثلاث الماضية ، ولا أدري إذا ما كنت تريد أن تخوض تجربة جديدة أم لا ، وإذا لم تكن على استعداد لذلك ، فإننى أنا التى سأجرح " .
مسته كلماتها بشدة ، واستغرق الأمر منه دقيقة ليجيب عليها ، قائلاً :

" تريسا ... منذ أن التقينا ، لا أعرف ... "

وتوقف عن الكلام ، فقد أدرك أنه لا يستطيع أن يعبر بالكلمات عما يضطرم بداخله . وبدلاً من أن يكمل حديثه ، رفع يديه ومس جانب وجهها بأصابعه ، وأخذ يمررها بنعومة ، وكأنها ريشة رقيقة تهفو على بشرتها . وعندما لامسها ، أغمضت عينيها ، وعلى الرغم من ثقتها فى مشاعره ، استسلمت للمساته ، وأطلقت العنان لأحاسيسها لتنتقل عبر جسدها كله .

كانت تشعر أن كل شيء قد تسرب من بين يديها ، وعاد إليها فجأة . العشاء الذى تناولاها معاً ، سيرهما معاً على الشاطئ ، الطريقة التى ينظر بها إليها الآن ، فلم تكن تحلم بشيء أفضل مما يحدث فى تلك اللحظة .

كانت الأمواج تتجه نحو الشاطئ ، وقد بللت أقدامهما ، وكان نسيم الصيف الدافئ يهب ويداعب شعرها ، مما جعلها تشعر أكثر بلمساته ، وقد أضفى ضوء القمر بريقاً على المياه ، بينما كانت السحب تلتقى بظلالها على الشاطئ ، جاعلة منظر الأرض ساحراً .

استسلما لمشاعرهما التي كانت تنمو شيئاً فشيئاً منذ لقائهما ،
وغاصت هي في أحضانه ، وشعرت بدفء جسده وهو يطوقها
بذراعيه ، وظلا واقفين تحت ظلال القمر فترة طويلة ، وقد أحاط
كل منهما بذراعيه حول الآخر . فقد انتظر كلاهما هذه اللحظة لفترة
طويلة . وعندما تراجع كل منهما ، أخذوا ينظران إلى بعضهما
البعض ، ثم احتضنت تريسا يده مرة أخرى ، وقادته نحو المنزل .
بدا الأمر كله ، وكأنه حلم جميل ، ودخلا سوياً إلى المنزل ،
واتجهت تريسا نحو المطبخ ، وأحضرت الشموع من فوق المائدة ،
وعادت إليه ، فقام بإخراج بعض أعواد الثقاب من جيبه ، وأشعل
الشموع ، واحتضن كل منهما الآخر وقد فاضت مشاعرهما
الجياشة ، وظلا يتحدثان سوياً ، وكل منهما يشعر بقرب ودفء
الآخر ، وقضيا سوياً ليلة من أروع الليالي حتى ظهر الخيط الأول من
الفجر .

ومع ظهور الشمس ، فتحت تريسا عينيها ، وأدركت أنه ليس
بجوارها . تقلبت في فراشها ، ثم أخذت تبحث عنه ، ولم تره
فنهضت واتجهت نحو الخزانة ، وأخذت رداء للنوم ، ولفته حول
جسدها ، ونظرت نحو المطبخ المظلم ، ولم تجده هناك ، فاتجهت
نحو غرفة المعيشة ، ولم يكن هناك أيضاً ، وفجأة أدركت أين يمكن
أن يتواجد .

خطت خارج المنزل ووجدته جالساً على أحد المقاعد ، يرتدى
سروالاً قصيراً واسعاً . وعندما استدار ، لمحها ، فابتسم .
ثم قال : " مرحباً " .

فاتجهت نحوه ، فأشار لها لتجلس بجواره ، وقربها نحوه
واحتضنها ، وأحاطت هي عنقه بذراعيها ، وفجأة تراجع ،
حيث شعرت بأن هناك خطأ ما ، فسألته :

" هل أنت على ما يرام ؟ "

واستغرق منه الأمر دقيقة ليجيب .

ثم قال بهدوء ، وقد تحاشى النظر إليها : " نعم " .

" أواثق أنت من ذلك ؟ "

فاوماً برأسه بالإيجاب دون أن ينظر في عينيها ، وأدارت هي

وجهه ناحيتها ، وقالت في عذوبة :

" إنك تبدو ... حزيناً " .

فمنحها ابتسامة باهتة دون أن يجيب .

قالت : " هل أنت حزين ؛ لأننا هنا معاً ؟ "

" لا ، ليس الأمر كذلك على الإطلاق ، إنني لست نادماً على

شيء " .

" ما الخطب إذن ؟ "

لم يجب ، ومرة أخرى تحاشى النظر إليها .

فتحدثت في رقة ، وقالت : " هل أنت هنا من أجل

كاثارين ؟ "

فظل صامتاً للحظة دون أن يجيب ، ثم احتضن يدها ، ونظر

أخيراً في عينيها ، وقال هامساً :

" إنني لست هنا من أجل كاثارين ، وإنما من أجلك أنت " .

ثم جذبها نحوه في حنان ورقة ذكرتها بطفل صغير ،

واحتضنها دون أن ينبس بكلمة واحدة ، ولم يدعها تذهب حتى

امتلاأت السماء بضوء الصباح ، وظهر أول شخص على الشاطئ .

فأجاب جاريت وقد أدرك أنه لا يستطيع إخفاء الحقيقة عن والده أكثر من ذلك : " بلى ، إنها هنا " .
فأطلق جيب صغيراً ، وقد بدا على صوته السعادة ، وقال :
" لقد اتصلت في وقت غير مناسب إذن " .
حاول جاريت أن يقلل من أهمية ذلك ، وقال : " أبى ، لا تبالغ في الأمر " .
" أعدك ، ألا أفعل " .
" شكراً لك " .

" هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالاً ؟ " .
فتنهده جاريت قائلاً : " بالطبع " .
" هل تجعلك تريساً تشعر بالسعادة ؟ " .
صمت لدقيقة قبل أن يجيب ، وقال أخيراً : " نعم ، إننى أشعر معها بالسعادة " .
فقال له والده مرة أخرى وهو يضحك ، وقبل أن يضع سماعة الهاتف : " إذن فقد تحدثت في وقت غير مناسب " فحدق جاريت إلى الهاتف وهو يعيد السماعة إلى مكانها .
وهمس لنفسه وقد ارتسم شبح ابتسامة على وجهه ، وقال :
" إنها تشعرنى حقاً بالسعادة " .

ظهرت تريساً من داخل الغرفة بعد دقائق قليلة ، وقد بدا عليها الراحة والانتعاش ، وقد شممت رائحة القهوة تنبعث من داخل المطبخ ، فالتفت نحوه لتتناول قهواً . وبعد أن وضع جاريت قطعة من الخبز فى المحمصة الكهربائية اتجه نحوها .
فقال وهو يداعب شعرها بيده : " صباح الخير " .
قالت : " صباح الخير " .

الفصل التاسع

" ماذا تعنى بأنك لن تتناول معى الغداء اليوم ، فهذه عادتنا منذ سنوات ، فكيف تنسى ذلك ؟ " .
" إننى لم أنس يا أبى ، كل ما فى الأمر ، إننى لن أستطيع اليوم ، وسوف نتناوله معاً فى الأسبوع القادم ، اتفقنا ؟ " .
صمت جيب بليك على الجانب الآخر من الهاتف ، وأخذ يندق بأصابعه على المنضدة ، وقال :
" لماذا ينتابنى الإحساس بأنك تخفى عنى شيئاً ؟ " .
" ليس هناك ما أخبرك به " .
" أوافق أنت من ذلك ؟ " .
" نعم ، تمام الثقة " .

وفجأة جاء صوت تريساً من الداخل ، فقام جاريت بوضع يديه على سماعة الهاتف ، وأجابها بأنه سيأتيها على الفور ، وعندما استأنف حديثه عبر الهاتف سمع والده يقول له فى حدة :
" ما هذا الصوت ؟ " .
" لا شىء " .

ثم قال والده بلهجة تنم عن فهمه : " إن تريساً ، عندك بالمنزل ، أليس كذلك ؟ " .

يتمايلان بين أمواجه الناعمة . وقد طلبت منه فى تلك الليلة أن يحكى لها المزيد من مغامراته فى المحيط ، وكانت تداعب شعره بأناملها ، بينما كان صوته يتردد داخل السفينة وهو يقص عليها بعضاً من مغامراته .

أما الشئ الذى لم تعرفه تريسا فهو أن جاريت قد تركها بعد أن استغرقت فى النوم ، وجلس وحيداً على ظهر السفينة كما فعل من قبل ، وأخذ يفكر فى تريسا التى كانت تنام بالداخل ، وفى أنها ستتركه عما قريب . وبينما هو يفكر فى ذلك ، طافت بذهنه ذكري سنوات مضت .

قال جاريت وهو ينظر إلى كاثرين وقد بدا القلق فى عينيه :
" لا أعتقد أنه يجب عليك الذهاب "

فوقفت عند الباب الأمامى ، وقد وضعت حقيبتها بجانبها ، وقد شعرت بالإحباط من تعليقه ، وقالت : " جاريت ، عزيزى ، لقد تحدثنا من قبل فى هذا الشأن ، إننى سأذهب لبضعة أيام فقط "

" ولكنك قد تغيرت ، ولست كعادتك فى الأيام الأخيرة " .
" كم مرة أخبرتك فيها أننى بخير ؟ إن شقيقتى تحتاجنى بجوارها - إنك تعرف حالتها - فهى تشعر بالقلق من أجل الزفاف ، وأمى لا تمد لها يد العون " .
" ولكننى أحتاجك أنا أيضاً "

" جاريت ، إن بقاءك طوال اليوم بالمركز لا يعنى أنه على أن أمكث هنا أنا أيضاً بمفردى طوال اليوم . لا يجب علينا أن نكون متلازمين فى كل وقت ! "

" آسف ، إذا كنت قد تركتك بمفردك لفترة ليلة أمس " .
" لا عليك إننى أتفهم جيداً " .
" أتعنين ذلك حقاً ؟ "

فاستدارت وواجهته بابتسامة قائلة : " نعم ، أعنيه بالطبع ، لقد قضيت معك وقتاً رائعاً " .

قال وهو يأخذ قدحاً من الخزانة من أجل تريسا :
" هل تودين القيام بشئ اليوم ، لقد اتصلت بالمركز ، وأخبرتهم أننى لن أذهب اليوم إلى هناك " .
" ماذا لديك من أفكار ؟ "

" ما رأيك فى جولة أريك خلالها ويلمينجتون ؟ " .
قالت وقد بدا عليها أنها لا تحبذ الفكرة : " يمكننا أن نقوم بذلك " .

قال : " هل لديك أى شئ آخر تودين القيام به بدلاً من ذلك ؟ " قالت : " ما رأيك فى البقاء هنا اليوم ؟ " .
" وماذا سنفعل ؟ "

قالت : " بإمكاننا أن نجلس ، ونتسامر ، ونتناول الغداء سوياً ، هل هناك مشكلة فى ذلك ؟ " .
فقال وقد علت وجهه ابتسامة عريضة : " لا ، ليس هناك مشكلة فى ذلك على الإطلاق " .

لم يفترق جاريت وتريسا عن بعضهما البعض خلال الأيام الأربعة التالية ، وقد ترك جاريت لـ " إيان " إدارة المركز مؤقتاً ، حتى أنه قد سمح له بإعطاء دروس الغوص فى أيام السبت ، وهو شئ لم يفعله من قبل على الإطلاق . وقد أبحر جاريت وتريسا معاً مرتين ، وفى المرة الثانية قضيا الليلة بأكملها وسط المحيط ،

تراجع جاريت خطوة إلى الوراء ، كما لو كانت ستهاجمه ،
وقال : " لم أقل ذلك ، إننى فقط لا أعرف إذا كان يجب عليك أن
تذهبي ، وأنت فى هذه الحالة " .

" إنك دائماً لا تريدنى أن أذهب إلى أى مكان " .

" وهل أستطيع أن أتحمّل ابتعادك عنى ؟ "

فلاننت ملامحها قليلاً ، وقالت : " قد أبتعد قليلاً يا
جاريت ، ولكنك تعلم تماماً أننى يوماً سأعود " .

وعندما تلاشت هذه الذكرى من مخيلته ، عاد مرة أخرى إلى
القمرة ، وشاهد تريسا وهى مستغرقة فى النوم ، وقضيا اليوم التالى
على الشاطئ ، وقد جلسا بالقرب من الجسر الخشبي الممتد ، الذى
تناولا غداءهما معاً عليه لأول مرة . وعندما أحرقت أشعة الشمس
الأولى تريسا ، قام جاريت بالذهاب إلى أحد المتاجر الواقعة بالقرب
من الشاطئ ، وابتاع لها مرطباً للبشرة . وعلى الرغم من أنها كانت
لا تريد أن تعترف لنفسها أن هناك لحظات يكون فيها جاريت
شارداً ويسرح بعيداً ، إلا أنها كانت تشعر بذلك فى أعماقها ،
وكثيراً ما تساءلت إذا ما كانت محقة فى شعورها أم لا .

تناولا طعام الغداء فى مطعم هانك مرة أخرى ، وقد أمسك كل
منهما بيد الآخر ، وأخذوا يحدقان إلى بعضهما البعض عبر المائدة .
وتحدثا بهدوء ، ولم يشعرا بالناس من حولهما ، ولم يلحظ أى
منهما فاتورة الحساب التى وضعها أحدهم على المائدة أو حتى
عندما هدأت جموع الناس فى المحل .

أخذت تريسا تتفرسه بعناية ، وهى تتساءل إذا ما كان جاريت
يقرأ أفكار كاثارين ويشعر بها كما هو معها الآن . فإنه يقرأ تماماً ما

يدور فى ذهنها عندما يكونان معاً . فعندما تريد أن تتحدث لفترة
دون أن يقاطعها ، تجده ينصت إليها فى هدوء . وعندما تريد أن
تعرف كيف يكون شعوره حيالها فى أى لحظة بعينها ، فتفصح
الطريقة التى ينظر بها إليها عن مشاعره . إنها لم تصادف أحداً فى
حياتها - حتى ديفيد - يفهمها جيداً كما يفعل جاريت ، ومع هذا
فمنذ متى تعرفه ؟ بضعة أيام ؟ ولكن كيف ؟ وأخذت تفكر فى
الإجابة عن سؤالها فى تلك الليلة . وأدركت أن الإجابة تكمن
فى الزجاجات التى عثرت عليها . وكلما زادت معرفتها
بـ " جاريت " ، أدركت أنها قدر لها أن تعثر على رسالته
لـ " كاثارين " ، كما لو أن هناك قوة هائلة قد أوقعت بتلك الرسائل
فى طريقها ، وذلك لتجمعها معاً .

وفى مساء السبت ، قام جاريت بإعداد عشاء آخر لها ،
وتناولاه عند الجسر الخشبي تحت النجوم . وكان كلاهما يعلم أنها
ستعود إلى بوسطن فى اليوم التالى ، وقد كان كلاهما يتحاشى
الحديث فى هذا الموضوع حتى الآن .

سألته : " هل سأراك ثانية ؟ "

كان هادئاً ، بل شديد الهدوء ، وقال : " أتمنى ذلك " .

" هل ترغب فى ذلك حقاً ؟ "

فجلس على الأريكة ، وقد ابتعد عنها قليلاً ، وقال : " بالطبع
أرغب فى ذلك " ونهضت بعد دقيقة ، وأضاءت النور المجاور
للأريكة .

ثم قالت : " ما الخطب يا جاريت ؟ "

قال وهو يخفض عينيه : " لا أريد أن ينتهى هذا الأسبوع ،
أعنى أنك قد دخلت حياتى ، وقلبت رأساً على عقب ، والآن
تريدون أن تغادروا " .

فأمسكت بيده وتحديثت بهدوء .

وقالت : " آه ، جاريت ، إننى لا أريد أن ينتهى الأمر كذلك ، فلقد كان هذا الأسبوع من أجمل الأسابيع التى قضيتها فى حياتى . إننى أشعر وكأنى أعرفك منذ أمد بعيد ، ويمكننا أن نجعل الأمر يستمر إذا ما حاولنا . فبإمكانى أن آتى أنا إلى هنا ، أو تأتى أنت إلى بوسطن ، فى كلتا الحالتين ، يمكننا أن نحاول ، أليس كذلك ؟ "

" كم مرة يمكننى أن أراك ، مرة واحدة كل شهر ؟ أقل من ذلك ؟ "

" لا أعرف ، أعتقد أن ذلك يعتمد علينا وعلى ما نريده . وأعتقد إنه إذا ما ضحينا قليلاً ، وأعرنا الأمر بعض الأهمية ، فسننجح . "

فتوقف للحظة ، ثم قال : " هل تعتقدين بحق أنه يمكننا ألا نلتقى كثيراً ، متى يمكننى أن آخذك بين ذراعى ؟ كيف يمكننى أن أرى وجهك ؟ إذا لم نر بعضنا البعض سوى مرة واحدة كل فترة ، فلن يمكننا أن نفعل الأشياء التى نحن بحاجة إليها ، ولن يكون هناك وقت لأن تنمو مشاعرنا . ففى كل مرة سنلتقى فيها ، سنكون على دراية بأنه لقاء يستمر لعدة أيام فقط ، ولن يكون هناك فرصة لنمو أى مشاعر أو أحاسيس . "

كانت كلماته موجهة ، وذلك لأنها كانت جزءاً من الحقيقة ، ولأنه بدا وكأنه يريد ببساطة أن ينهى كل شيء هنا الآن . وعندما استدار أخيراً ليواجهها كانت هناك ابتسامة أسف على وجهه ، ولم تدر ماذا تقول فأطلقت سراح يده ، وكان يبدو عليها الحيرة والارتباك .

قالت له : " إذن ، فأنت لا تريد أن تحاول ؟ هذا ما تريد أن تقوله ، أليس كذلك ؟ إنك تريد أن تنسى كل ما حدث . " فهز رأسه بالنفى وقال : " لا ، إننى لا أريد أن أنسى شيئاً ، لأننى لا أستطيع . كل ما فى الأمر إننى أريد أن أراك وقتاً أطول من القدر الذى نستطيعه . "

" وأنا كذلك ، ولكننا لا نستطيع ، لذا فدعنا نفعل أقصى ما فى وسعنا ، اتفقنا ؟ "

فهز رأسه وقال : " لا أدرى . " أخذت ترقبه وهو يتحدث ، وقد شعرت بوجود شيء آخر يطوف بذهنه .

قالت له : " جاريت ، ما الخطب ؟ " ولكنه لم يجبها ، فأردفت قائلة : " هل هناك سبب يجعلك لا تريد المحاولة ؟ " ظل صامتاً ، وأثناء ذلك التفت نحو صورة كاثارين الموضوعة فوق الحامل .

كان جاريت يرفع حقيبة كاثارين من المقعد الخلفى ، بينما كانت هى تغادر سيارتها وقال : " كيف كانت رحلتك ؟ " قالت : " كانت موفقة ، ولكن لا تزال أختى تشعر بالقلق ، فهى تريد كل شيء بلا خطأ ، ولقد اكتشفنا أن نانسى حامل ، ورداء وصيفة الشرف لا يناسبها الآن . "

" وماذا بعد ؟ ، يمكنها أن تقوم بإصلاحه . "

" هذا ما قلته ، ولكنك تعرفها جيداً ، إنها تبالغ فى تقدير كل شيء . "

وضعت كاثارين يدها على خصرها وبدت متجهمة الوجه .

فقال لها جاريت : " هل أنت بخير ؟ " .
" إنه مجرد إرهاق ، لقد بذلت جهداً طوال الوقت الذي
قضيته هناك ، وظل ظهري يؤلنى لعدة أيام " .

ثم اتجهت نحو الباب الأمامي ، وبجانبيها جاريت .
قال لها : " كاثرين ، لقد أردت فقط أن أعبر لك عن أسفى عن
الأسلوب الذى حدثتك به قبل أن تغادرى . إننى سعيد لأنك
ذهبت إلى هناك ، ولكننى أكثر سعادة ؛ لأنك قد عدت " .

" أجبني يا جاريت " .

وأخذت تحددق إليه ، وقد اعترها القلق ، ولكنه تحدث أخيراً
وقال : " تريسا ... إن الأمر صعب على الآن ... فالأشياء التى
أمر بها ... " .

وتوقف عن الكلام ... وأدركت تريسا فجأة ما يتحدث عنه ،
وشعرت بأن هناك يدا تعترضها .

قالت : " هل لذلك علاقة بـ " كاثرين " ؟ أهذا هو السبب ؟ " .
" كلا ، إنه مجرد ... " وتوقف عن الكلام ، ولكنها أيقنت
أنها على حق .

" بل هو كذلك ، إنك لا تريد أن تحاول ... بسبب كاثرين " .
" إنك لا تفهميننى " .

ورغماً عنها ، شعرت بالغضب يعترئها ، وقالت : " بل أفهم
جيداً ، لقد قضيت وقتاً معى هذا الأسبوع ؛ لأنك تعرف أنى
سأغادر ، وبمجرد أن أذهب ، سوف تعود إلى ما كنت عليه . لقد
كنت مجرد نزوة ، أليس كذلك ؟ " .

فهز رأسه بالنفى ، وقال : " لا ، إنك لم تكونى كذلك ، إنك
لست نزوة ، إننى أهتم بك بالفعل " .

فرمقته بنظرة غاضبة ، وقالت : " ولكن ليس بدرجة كافية لأن
تحاول وتعمل على إنجاح علاقتنا " .

فنظر إليها ، وقد بدا الألم فى عينيه ، وقال : " لا تتصرفى
هكذا " .

قالت له : " وماذا تريدنى أن أفعل ؟ أن أتفهم ؟ هل تريدنى
أن أقول لك ببساطة : " آه ، جاريت ، علينا أن ننهى الأمر عند
هذا الحد ، لأنه من الصعب أن نتلقى بعد ذلك كثيراً ، إننى أفهم
ذلك ، لقد سررت بمقابلتك " هل هذا ما تريدنى أن أقوله ؟ " .
" كلا ، لا أريدك أن تقولى ذلك " .

" ماذا تريد إذن ؟ لقد قلت لتوى إننى سأحاول ... لقد قلت
إننى أرغب بذلك — " .

هز رأسه ، ولم يقو على النظر إلى عينيها ، وشعرت تريسا
بالدموع تتفرق فى عينيها .

قالت له : " ، جاريت ، إننى أعلم جيداً أنك فقدت زوجتك .
وأعلم أنك عانيت من جراء ذلك ؛ لكن الحياة تفتح ذراعيها
أمامك ، فلا تتجاهلها لتعيش فى الماضى " .

قال مدافعاً : " إننى لا أعيش فى الماضى " .
غالبت تريسا دموعها بشدة ، وقد رق صوتها .

ثم قالت : " جاريت ، قد لا أكون فقدت زوجة مثلك ،
ولكننى فقدت عزيزاً من قبل . وأدرك كيف يكون الألم والجرح .

لأكون صريحة معك ، لقد سئمت من البقاء بمفردى طوال الوقت .
لقد ظللت وحيدة لثلاث سنوات - مثلك تماماً - ولقد سئمت من
ذلك . ولكننى على استعداد الآن للارتباط ، البحث عن شخص مميز
أمنحه اهتمامى - وأنت كذلك عليك أن تحاول " .

" إننى أدرك ذلك ، ألا تعلمين أننى أدركه تماماً ؟ " .

" حتى الآن ، لست واثقة . لقد تولد بيننا شيء رائع ، ولا أريد أن نفقده "

فصمت لفترة .

ثم قال وهو يخرج الكلمات بصعوبة : " إنك محقة ، إننى أدرك ذلك بعقلي ، ولكن قلبي لا أعرف "

" ولكن ماذا عن قلبي أنا ؟ ألا يهملك على الإطلاق ؟ "

ونظرت إليه ، وشعر بأن حلقة يجف .

قال لها : " بل يهمنى ، أكثر مما تتصورين " وعندما مد يده ليحتضن يديها ، أبعدها على الفور . ورأى هو إلى أى مدى قد جرح مشاعرها ، وتحدث فى رقة وهو يحاول أن يسيطر على عواطفه .

فقال لها : " إننى آسف لأننى جعلتك - أو جعلت كلينا يمر بذلك فى آخر ليلة بيننا . ولكن صدقيني ، إنك لست مجرد نزوة بالنسبة لى - إنك أى شيء إلا ذلك ، لقد أخبرتك أننى أهتم بك ، وأنا أعنيه بالفعل "

ثم فتح ذراعيه ، وعيناه ترجوانها أن تأتى إلى جانبه . وترددت هى للحظات ، ثم مالت نحوه ، تتصارع بداخلها المئات من المشاعر المختلفة ، ودفنت رأسها فى صدره ، فلم تكن ترغب فى أن ترى التعبير المرتسم على وجهه ، وأخذ يقبل شعرها ، ويتحدث فى عذوبة ورقة ، وقال :

" إننى أهتم بك ، لدرجة تخيفنى . فلم تنتابنى هذه المشاعر منذ فترة طويلة ، فكدت أنسى كيف يدخل شخص ما حياتى ، ويمثل كل هذه الأهمية بالنسبة لى . لا أستطيع تصور أن أدعك تذهبين أو أنسك ، إننى لا أرغب فى ذلك ، ولا أريد أن ننهى ما بيننا الآن " ، ثم مرت دقائق لم ينبعث خلالها سوى صوت أنفاسه

الرقيقة ، وهمس لها أخيراً : " أعدك أن أفعل ما بوسعى لأراك ، وسوف نحاول إنجاح علاقتنا "

أثر فيها صوته الحنون ، مما جعل الدموع تنهمر من عينيها ، واستكمل كلامه بهدوء شديد لتسمعه .

" تريسا " ، أعتقد أننى أحبك "

فترددت الجملة فى ذهنها مرة أخرى " أعتقد أننى أحبك "

أعتقد

لم تكن ترغب فى أن تجيب ، فهيمست قائلة فى بساطة : " ضمنى فحسب ، وأرجو أن نكف عن مناقشة ذلك الآن "

استيقظا فى اليوم التالى ، وظلا يتحدثان حتى ارتفعت الشمس فى كبد السماء ، فأدركا أنه قد حان الوقت لأن تستعد تريسا للذهاب ، ولم تمض وقتاً طويلاً فى الفندق ، وأحضرت حقيبتها إلى منزل جاريت ، ولم تتأكد ما إذا كان كيفن أو ديانا قد حادثاها أم لا فى الفندق .

قام جاريت بإعداد طعام الإفطار من أجل تريسا ، بينما كانت هى تنتهى من حزم حقائبها . وسمعت تريسا صوت جاريت وهو يعد لها بعض شرائح اللحم ، وتسالت راثحتها خلال المنزل . وبعد أن قامت بتمشيط شعرها ، وضعت بعض المساحيق على وجهها ، واتجهت نحو المطبخ .

كان جاريت جالساً أمام المائدة ، يتناول قدحاً من القهوة ، فغمز لها وهى تدلف إلى المطبخ ، وقد ترك قدحاً فارغاً على الطاولة بجوار ماكينة صنع القهوة . وكان الإفطار معداً على المائدة - وكان عبارة عن بيض مخفوق ، وشرائح من اللحم ، وبعضاً من الخبز المحمص ، جلست تريسا على المقعد القريب منه .

قال لها : " لم أكن أعرف ما الذى ترغبين فى تناوله على الإفطار " ، وأشار نحو المائدة .

" إننى لست جائعة يا جاريت ، ولا أرغب فى تناول أى طعام " .

فابتسم وقال : " لا عليك ، إننى لا أشعر بالجوع أيضاً " .

نهضت من مقعدها ، واتجهت نحوه ، وجلست بالقرب منه ، وأحاطته بذراعيها ، فضمها إليه بشدة ، وأخذ يداعب شعرها بيديه .

ثم تراجعت إلى الورا ، وكان الوقت الذى أمضياه تحت أشعة الشمس هذا الأسبوع ، قد ترك بعضاً من البقع على جلدها ، وقد بدت كمراهقة صغيرة فى سروالها الجينز القصير وقميصها الأبيض النظيف . وأخذت تحديق لدقيقة فى الورود الصغيرة المطرزة فى حذائها ، وكانت حقيبتها ومحفظتها موضوعتين بجوار الفراش فى غرفة النوم .

ثم قالت له : " إن طائرتى على وشك الإقلاع ، وعلىّ أولاً أن أذهب إلى الفندق لأسدد حسابه ، ثم أعيد السيارة المستأجرة " .

" ألا تريدنى أن أرافك " ؟

أومأت برأسها وقالت : " لا ، علىّ الإسراع للحاق بالطائرة ، وسيكون عليك أن تتبمنى أنت بشاحنتك ، أعتقد أنه من الأسهل أن تودع بعضنا البعض هنا " .

" سأحادثك الليلة " .

ابتسمت قائلة : " أتمنى أن تفعل " .

وبدأت الدموع تترقق فى عينيها ، فجذبها نحوه .

قال بينما انخرطت هى فى البكاء : " سأفتقدك كثيراً " ، وأخذ يمسح الدموع من على وجنتيها بأصابعه ، وكانت لمستة رقيقة على بشرتها .

قالت فى همس ، وقد شعرت بأنها تبدو حمقاء : " وأنا سأفتقد أطباقك الشهية " .

فضحك فى محاولة لتخفيف حدة التوتر ، وقال : " لا تحزنى هكذا فسوف نلتقى فى غضون أسبوعين ، أليس كذلك ؟ " .

" بلى ، إلا إذا كنت قد غيرت رأيك " .

فابتسم وقال : " سأعد الأيام حتى تاتى ، وسوف تحضرين كيفن معك فى هذه المرة ، أليس كذلك ؟ " .

فأومأت برأسها موافقة .

" سيسرنى مقابلته ، وإذا كان يشبهك فى صفاتك ، فإننى على يقين من أننا سوف نصبح أصدقاء " .

" إننى واثقة أيضاً من ذلك " .

" وحتى ذلك الحين ، سأظل أفكر فىك طوال الوقت " .

" هل ستفعل ؟ " .

" بالطبع ، فأنا أفكر فىك من الآن بالفعل " .

" هذا لأننى بجوارك " .

فضحك مرة أخرى ، ومنحته ابتسامة عذبة ، ثم نهضت ومسحت الدموع من على وجنتيها . واتجه جاريت نحو حقيبتها وحملها ، وغادر كلاهما المنزل . وبالخارج ، كانت الشمس قد ارتفعت فى كبد السماء ، وسرعان ما أصبح الطقس دافئاً . وأخرجت تريسا نظارتها الشمسية من الجيب الجانبى فى حقيبتها ، وأمسكتها فى يدها وهى تتجه نحو السيارة المستأجرة .

قامت بفتح صندوق السيارة ، وقام هو بوضع أشياءها بداخله ، ثم أخذها بين ذراعيه ، وقام بتقبيل جبهتها فى رقة ، ثم تركها وبعد أن فتحت باب السيارة ساعدها لأن تستقلها ، ثم جلست خلف مقعد القيادة .

كان الباب لا يزال مفتوحاً ، وأخذوا يحدقان إلى بعضهما البعض حتى أدارت السيارة .

قالت له : " على أن أذهب الآن ، فيجب أن ألحق بطائرتى " .

قال لها : " أعلم هذا " .

ثم ابتعدت عن باب السيارة ، وأغلقت ، وقامت هى بخفض زجاج السيارة ، وأخرجت يدها ، فأمسك بها جاريت لدقيقة ، ثم رجعت بالسيارة إلى الوراء .

وسألته : " هل ستحادثنى الليلة ؟ "

" أعدك بهذا " .

ابتسمت له ، وسارت بالسيارة ببطء إلى الأمام . وأخذ جاريت يرقبها وهى تلوح له لآخر مرة قبل أن تنطلق بالسيارة ، وأخذ يتساءل كيف سيمضى الأسبوعان القادمان بدونها .

وعلى الرغم من تعطل المرور ، إلا أن تريسا شقت طريقها بسرعة نحو الفندق ، ثم قامت بتسديد فاتورة الحساب . وكان هناك ثلاث رسائل من ديانا ، وكانت الرسالة الأولى تقول : " ماذا يجرى عندك هناك ؟ كيف كان لقاؤك ؟ " ثم أخذت تقرأ الرسالة الثانية وكانت تقول : " لماذا لم تحادثينى ؟ إننى أتوق لأعرف أخبارك " أما الثالثة فكانت تقول : " إن الفضول يكاد يقتلنى ! أرجو أن تحادثينى لأعرف التفاصيل - أرجوك ! " ، وكانت هناك رسالة

واحدة فقط من كيفن - فقد حادثته مرتين من منزل جاريت - وبدا وكأنه أرسل الرسالة منذ يومين .

قامت بإعادة السيارة المستأجرة ، ووصلت إلى المطار فى أقل من نصف الساعة . ولحسن حظها ، لم يكن أمامها كثير من الناس فى صف تفتيش الحقائب ، وبعد أن أعطت تذكرتها إلى المضيفة اعتلت متن الطائرة واتخذت مقعدها . ولم تكن الرحلة إلى مدينة شارلوت مزدحمة ، بل كان المقعد الذى بجوارها شاغراً .

أغمضت تريسا عينيها ، وأخذت تسترجع أحداث الأسبوع الماضى الرائعة . فهى لم تعثر فقط على جاريت ، وإنما قابلته وعرفته عن قرب بشكل لم تتصوره ممكناً . فلقد حرك فيها مشاعر عميقة ، مشاعر اعتقدت أنها قد دفنتها فى أعماقها لفترة طويلة .

ولكن هل تحبه ؟

وسألت نفسها هذا السؤال بحذر ، وهى تتساءل ماذا يعنى اعتراف كهذا .

وأخذت تسترجع المناقشة التى دارت بينهما فى الليلة الماضية ، وخوفه من نسيان الماضى ومشاعره المتخوفة من الارتباط بها ، فهى تتفهم هذه الأشياء تماماً ولكن ...

أعتقد أننى أحبك .

وقطبت وجهها ، لماذا أضاف كلمة " أعتقد " ؟ فإما أن يكون قد أحبها أم لا ، أليس كذلك ؟ هل قالها من أجل سبب آخر ؟

أعتقد أننى أحبك .

أخذ صوته يتردد على مسامعها ، وهو يقول هذه الجملة مراراً وتكراراً ، فقد كان صوته مفعماً بال... ماذا ؟ التناقض ؟ وتمنت وهى تفكر فى كلامه " لو أنه لم يقل شيئاً على الإطلاق ، لكانت قد

استراحت ، ولم تجشم نفسها عناء محاولة فهم ما يقصده بالضبط من وراء ما قاله ، ولكن ماذا عنها ؟ هل تحب جاريت ؟ أغلقت عينيها من التعب ، فلم تقو على مواجهة مشاعرها الحذرة ، القلقة . ولكنها كانت متأكدة من شيء واحد ، وهو أنها لن تصارحه بأنها تحبه حتى تعرف بيقين من أنه قد وضع ماضيه مع كاثرين خلفه .

وقد رأى جاريت فى أحلامه هذه الليلة ، أن عاصفة شديدة على وشك الهبوب . فقد كانت الأمطار تهطل بشدة على المنزل ، وأخذ جاريت يهرع فى احتياج شديد من حجرة إلى أخرى . وكان ذلك فى المنزل الذى يقطن فيه الآن . وعلى الرغم من أنه كان يدرك وجهته جيداً ، إلا أن الأمطار الشديدة التى كانت تهطل على النوافذ المفتوحة حجبت الرؤية . ثم هرع نحو غرفة النوم ، فالتفت حوله الستائر المتطايرة ، فتخلص منها ، واتجه نحو النافذة ، وفى تلك اللحظة انطفأت الأنوار .

وساد الظلام الغرفة . ومن خلال العاصفة ، استطاع أن يسمع صوت صفارة إنذار تنبئ بوقوع إعصار . وأضاء البرق السماء ، وظل يصارع من أجل إغلاق النافذة ، واستمرت الأمطار فى الهطول بداخل الشقة ، وقد بللت يديه وجعلته لا يستطيع إحكام قبضته على النافذة .

وبدأ سقف المنزل فى التصدع من فوق رأسه مع اشتداد العاصفة .

وواصل هو صراعه ليغلق النافذة ، ولكنها تصلبت ولم تتحرك ، ويئس من محاولة إغلاقها ، واتجه نحو النافذة التى تقع بجانبها ، ولكنها كانت متصلبة مثل سابقتها .

واستطاع خلال ذلك أن يسمع ألواح السقف الخشبية ، وهى تنكسر ، وتبعها صوت تحطم زجاج .

فاستدار واتجه نحو غرفة المعيشة ، وقد تحطمت نافذتها وتناثر الزجاج على الأرض . وكانت مياه المطر تصب فى الغرفة كما كانت الرياح مروعة ، وأخذ الباب الأمامى يهتز بعنف ، وفجأة سمع صوت تريسا وهى تناديه من الخارج .

“ جاريت ، عليك أن تغادر المنزل فوراً ” .

وفى تلك اللحظة ، تحطم زجاج نوافذ غرفة النوم أيضاً ، وأخذت الرياح تهب بشدة داخل المنزل ، وصنعت فتحة كبيرة فى السقف ، وبدا أن المنزل سيصمد أمامها كثيراً
كاثرين

عليه أن يعود ليأخذ صورتها ، والأشياء الأخرى التى يحتفظ بها على المنضدة .

فصاحت تريسا مرة أخرى : “ جاريت ! لا وقت لهذا ! ” وكان يستطيع رؤيتها من الخارج ، على الرغم من الأمطار والظلام الذى يلف المكان ، وكانت تشير له أن يتبعها .

ولكن صورة كاثرين ، خاتم الزواج ، بطاقات عيد الحب . استمرت تريسا فى النداء : “ هيا يا عزيزى ” وكانت تلوح بيدها فى جنون .

وفى عنف شديد ، وبصوت هادر ، انفصل السقف عن جوانب المنزل ، وبدأت الرياح تلقيه بعيداً . وفى حركة تلقائية ، رفع جاريت ذراعيه يحمى بهما رأسه ، حيث كان هناك جزء من السقف يسقط نحوه .

سيضيع كل شيء فى لحظات .

اتجه نحو غرفة النوم ، غير حافل بالخطر الذى يحدق به ، فإنه لن يستطيع العيش دون هذه الأشياء .

" إنك تستطيع أن تهرب ! "

جعله شيء فى صوت تريسا الباكي يتوقف ، ونظر نحوها ، ثم ناحية غرفة النوم ، وتسمر فى مكانه .

وسقطت حوله أجزاء أكبر من السقف ، واستمر تحطم السقف فى عنف وشدة .

وخطا خطوة نحو غرفة النوم ، وفى تلك اللحظة رأى تريسا وقد توقفت عن التلويح بيدها ، فقد بدا له أنها قد فقدت الأمل فى نجاته .

كانت الرياح تهب بشدة داخل الغرفة وأحاطته بعنف ، وتناثر الأثاث خلال الغرفة ، وأعاق طريقه .

وصاحت تريسا : " جاريت ، أرجوك " .

ومرة أخرى جعله صوتها يتوقف ، وقد أدرك فى تلك اللحظة ، أنه إذا ما حاول أن ينقذ تلك الأشياء التى تعبر عن ماضيه ، فربما لا يستطيع أن ينجح فى الخروج بها .

ولكن هل تستحق ذلك ؟

وكانت الإجابة واضحة .

فتخلى عن محاولته ، وهرع نحو مكان النافذة ، وأزال قطع الزجاج ، وخطا نحو الخارج ، باتجاه الجسر الخشبي . وحينئذ تحطم السقف تماماً ، وتصدعت الجدران . وبينما كان يقفز فوق الجسر ، انهارت الجدران تماماً فى صوت انفجار هائل .

بحث عن تريسا ليتأكد من أنها بخير ، ولم يصبها مكروه ؛ ولكنه ولدهشته ، لم يجدها أمامه .

الفصل العاشر

فى الصباح التالى ، كانت تريسا مستغرقة فى النوم ، عندما دق جرس الهاتف ، فاستيقظت على صوته ، وأخذت يدها تتحسس طريقها وصولاً إلى سماعة الهاتف ، وأدركت صوت جاريت على الفور : " هل وصلت بسلام ؟ "

فأجابت فى صوت ناعس : " نعم ، ما الساعة الآن ؟ "

قال : " تجاوزت السادسة بقليل ، هل أيقظتك ؟ "

" نعم ، لقد انتظرت محادثتك حتى وقت متأخر الليلة الماضية ، وبدأت أتساءل إذا كنت قد أخلفت وعدك لى " .
" إننى لم أنس ، لقد اعتقدت أنك تحتاجين قسطاً من الراحة " .

ومع هذا تظن أننى مستيقظة الآن بعد شروق الشمس بقليل ؟

انفجر جاريت ضاحكاً ، وقال : " آسف لإزعاجك ، كيف

كانت رحلتك ؟ وكيف حالك ؟ "

" بخير ، ولكنى متعبة قليلاً " .

" إذن فقد أرهقك زحام المدينة الكبيرة مرة أخرى " .

فضحكت ، ثم تكلم جاريت بنبرة جادة وقال : " أريدك أن

تعرفى شيئاً " .

" ماذا ؟ "

" إننى أفتقدك كثيراً "

" حقا ؟ "

" نعم - لقد ذهبت إلى العمل بالأمس ، على الرغم من أن المركز كان مغلقا ، وذلك على أمل أن أعتنى ببعض الأعمال ، والرد على بعض المراسلات ، ولكننى لم أستطع أن أفعل ؛ لأننى كنت أفكر فيك طوال الوقت "

" إننى سعيدة لسماع ذلك "

" إنها الحقيقة ، إننى لا أدرى كيف سأقوم بأى عمل خلال الأسبوعين القادمين "

قالت : " بل ستستطيع "

قال : " قد لا أستطيع النوم أيضاً "

فضحكت ، وكانت تعلم أنه يريد إغاضتها ، وقالت : " لا تتعمد فى ذلك ، فأنا لا أهوى هذا النوع من الرجال ، فأنا أحب أن يكون الرجل الذى أرتبط به رجلاً بمعنى الكلمة "

" سأحاول التماسك قدر استطاعتى "

صمتت للحظة ، ثم قالت : " أين تجلس الآن ؟ "

إننى أجلس عند الجسر الخلفى ، أشاهد الشمس وهى تشرق . لماذا تسألين ؟ "

استرجعت تريسا هذا المنظر الرائع ، وقالت له : " هل المنظر جميل ؟ "

" جميل كالمعتاد ، ولكننى لا أستطيع الاستمتاع به كالسابق "

" لماذا ؟ "

" لأنك لست بجوارى لنستمتع به معاً "

فاستلقت على ظهرها فى الفراش ، حتى تشعر براحة أكثر ، وقالت : " إننى أفتقدك أنا أيضاً "

ابتسمت ، وهى تمسك بالساعة بإحدى يديها ، وتلف خصلة من خصلات شعرها باليد الأخرى . حتى أنهيا المكالمة على مضمض بعد أن استمرت عشرين دقيقة .

وعندما وصلت إلى مكتبها متأخرة على غير عاداتها ، شعرت تريسا بتأثير المغامرة عليها . فلم تأخذ قسطاً وافراً من النوم ، وعندما نظرت إلى المرآة بعدما أنهت مكالمتها مع جاريت ، شعرت بأنها تبدو أكبر من عمرها الحقيقى بعشر سنوات ، وكالمعتاد كان أول مكان تذهب إليه بعد وصولها إلى العمل هو غرفة الاستراحة ، وذلك لتتناول قدحاً من القهوة . وقد أضافت هذا الصباح ملعقة ثانية من السكر لتعطيها طاقة إضافية .

قالت ديانا بسعادة وهى تخطو نحوها : " مرحباً ، مرحباً ، تخيلت أنك لن تأتى إلى هنا ، لقد كاد الفضول يقتلنى لأعرف ما حدث "

غمغمت تريسا وهى تقلب قهوتها : " صباح الخير ، آسفة لتأخرى "

" إننى سعيدة لأنك أتيت هذا الصباح ، لقد كدت أهرع إلى شقتك الليلة الماضية لأتحدث إليك ، ولكننى لم أكن أعرف موعد وصولك تحديداً "

" آسفة لأننى لم أحادثك ، ولكننى كنت أشعر بالإرهاق الشديد نتيجة الأسبوع الذى قضيته "

اتكأت ديانا على الطاولة ، وقالت : " ليس فى الأمر أى مفاجآت ، لقد استطعت استنتاج ما حدث "

" ماذا تعنين ؟ "

لعت عينا ديانا ، وقالت : " أعتقد أنك لم تذهبي إلى مكتبك بعد "

" كلا ، إننى فى طريقى إليه ، لم ؟ "

قالت وهى ترفع حاجبها : " أعتقد أنه قد يتولد لديك انطباع جيد "

" ما الذى تتحدثين عنه يا ديانا ؟ "

قالت ديانا وعلى وجهها ابتسامة ماكرة ، وهى تقودها إلى غرفة الأخبار : " اتبعينى "

" عندما رأت تريسا مكتبها ، اعترتها الدهشة ، فقد كان هناك بجوار البريد المتراكم منذ رحيلها مجموعة من الزهور الرائعة ، وقد تم تنسيقها بعناية فى زهرية كبيرة .

لقد كانت أول شيء وصل هذا الصباح ، وأعتقد أن الرجل الذى قام بتسليمها قد انزعج عندما علم أنك غير موجودة لتسلميها ، ولكنى أخبرته بأننى تريسا ، فوجدته قد صدم بالفعل عندما علم ذلك "

كانت تريسا تستمع لما تقوله ديانا بالكاد ، وهى تمد يدها لتمسك بالبطاقة الموضوعة بجانب الزهور ، وفتحتها على الفور ، ووقفت ديانا خلفها وهى تمد رأسها لتنظر من فوق كتفها ، وكانت البطاقة تحتوى على هذه الكلمات :

إلى أجمل امرأة عرفتتها .

ها قد عدت وحيداً مرة ثانية ، ولم يعد أى شيء كما كان بالنسبة لى ، فقد أصبحت السماء أكثر

ظلمة ، والمحيط موحشاً .

هل ستعيدين كل شيء كما كان ؟

الطريقة الوحيدة لذلك هى أن أراك مرة أخرى

أفتقدك بشدة ،

جاريت

ابتسمت تريسا عندما قرأت هذه الكلمات ، وأعدت البطاقة إلى المظروف مرة أخرى ، وانحنى لتشتم عبير الزهور .

قالت ديانا : " أعتقد أنك قد أمضيت أسبوعاً لا ينسى "

أجابتها تريسا ببساطة : " نعم "

" إننى لا أطيق الانتظار حتى أستمع لما حدث - حتى لأدق

التفاصيل "

قالت تريسا وهى تنظر حولها فى غرفة الأخبار إلى الأشخاص

الموجودين بها ، والذين يراقبوننا بتحفظ : " أفضل أن نتحدث عن

ذلك الأمر فيما بعد ، حينما نكون على انفراد . فأنا لا أريد أن

يتناقل المكتب أخبارى ، وتنتشر الإشاعات "

" لقد قاموا بذلك بالفعل يا عزيزتى ، فلقد وصلت الزهور منذ

وقت طويل - ولكن على أية حال دعينا نتحدث لاحقاً "

" هل أخبرتهم بمن أرسل الزهور ؟ "

" بالطبع لا ، لقد تركت الفضول يقتلهم " ثم غمزت لها

بعينها ، بعد أن جالت ببصرها عبر الغرفة ، ثم أردفت قائلة : "

لدى بعض الأعمال على إنجازها ، فهل يمكن أن نتناول طعام

الغداء سوياً ؟ "

" بالطبع ، أين ؟ "

" ما رأيك فى مطعم ميكونى ؟ أراهن أنك لم تجدى الكثير من طعام السوشى فى ويلمينجتون "

" هذه فكرة جيدة ، و ... أشكرك يا ديانا على الاحتفاظ بالأمر سراً . "

" لا عليك . "

ثم ربتت ديانا على كتف تريسا برفق ، واتجهت نحو مكتبها ، انحنت تريسا فوق مكتبها وشممت رائحة الزهور مرة أخرى قبل أن تحرك الزهرية إلى جانب المكتب ، وأخذت تقلب البريد ، وتنظر خلاله لدقيقتين ، وهى تتظاهر بأنها لا تلاحظ الزهور حتى استعادت غرفة الأخبار هدوءها . وعندما تأكدت أنه لا يوجد أحد ينتبه إليها التقطت سماعة الهاتف ، وحادثت جاريت فى عمله .

رد إيان على الطرف الآخر ، وقال لها : " انتظرى للحظات ، أعتقد أنه بمكتبه ، من المتحدث ؟ "

قالت له : " أخبره بأننى أريد أن آخذ بعض دروس الغوص لأسبوعين " ، وحاولت أن يبدو صوتها بعيداً ، ولم تكن على ثقة إذا كان إيان يعرف عن أمرهما شيئاً ، جعلها إيان تنتظر على الهاتف ، وساد الصمت لدقيقة ، ثم جاءها صوت جاريت على الطرف الآخر من الهاتف .

وقال : " هل أستطيع مساعدتك ؟ " وقد شاب صوته بعض القلق .

فقالت ببساطة : " ما كان عليك أن تتكلف عناء إرسال الزهور ، ولكنى سعيدة لأنك أرسلتها . "

فأدرك صوتها على الفور ، وبدأ الفرح على صوته ، وقال : " إنه أنت ؟ إننى سعيد أنها قد وصلت إليك ، هل كانت بحالة جيدة ؟ "

" إنها زهور جميلة للغاية ، كيف عرفت أننى أحب الزهور ؟ "

" لم أكن أعرف ، ولكنى لم أسمع بامرأة لا تحب الزهور ، لذا قمت بإرسالها . "

فابتسمت قائلة : " إذن فأنت أرسلت الزهور لكثير من النساء من قبل لملايين من النساء ، فمدربو الغوص لهم شهرة وشعبية مثل نجوم السينما تماماً ، هل هم كذلك حقاً ؟ "

قال : " هل تعنين أنك لا تعرفين ؟ وها أنا قد أعتقد أنك معجبة أخرى . "

فضحكت وقالت : " أشكرك كثيراً . "

قال : " هل سألك أحد عن إرسال إليك هذه الزهور ؟ "

فابتسمت قائلة : " بالطبع . "

قال : " أعتقد أنك ذكرت عنى صفات طيبة . "

قالت : " لقد فعلت ، لقد أخبرتهم بأنك فى الثامنة والستين من العمر ، وسمين ، ولديك لثغة رهيبه تجعل من المستحيل فهم ما تقول . لكنك كنت فى حالة يرثى لها وجديراً بالشفقة ، لذا ذهبت لتناول الغداء معك ، والآن ، ولسوء الحظ فأنت تطاردنى الآن . "

" هذا مؤلم " ثم صمت للحظة ، وقال : " و ... آمل أن تذكرك الزهور بأنى أفكر فيك دائماً . "

فقالت فى حياء : " ربما . "

" إننى أفكر فيك دائماً ، ولا أريدك أن تنسى ذلك أبداً . "

نظرت إلى الزهور ، وقالت فى هدوء : " وأنا كذلك . "

وبعد أن أنهيا المحادثة ، جلست تريسا لدقيقة ، ومدت يدها مرة أخرى نحو البطاقة ، وقرأتها مرة أخرى . ولكن بدلاً من أن تضعها بجانب الزهور هذه المرة ، وضعتها فى حقيبتها . فقد كانت على ثقة من أنه سيقراها أحدهم حينما تكون مشغولة بشىء ما .

" إذن ، كيف يبدو ؟ "

جلست ديانا فى مواجهة تريسا فى المطعم ، وقد أعطت تريسا لـ " ديانا " مجموعة من الصور الفوتوغرافية التى كانت قد التقطتها أثناء الإجازة .

" لا أدرى من أين أبدأ . "

أخذت ديانا تتحدث دون أن تنظر إليها ، وهى تحدد إلى صورها مع جاريت ، وهما يجلسان معاً على الشاطئ .
حيث قالت : " منذ البداية ، فلا أريد أن تفوتنى أى تفاصيل . "

ولأن تريسا كانت قد قصت عليها من قبل عن لقائها بجاريت عند مرفأ السفن ، فبدأت تقص عليها بدءاً من الليلة التى أبحرا فيها معاً ، وأخبرت ديانا كيف نسيت سترتها عن عمد على ظهر السفينة ، وذلك كذريعة لتراه ثانية ، وقد قالت لها ديانا حينئذ :
" رائع ! " ثم قصت لها عن تناولهما الغداء معاً فى اليوم التالى ، وعن تناولهما طعام العشاء أيضاً ، ثم لخصت لها ما دار فى الأيام الأربعة الأخيرة التى أمضاها معاً ، ولم تترك سوى أحداث صغيرة جداً ، وأنصتت ديانا لها فى اهتمام شديد .

قالت ديانا وهى تبتسم كأم فخورة بابنتها : " يبدو وكأنك قد قضيت وقتاً رائعاً . "

" نعم ، لقد كان من أجمل الأسابيع التى قضيتها فى حياتى .. ولكن ... "

" ماذا ؟ "

استغرق الأمر منها دقيقة لتجيب ، ثم قالت : " لقد قال جاريت شيئاً فى النهاية جعلنى أتساءل إلى أين سينتهى بنا الأمر " " ما الذى قاله ؟ "

" إن المشكلة ليست فيما قاله فحسب ، ولكن فى الطريقة نفسها . فلقد بدا وكأنه لم يكن واثقاً من رغبته فى أن نرى بعضنا البعض مرة أخرى . "

" أظن أنك أخبرتنى بأنك ذاهبة إلى ويليمنجتون مرة أخرى فى غضون أسبوعين . "

" هذا صحيح "

قالت " ديانا " : " وأين تكمن المشكلة إذن ؟ "
فتململت فى جلستها ، وهى تحاول أن تستجمع أفكارها ، وقالت : " إنه لا يزال يصارع حبه لـ " كاثرين " و ... ولست متأكدة إذا ما كان سينجح فى ذلك أم لا . "
فضحكت ديانا فجأة .

فسألتها تريسا فى انزعاج : " ما المضحك فى الأمر ؟ "
" أنت يا تريسا ، ماذا تتوقعين منه ؟ إنك تعرفين بالفعل أنه يصارع حبه لـ " كاثرين " قبل أن تذهبى إلى هناك . ألا تذكرين أن حبه " الخالد " هو الذى جذبك إليه فى المقام الأول ؟ هل كنت تعتقدين أنه سيتغلب على حبه لـ " كاثرين " خلال يومين لأنكما كنتما على وفاق ؟ "

بدا الارتباك على تريسا ، وانفجرت ديانا فى الضحك مرة أخرى .

قالت ديانا : " إن ذلك بالضبط هو ما تعتقدينه ، أليس كذلك ؟ "

" ديانا ، إنك لم تكونى معنا ... إنك لا تتخيلين كيف سارت الأمور بيننا حتى الليلة الأخيرة . "

لان صوت ديانا وهى تقول : " تريسا ، أعرف أن هناك جزءاً بداخلك يعتقد أنه باستطاعتك تغيير شخص ما ، ولكن الحقيقة غير

ذلك . باستطاعتك تغيير نفسك ، وجاريت يستطيع أن يغير من ذاته ، ولكن أن تفعل ذلك نيابة عنه ، فذلك مستحيل .
" أعرف ذلك " .

" بل أنت لا تعرفين ، وإذا كنت تعرفين ، فأنت لا تدركين ذلك بالشكل الصحيح . فكما يقولون ، فرؤيتك للأمور لم تعد واضحة " .

أخذت تريسا تفكر للحظات فيما قالته .

سألته " ديانا " : " دعينا ننظر إلى ما حدث مع جاريت بنظرة موضوعية ؟ هل يمكن ذلك ؟ "
فأومت تريسا برأسها بالإيجاب .

" على الرغم من أنك تعرفين بعض الأشياء عن جاريت ، إلا أنه لا يعرف عنك شيئاً على الإطلاق ، ومع هذا ، فهو الذى طلب منك أن تبحرا سوياً ؛ لذا فقد تولد بينكما شيء ما . ثم قمت بمقابلته مرة أخرى ، عندما ذهبت لتحضري سترتك ، فدعاك لتناول الغداء معه ، وحكى لك عن كاثرين ، ثم طلب منك تناول العشاء فى منزله ، ثم أمضيتما سوياً أربعة أيام رائعة جعلتكما تعرفان بعضكما البعض عن قرب ، ويهتم كل منكما بالآخر . ولو قلت لى قبل أن تغادري إن ذلك سوف يحدث ، ما كنت لأصدق على الإطلاق أن ذلك ممكن ، ولكنه حدث بالفعل . والآن تنويان رؤية بعضكما البعض مرة أخرى . إن المسألة تبدو لى وقد نجحت نجاحاً مبهرًا " .

" إذن ، فأنت تقصدين أنه ليس على أن أكون قلقة بشأن تغلبه على حب كاثرين ؟ "

هزت ديانا رأسها قائلة : " ليس هذا ما أقصده بالضبط ، عليك أن تأخذى الأمور تدريجياً . وكونك قضيت بضعة أيام بصحبته ليس

كافياً لأن تأخذى قراراً بشأن مسألة كهذه . فلو كنت مكانك ، لكنت سأختبر مشاعر كلينا خلال الأسبوعين القادمين . وحينما ترينه فى المرة المقبلة ، فستعرفين عنه أشياء أكثر مما تعرفين عنه الآن " .

نظرت تريسا إلى صديقتها فى قلق ، وقالت : " هل تعتقدين ذلك ؟ "

" لقد كنت على حق حينما طلبت منك الذهاب ، أليس كذلك ؟ "

وبينما كانت تريسا وديانا تتناولان طعامهما ، كان جاريت منهما فى فحص كومة كبيرة من الملفات والمراسلات ، وهنا فتح الباب ، ودخل جيب بليك ، وتأكد من أن ابنه يجلس بمفرده قبل أن يغلق الباب خلفه . وبعد أن اتخذ مقعداً فى مواجهة مكتب جاريت ، أخرج بعض التبغ وورق لف من جيبه ، وقام بلف سيجارته .

أشار جاريت نحو كومة الأوراق الموضوعية أمامه ، وقال : " كما ترى ، فليس لدى الكثير من الأعمال " .

ابتسم جيب وهو مستمر فى لف سيجارته ، وقال : " لقد اتصلت بالمركز عدة مرات وأخبرونى بأنك لم تأت طوال الأسبوع ، ماذا كنت تفعل ؟ "

اتكأ جاريت بظهره إلى الورا على المقعد ، وقال : " إننى واثق من أنك تعرف جيداً إجابة سؤالك ، ولهذا السبب أعتقد أنك هنا " .

" هل كنت بصحبة تريسا طوال الوقت ؟ "

" نعم ، كنت بصحبتها " .

سأله جيب بهدوء ، وهو لا يزال يلف سيجارته : " إذن ماذا كنتما تفعلان ؟ "

" لقد أبحرنا سوياً ، وتنزهنا على الشاطئ ، وتحدثنا ... ، وبدأنا نعرف أشياء عن بعضنا البعض . "

انتهى جيب من لف سيجارته ووضعها في فمه ؟ وأخرج من قميصه قداحة ، وقام بإشعال السيجارة . وأخذ منها نفساً عميقاً ، وهو يبتسم له " جاريت " ابتسامة مأكرة .

ثم قال : " هل طهوت لها شرائح اللحم كما علمتك ؟ " ابتسم جاريت وقال : " بالطبع " .

" هل أعجبتها ؟ " " أعجبتها بشدة " .

أوماً جيب برأسه ، وأخذ نفساً آخر من سيجارته ، وشعر جاريت بأن المكتب أصبح خانقاً .

" إذن فهي تتمتع بصفة طيبة على الأقل ، أليس كذلك ؟ " " بل في الواقع إنها تتمتع بأكثر من صفة طيبة يا أباي " .

" إذن ، فقد أعجبتك ؟ " " غاية الإعجاب " .

" ولكنك لا تعرفها جيداً " . " إنني أشعر وكأنني أعرف كل شيء عنها " .

أوماً جيب برأسه ، ولم يتفوه بشيء لدقائق ، ثم سأله أخيراً : " هل سترها مرة أخرى ؟ "

" في الواقع ، إنها ستأتي إلى هنا بصحبة ابنتها ، بعد أسبوعين " .

أخذ " جيب " يراقب التعبيرات المرتسمة على وجه ابنه بعناية ، ثم نهض من مقعده ، واتجه نحو الباب ، وقبل أن يفتحه

استدار ليواجه ابنه قائلاً : " هل بإمكانني أن أسدي لك بعض النصح ؟ "

قال جاريت وقد اندهش من رحيل أبيه المفاجئ : " بالطبع " . فقال له والده : " إذا كانت قد استهوتك ، وجعلتك تشعر بالسعادة ، وتشعر بأنك تعرفها منذ فترة طويلة ، إذن فلا تدعها تضيع منك " .

" لماذا تقول لي ذلك ؟ "

نظر جيب إلى جاريت مباشرة ، وأخذ نفساً عميقاً من سيجارته وقال : " لأنني أعرفك جيداً ، وأعرف أنك من سينهي الأمر ، وأنا هنا لأحاول منعك من ذلك " .

" ما الذي تتحدث عنه ؟ "

قال بهدوء : " أنت تعرف تماماً ما أتحدث عنه " ، ثم استدار واتجه نحو الباب ، وغادر مكتب جاريت دون أن ينبس بكلمة أخرى .

* * *

في تلك الليلة ، لم يستطع جاريت النوم ، وكانت كلمات والده لا تزال تدوي في رأسه . لذا نهض من فراشه ، واتجه نحو المطبخ ، فقد كان يعرف تماماً ما الذي سيقوم به . وعثر في أحد الأدراج على الأدوات التي يستخدمها دائماً ، حينما يكون هناك صراع ما داخل عقله ، وجلس على أمل أن يعبر عن أفكاره في كلمات .

حبيبتي كاثارين ،

لا أعرف ما الذي يجري لي ، ولا أدري إذا ما كنت سأفهمه أم لا ، فلقد مرت بي أشياء كثيرة مؤخراً ، جعلتني لا أستطيع إدراك الحالة التي تعتريني .

جلس جاريت أمام المنضدة فيما يقرب من ساعة بعد كتابة هذين السطرين ، وقد حاول بشدة أن يضيف شيئاً آخر يجول بخاطره ، ولكنه لم يستطع أن يفكر فى شيء آخر ليقوله ، وحينما استيقظ فى الصباح التالى لم تكن كاترين هى أول ما يفكر فيه كما يفعل فى معظم الأيام .
ولكن كانت تريسا هى أول شيء طاف بفكره .

كان جاريت وتريسا طوال الأسبوعين التاليين يتحدثان عبر الهاتف كل ليلة . وكانت مكالمتهما تستغرق ساعات فى بعض الأحيان . وقد أرسل لها جاريت خطابين موجزين - فى حقيقة الأمر - ليخبرها أنه يفتقدها ، كما أرسل لها باقة أخرى من الزهور فى الأسبوع التالى ولكن بجانب صندوق من الحلوى هذه المرة .
لم تكن تريسا تريد أن تبعث له باقة من الزهور أو صندوقاً من الحلوى ، ولكنها أرسلت له بدلاً من ذلك قميصاً أزرق فضفاضاً ، اعتقدت أنه سيبدو جميلاً فوق سرواله الجينز ، وأرسلت معه مجموعة من البطاقات .

وصل كيفن إلى المنزل بعد ذلك بأيام قلائل ، مما جعل الأسبوع التالى يمر سريعاً بالنسبة لـ " تريسا " . وفى أول ليلة له بالمنزل ، تناول كيفن طعام العشاء مع تريسا ، وأخذ يحدثها عن إجازته بتفاصيل دقيقة ، وذلك قبل أن يغط فى نوم عميق استغرق حوالى خمس عشرة ساعة . وعندما استيقظ ، كانت هناك قائمة طويلة بالأشياء التى يحتاجها . فهو بحاجة إلى ملابس جديدة من أجل المدرسة ، فقد ضاقت عليه ملابس العام الماضى - كما أنه كان عليه أن يسجل اسمه فى فريق كرة القدم لفصل الخريف ، وقد استغرق ذلك يوم السبت بأكمله تقريباً ، بالإضافة إلى ذلك ، فقد عاد إلى

المنزل بحقيبة مليئة بالملابس المتسخة التى كانت بحاجة إلى تنظيف ، وأراد أيضاً أن يقوم بتحميض الصور التى كان قد التقطها أثناء الإجازة ، كما كان يجب عليه الذهاب إلى طبيب الأسنان ، ليرى إذا كان بحاجة إلى تقويم .
بمعنى آخر ، لقد عادت الحياة إلى مسارها الطبيعى فى منزل تريسا أوسبورن .

وفى الليلة التالية ، بعد عودة كيفن ، أخبرته تريسا عن إجازتها فى كيب ، ثم رحلتها إلى ويليمنجتون ، وحدثته عن جاريت ، وهى تحاول أن توصل مشاعرها تجاهه دون أن تجعله ينزعج من هذه العلاقة . وعندما أخبرته فى البداية أنهما سيزوران فى الأسبوع المقبل ، لم يبداً كيفن متحمساً ، ولكن بعد أن أخبرته عن طبيعة عمل جاريت بدأ كيفن يظهر بعض الاهتمام .
وسألها وهى تنظف المنزل : " أنت تعنين أن بإمكانه أن يعلمنى الغوص ؟ "

" لقد قال لى إنه على استعداد لتعليمك إذا أردت أنت ذلك " .
قال : " عظيم " ، ثم استأنف ما كان يفعله من قبل .
وبعد انقضاء عدة ليال ، صحبتته تريسا إلى أحد المتاجر لتبتاع له بعض المجلات التى تتحدث عن رياضة الغوص . وعندما حان وقت ذهابهما إلى ويليمنجتون ، كان كيفن على دراية باسم كل قطعة من المعدات التى من الممكن اقتناؤها لرياضة الغوص ، وكان من الواضح أنه يحلم بمغامرته المقبلة .

أما جاريت ، فقد انهمك فى عمله ، وأخذ يعمل حتى وقت متأخر ، وكان يفكر أثناء ذلك فى تريسا ، وكان يؤدى عمله بنفس الطريقة التى كان عليها بعد وفاة كاترين . وعندما أخبر والده كم

يفتقد تريسا أوماً برأسه وابتسم ، وكان هناك شيء في نظرات والده ، جعله يتساءل عما يدور في عقل الرجل العجوز .

وبناء على اتفاق مسبق ، قرر كل من تريسا وجاريت ، أنه من الأفضل ألا تقيم هي وكيفن في منزل جاريت ، ولكن ولأنهم كانوا لا يزالون في فصل الصيف ، فقد كانت كل حجرة في المدينة محجوزة ، ولحسن الحظ ، كان جاريت يعرف مالك فندق صغير يبعد عن الشاطئ الذي يقع فيه منزل جاريت مسافة ميل واحد ، واستطاع أن يقوم بالترتيبات اللازمة لإقامتهم هناك .

وعندما جاء يوم زيارة تريسا وكيفن ، أحضر جاريت بعض المأكولات ، وقام بتنظيف شاحنته من الداخل والخارج ، وأخذ حماماً قبل أن يتجه إلى المطار .

وانتظرهما عند البوابة ، وكان متوتراً بعض الشيء ، وقد ارتدى سروالاً كاكي اللون ، والقميص الفضفاض الذي كانت قد ابتاعته له تريسا .

لقد نمت مشاعره تجاه تريسا خلال الأسبوعين الماضيين ، وأصبح يدرك الآن أن مشاعره تجاهها مشاعر عميقة حقيقية وليست مجرد نزوة . وعندما مد عنقه لأعلى لكي يلمحها بين المسافرين ، شعر ببعض التوتر والقلق ، لقد انقضى وقت طويل منذ أن اعترته هذه المشاعر تجاه أحد - ولكن إلى أين سيؤدي كل ذلك ؟

وعندما خطت تريسا خارج الطائرة وبجانبها كيفن ، اختفى كل التوتر الذي كان يشعر به . لقد كانت جميلة - أكثر مما توقع - أما كيفن فكان مثل الصورة تماماً ، كما كان يشبه أمه كثيراً . وكان أطول من خمس أقدام بقليل ، وله نفس شعر تريسا الداكن ، وكذلك عينيها وبدا أن ذراعيه وقدميه قوية ، وكان يرتدى سروالاً يشبه ملابس المغنين الذين يظهرون في القنوات التليفزيونية ، ولم يمنع

جاريت نفسه من الابتسام بينه وبين نفسه ، فسواء كان في بوسطن أو ويليمنجتون ... لا يهم كثيراً الفرق بينهما أليس كذلك ؟ فالأطفال هم الأطفال في كل مكان .

وعندما لمحت تريسا لوحته له بيدها ، واتجه جاريت نحوهما ومد يده نحو حاملة الحقائب

ولم يكن يعرف إذا ما كان عليه أن يقبلها أمام كيفن أم لا ، وتردد للحظة حتى مالت تريسا نحوه وقبلته في وجنتيه .

ثم قالت بفخر : " جاريت ، أود أن تلتقى بابني كيفن " . قال : " مرحباً يا كيفن " .

قال كيفن في خشونة كما لو كان جاريت معلمه : " مرحباً يا سيد بليك " .

قال جاريت وهو يضافحه : " ناديني بـ " جاريت " " . لم يكن كيفن على ثقة من ذلك ، فحتى ذلك الحين ، لم يكن يستطيع أن يخاطب أي شخص كبير باسمه مجرداً سوى أنيت .

سألها جاريت : " كيف كانت رحلتك ؟ " " جيدة " .

" هل تناولت أي طعام " قالت : " ليس بعد " .

" إذن ما رأيك في أن نتناول وجبة سريعة قبل أن أصطحبكما إلى الفندق ؟ " " هذه فكرة جيدة " .

سأل جاريت كيفن : " هل تفضل مكاناً بعينه ؟ " قال كيفن : " إنني أحب مطعم ماكدونالدز " .

فقالت تريسا بسرعة : " لا يا عزيزي " ، ولكن قاطعها جاريت بإشارة من رأسه .

٢٤٥

ثم قال : " إننى أيضاً أفضل ماكدونالدز " .

قالت تريسا : " أنت واثق من ذلك ؟ "

" بالطبع ، فإننى أتناول طعامى هناك دوماً " .

فسعد كيفن لإجابته ، واتجه ثلاثتهم نحو منطقة تفتيش الأمتعة ، وعندما غادروا البوابات سأله جاريت :

" هل أنت سباح ماهر يا كيفن ؟ "

" إلى حد ما " .

قال : " هل أنت على استعداد لتلقى بعض دروس الغوص هذا

الأسبوع ؟ "

قال وهو يحاول أن يبدو أكبر من سنه : " أعتقد ذلك ، فلقد

قرأت عن هذه الرياضة " .

عظيم ، كنت أتمنى أن تقول ذلك ، وإذا كان الحظ حليفنا ،

فبإمكاننا أن نمنحك شهادة قبل أن تعود إلى مدينتك " .

" ماذا يعنى ذلك ؟ "

" إنها بمثابة رخصة تسمح لك بالغوص وقتما تشاء ، إنها تشبه

رخصة القيادة " .

" وهل بإمكانى ذلك خلال أيام قليلة ؟ "

" بالطبع ، ولكن مطلوب منك أن تخوض امتحاناً تحريرياً ،

وأن تمضى عدة ساعات فى المياه مع المعلم . ولكن لأنك ستكون

طالبى الأوحى خلال هذا الأسبوع - إلا إذا أرادت والدتك أن تتعلم

هى الأخرى - فسيكون لدينا متسع من الوقت ، ويمكنك الحصول

على الشهادة " .

قال كيفن : " عظيم " ، واستدار ناحية والدته : " هل

ستعلمين أنت أيضاً يا أمى ؟ "

" لا أعرف ، ربما " .

" يجب أن تتعلمى هذه الرياضة يا أمى ، فإنها ستكون ممتعة " .

أضاف جاريت بابتسامة مأكرة : " إنه على حق - عليك أن تتعلمى هذه الرياضة أنت أيضاً " قالها وهو يعلم أنها سترضخ لهما فى النهاية .

" حسناً ، سأذهب أنا الأخرى ، ولكننى سأسحب إذا ما رأيت أى سمكة قرش " .

" حسناً ، هل تعنين أنه قد يكون هناك بعض أسماك القرش ؟ "

قال جاريت : " نعم ، قد ترى بعض أسماك القرش ، ولكنها أسماك صغيرة الحجم ، ولا ينزعج منها أحد " .

فسألته تريسا : ما حجمها بالضبط ؟ " وقد تذكرت القصة التى ألقاها جاريت على مسامعها عن القرش الشرس الذى له رأس يشبه المطرقة ، والذى واجهه جاريت .

" إنها بالحجم الصغير الذى لا يجب أن تنزعجى منه " .

قال كيفن : " أنت واثق من ذلك ؟ "

" تمام الثقة " .

أخذ كيفن يردد بينه وبين نفسه : " عظيم " ، وأخذت تريسا تنظر إلى جاريت ، وهى تتساءل إذا كان جاريت يقول الحقيقة أم لا .

وبعد أن أحضروا الحقائب ، وتوقفوا لتناول وجبة سريعة ، قام جاريت باصطحابهما إلى الفندق وبمجرد أن وضعوا أشياءهم

بالداخل ، اتجه جاريت مرة أخرى إلى الشاحنة ، وعاد وفى يده كتاب وبعض الأوراق .

ثم قال : " كيفن ، هذه الأشياء من أجلك " .

سأله كيفن : " ما هذا ؟ "

" إنه الكتاب وبعض الامتحانات التي ستكون بحاجة إلى قراءتها من أجل الحصول على شهادتك . ولا تقلق ، فهي تبدو وكأنها تحتاج لجهد وقراءة كثيرة ولكن هذا ليس صحيحاً . وإذا أردت أن نبدأ في الغد ، عليك قراءة أول فصلين ، وأن تنتهي من الامتحان الأول " .

قال كيفن : " هل يتميز بالصعوبة ؟ "

" لا ، على العكس ، إنه سهل إلى حد كبير ، ولكن عليك أن تقوم بالإجابة عنه ، وبإمكانك استخدام الكتاب للبحث عن الإجابات التي لا تتأكد من صحتها " .

" أتعنى أنه بإمكانني أن أبحث عن الإجابات في الكتاب أثناء أدائي للامتحان ؟ "

أوماً جاريت برأسه بالإيجاب ، وقال : " نعم ، عندما أعطى طلابي هذه الامتحانات ، فيكون عليهم الإجابة عنها بالمنزل . وأنا متأكد أنهم جميعاً يستخدمون الكتاب ، فالشيء الأهم هو أنك تحاول أن تتعلم ما أنت بحاجة لمعرفته ، إن الغوص رياضة ممتعة إلى حد كبير ، ولكنها قد تكون خطيرة ، إذا لم تع وتفهّم ما تفعله " .

ومد جاريت يده بالكتاب إلى كيفن ، وهو يكمل حديثه قائلاً : " إذا ما انتهيت منها حتى الغد - فهي عبارة عن عشرين صفحة بالإضافة إلى الامتحان - فيمكننا التوجه إلى حمام السباحة غداً لإتمام أول جزء في الشهادة ، فسوف تتعلم كيف ترتدى أجهزتك . ثم بعد ذلك نأخذ فترة تدريب " .

سأله كيفن : " ألن نذهب إلى المحيط ؟ "

قال جاريت : " ليس غداً ، فيجب أن تقضى بعض الوقت أولاً حتى تعتاد على استخدام الأجهزة . وبعد قضاء بضع ساعات في ذلك ، سنكون على استعداد . وبإمكاننا أن نغوص في المحيط يوم الاثنين أو الثلاثاء ، وذلك كأول ممارسة للغوص في المياه المفتوحة ، وإذا قضيت ساعات كافية في المياه ، فيمكنك الحصول على شهادة مؤقتة قبل أن تستقل الطائرة إلى مدينتك . ثم كل ما يكون عليك بعد ذلك أن ترسل طلباً بالبريد للحصول على الشهادة الفعلية ، فستصلك بعد ذلك في غضون أسبوعين " .

أخذ كيفن يقلب صفحات الكتاب ، وقال : " هل سيكون على أمي اجتياز ذلك أيضاً ؟ "

" إذا أرادت أن تحصل على شهادة ، فيجب عليها ذلك " .
اتجهت تريسا نحو كيفن ، وأخذت تنظر من فوق كتفيه وهو يلقي نظرة على الكتاب ، ولم تبد هناك أي صعوبة في المعلومات .
ثم قالت : " كيفن ، بإمكاننا أن نؤدى الامتحان معاً صباح الغد ، وذلك إذا كنت متعباً الآن " .

فقال كيفن بسرعة : " أنا لست متعباً " .
فقالت : " هل تمنع إذا ما تحدثت أنا و جاريت في البهو لفترة " .

فقال دون وعى ، وهو يقلب الصفحة الأولى بالفعل : " لا ، على الإطلاق " .

وبالخارج ، جلس كل من جاريت وتريسا في مواجهة الآخر ، واستدارت تريسا للوراء لتتنظر نحو ابنها ، فرأته لا يزال منهكاً في القراءة .

ثم قالت : " إنك لا تتجاهل أي قوانين من أجل الحصول على الشهادة بسرعة ، أليس كذلك ؟ "

هز جاريت رأسه وقال : " لا ، لم يحدث ذلك بالطبع . فكل ما يحتاجه من أجل الحصول على شهادة الغوص من الدرجة الأولى هو اجتياز بعض الاختبارات ، وقضاء ساعات محددة فى المياه بصحبة المعلم - هذا كل ما فى الأمر . ونحن نمنحها خلال ثلاثة أو أربعة أسابيع ، ولكن ذلك بسبب عدم وجود وقت متاح بالنسبة لمعظم الأشخاص خلال الأسبوع . لذا فهو سيتلقى نفس عدد الساعات خلال أسبوع واحد بأكمله - أى دورة مكثفة " .
" إننى بحق أقدر مجهوداتك " .

" لا تنس أن ذلك جزء من عملى " ، وبعد أن تأكد من أن كيفن لا يزل منهمكاً فى القراءة ، اقترب منها أكثر ، وقال : " لقد افتقدت طول الأسبوعين الماضيين " ، واحتضن يدها براحتيه .
" لقد افتقدت أنا أيضاً " .

أضاف قائلاً : " إنك تبدين رائعة ، لقد كنت أجمل امرأة غادرت الطائرة " .
احمرت وجنتاها خجلاً .

ثم قالت : " أشكرك وأنت تبدو فى غاية الوسامة - وبخاصة وأنت ترتدى هذا القميص " .
" لقد اعتقدت أنه سيعجبك " .

" هل تشعر بالضيق لأننا لا نقيم فى منزلك ؟ " .
" لا ، ليس الأمر كذلك فى الواقع . إننى أتفهم الأمر جيداً . فـ " كيفن " لا يعرفنى ، وأنا فضلت أن تقترب من بعضنا البعض ، وأجعله يشعر بالثقة والراحة تجاهى بدلاً من فرض ذلك عليه ، وكما قلت ، لقد مر به الكثير " .

" هل تعلم أن ذلك يعنى أننا لا نستطيع قضاء وقت كاف بمفردنا هذا الأسبوع ، أليس كذلك ؟ " .

" سنحاول أن نقضى سوياً أكثر وقت ممكن " .
ونظرت تريساً إلى الداخل مرة أخرى ، فرأت أن كيفن لا يزال منهمكاً فى قراءة الكتاب ، فاقتربت أكثر من جاريت ، وكان يعتربها شعور بالسعادة وهى بجانبه ، وقد كان جلوسها بالقرب منه والطريقة التى يرنو بها نحوها قد جعلت ضربات قلبها تزداد .
ثم قالت : " كنت أتمنى ألا نعيش هكذا متفرقين ، لقد أصبحت لا أستطيع الاستغناء عنك " .
قال لها : " سأعتبر ذلك مجاملة " .

همست له قائلة : " أتمنى أن نبقى معاً إلى الأبد " .
قال لها : " وأنا أيضاً " .

" هل من الصعب عليك أن تودعنى كما هو الحال بالنسبة لى ؟ " .
" بل هو أصعب شئ ، بالنسبة لى الآن ، فأنا سأذهب إلى منزلى الخاوى الموحش " .

" لا تقل ذلك ، إنك تجعلنى أشعر بالذنب " .
" هذا شئ جيد ، فهو دليل على أنك تهتمين بأمرى " .
" إننى بالطبع أهتم بك ، وإلا لما جئت إلى هنا " .
" على أن أذهب الآن " ، وكان يبدو عليه أنه لا يرغب فى ذلك على الإطلاق .

" أعلم ذلك " .
فقال بابتسامة صبيانية : " ولكنى لا أرغب فى الذهاب " .
" أعلم ما تعنيه ، ولكن عليك الذهاب الآن ، فسوف تلقى علينا دروساً فى الغوص غداً .. ، ولكن أسد لى معروفاً " .
قال : " اطلبى ما تشائين " .

" أريدك أن تحلم بي ، اتفقنا ؟ "

استيقظ كيفن مبكراً فى اليوم التالى ، وقام بإزاحة الستائر ، وجعل ضوء الشمس يغمر الحجرة . لم تستطع تريسا أن تفتح عينيها ، وحاولت أن تأخذ قسطاً أكبر من الراحة ، ولكن كيفن كان يلح عليها بشدة أن تستيقظ ، وقال فى إثارة : " أمى ، عليك أن تقومى باجتياز الاختبار قبل أن نذهب . "

فتأوهت تريسا ، واستدارت لتعرف الوقت ، فوجدته قد جاوز السادسة بقليل ، فهى لم تنم سوى خمس ساعات فقط أو أقل . قالت وهى تغمض عينيها مرة أخرى : " اتركنى ليضع دقائق أخرى يا عزيزى . "

قال وهو يجلس بجوارها على الفراش ، ولكز كتفيها برفق : " ليس لدينا وقت يا أمى ، وأنت لم تقومى بقراءة القسم الأول بعد . "

قالت له : " هل انتهيت منه الليلة الماضية ؟ "

" نعم ، إن الاختبار هناك : ولكن أرجوك ألا تقومى بنقل إجاباتى إلى امتحانك ، فأنا لا أريد أن أواجه أى مشاكل . " فضحكت وقالت : " لن تواجه أى مشاكل ، فالمعلم نفسه صديق لنا . "

" ولكن ذلك ليس عدلاً ، وكما قال السيد بليك أقصد جاريت ، يجب أن تكونى على دراية بهذه المعلومات ، وإلا فقد تقعين فى بعض المشاكل . "

قالت وهى تجلس بتكاسل ، وتفرك عينيها : " هل لديهم هنا قهوة سريعة ؟ "

" لا أعرف ، فأنا لم أر بعضاً منها هنا ، سوف أنزل إلى الردهة ، وأحضر لك مياها غازية . "

" إن النقود فى الحقيبة . "

قفز كيفن من مكانه ، وبدأ يعبث فى حقيبتها ، وبعد أن عثر على النقود ، غادر الباب الأمامى ، وكان شعره أشعث من أثر النوم ، وكانت تسمع وقع خطواته ، وهو يهرع ناحية الردهة . وبعد أن نهضت ، وأخذت تمد ذراعيها فوق رأسها ، اتجهت نحو المائدة الصغيرة ثم أمسكت بالكتاب ، وبدأت فى قراءة الفصل الأول . عندما عاد كيفن وفى يده زجاجتان من المياها الغازية قال وهو يضع إحدى الزجاجتين على المائدة : " ها هى ، سأذهب لأستحم وأستعد ، أين وضعت لباس البحر ؟ "

أخذت تريسا تحدث نفسها قائلة : " آه ، إنها طاقة الطفولة التى لا تنضب . " ثم قالت له : " ستجده فى الدرج العلوى ، بجانب جواربك . "

قال وهو يفتح الدرج : " لقد وجدته " ، ثم اتجه نحو الحمام ، واستمعت تريسا لصوت المياها وهى تتدفق ، ثم فتحت زجاجة المياها الغازية ، وعادت مرة أخرى لتقرأ فى الكتاب .

ولحسن الحظ ، كان جاريت على حق حينما أخبرها أن المعلومات بسيطة وسهلة ، وكان من السهل قراءتها مع الصور التى تصف المعدات . وعندما انتهى كيفن من ارتداء ملابسه ، كانت قد فرغت من القراءة . وعندما عثرت على الاختبار الخاص بها ، وضعت أمامها ، واتجه كيفن ناحيتها ، ووقف خلفها وهى تنظر إلى السؤال الأول ، وأخذت تتذكر أين قرأت المعلومات الخاصة به ، وبدأت تقلب صفحات الكتاب ، حتى تعثر على الصفحة المناسبة .

قال لها : " أماه ، إنه سؤال سهل ، فلست بحاجة إلى الكتاب " .

فأخذت تهمهم في سخط وهي لا يعتربها أى شعور بالذنب :
" عندما أستيقظ فى السادسة صباحاً ، أكون بحاجة لكل مساعدة ممكنة ، ثم إن جاريت ذكر أنه يمكننا استخدام الكتاب ، أليس كذلك ؟ "

استمر كيفن فى النظر من خلفها ، وهي تقوم بالإجابة عن أول سؤالين ، وأخذ يعقب قائلاً : " لا ، إنك تبحثن فى المكان الخطأ " أو يقول : " هل أنت واثقة من أنك قرأت جميع الفصول ؟ " واستمر الحال هكذا حتى طلبت منه أن يذهب لمشاهدة التلفاز . فقال وهو معترض : " لا يوجد شيء يستحق المشاهدة " .

" إذن ، قم بقراءة أى موضوع " .
قال لها : " لكننى لم أحضر معى أى كتاب " .

" إذن اجلس فى هدوء " .
" إننى كذلك بالفعل " .

" كلا ، إنك لا تجلس فى هدوء ، بل إنك تقف فوق كتفى " .
" إننى أحاول المساعدة فحسب " .

" عليك الجلوس فى الفراش ؟ اتفقنا ؟ ، ولا تنبس بينت شفة " .

" إننى لا أقول شيئاً بالفعل " .
" ها أنت تتحدث ثانية " .

" هذا لأنك تحدثيننى " .
" ألن تتركنى أقوم بالإجابة عن الاختبار فى هدوء ؟ "

" حسناً ، لن أتفوه بكلمة أخرى ، فسوف أكون هادئاً كالتمثال " .

وظل هكذا بالفعل - لدقيقتين فقط ، ثم أخذ يصفر ، فوضعت تريسا القلم ، واستدارت لمواجهته قائلة : " لماذا تصفر ؟ "

" أشعر بالملل " .
" إذن شاهد التلفاز " .
" لا يوجد به شيء " .

واستمر الحال هكذا ، حتى انتهت من الإجابة . واستغرق منها الأمر ما يقرب من ساعة لتفعل شيئاً ، كان باستطاعتها أن تؤديه بمكتبها فى نصف ساعة فقط . ثم نهضت بعد ذلك لتأخذ حماماً طويلاً ، دافئاً . ثم ارتدت ملابسها وارتدت لباس البحر أسفلها . وكان كيفن يتضور جوعاً ويرغب فى الذهاب إلى ماكدونالدز مرة ثانية . ولكن تريسا اقترحت أن يتناولوا طعام الإفطار فى مطعم وافل هاوس .

قال لها : " ولكننى لا أحب الطعام الذى يقدمونه " .
" إنك لم تتناول هناك أى طعام من قبل " .

" أعلم ذلك " .
" كيف تعلم إذن أن الطعام لا يعجبك ؟ "

" إننى أعرف فحسب " .
" هل أنت عالم بباطن الأمور ؟ "

" ماذا يعنى ذلك ؟ "

" يعنى أيها الرجل الصغير ، أننا سنذهب لتناول الطعام فى المكان الذى أرغب فيه ولو مرة واحدة " .
" أحقاً يعنى ذلك ؟ "

قالت وهي تتطلع إلى تناول القهوة بشدة أكثر من أى وقت مضى : " نعم " .

قرع جاريت الباب الأمامي لغرفتهما في الفندق في حوالى التاسعة ، وهرع كيفن نحو الباب .

سأله جاريت : " هل أنت مستعد ؟ "

فأجابه كيفن بسرعة : " بالطبع ، وها هو اختبارى هناك . دعنى أحضره لك " .

وقفز نحو المائدة ونهضت تريسا من الفراش ، وقامت بتحيةة جاريت .

سألها : " كيف كان صباحك ؟ "

" كالظهيرة تماماً ، فلقد أيقظنى كيفن عند الفجر ؛ لأجيب عن الاختبار " .

فابتسم جاريت ، وعاد كيفن والاختبار في يده .

ثم قال : " ها هو الاختبار يا سيد بليك ، أعنى جاريت " .

فأخذه جاريت وبدأ ينظر خلال الإجابات .

واستطرد كيفن قائلاً : " لقد وجدت أمى صعوبة في الإجابة عن

سؤالين ، ولكنى قمت بمعاونتها " ، نظرت تريسا نحوه فقال :

" هل أنت مستعدة للذهاب يا أمى ؟ "

قالت وهى تلتقط مفاتيح الغرفة وحقيبة يدها : " طالما أنك

مستعد " .

قال كيفن وهو يقود الطريق عبر الردهة ، ناحية شاحنة

جاريت : " إذن ، هيا بنا " .

أخذ جاريت يعلمهما أسس رياضة الغوص ، وذلك طيلة فترة

الصباح والظهيرة . فتعلما كيف تعمل المعدات ، وكيف يقومان

بتجهيزها واختبارها ، ثم تعلما في النهاية كيفية التنفس خلال

الأنبوبة التى توضع فى الفم ، أولاً فى جانب الحمام ، ثم أسفل

المياه ، وأخذ جاريت يشرح لهما قائلاً : " إن أهم شىء عليكما أن

تتذكراه دائماً هو التنفس بشكل طبيعى ، فلا تحبسا أنفاسكما ، ولا

تتنفسا بسرعة أو ببطء ، بل عليكما التنفس بشكل طبيعى " . لم

يكن الأمر سهلاً بالنسبة لـ " تريسا " على الإطلاق ، فقد وجدت

صعوبة فى ذلك أكثر من كيفن . أما كيفن الذى يحب المغامرة

دائماً ، فكان يعتقد أنه سيعرف كل شىء عن الغوص خلال دقائق

قليلة من بقاءه تحت المياه .

قال لـ " جاريت " : " إنه شىء بسيط جداً ، أعتقد أننى

سأكون على استعداد للغوص فى مياه المحيط عند الظهر " .

قال له جاريت : " أعتقد أنه بإمكانك أن تفعل ذلك ، ولكن

علينا تعلم الدروس بالترتيب الصحيح " .

" وما رأيك فى أداء أمى ؟ "

" جيد " .

" مثلى " .

" أنتما الاثنان تبليان بلاء حسناً " ، فوضع كيفن الأنبوبة فى

فمه مرة أخرى ، وغاص فى المياه ، فى نفس الوقت الذى ظهرت

فيه تريسا على السطح ، ونزعت الأنبوبة من فمها .

ثم قالت : " يبدو الأمر ممتعاً حينما أتنفس تحت المياه " .

" إنك تؤدين أداء جيداً ، ولكن عليك بالاسترخاء والتنفس

بصورة طبيعية " .

" هذا ما قلته فى المرة السابقة حينما كنت أجد صعوبة فى

التنفس من خلال الأنبوبة " .

" إن القواعد لم تتغير فى الدقائق القليلة السابقة يا تريسا " .

" أعلم ذلك ، ولكنى أتساءل فحسب إذا كان هناك أى عطب

فى الخزان " .

" لا ، إنه على ما يرام ، فلقد قمت بفحصه مرتين هذا الصباح " .

" لكن لست أنت الذى تستخدمه ، أليس كذلك ؟ "

" هل تريدنى أن أقوم بتجربته ؟ "

فغمغمت وهى تغلق عينيها فى إحباط ، " لا ، سأتعامل معه " وغاصت أسفل المياه مرة أخرى .

ظهر كيفن على السطح مرة أخرى ، ونزع الأنبوبة وقال : " هل أمى على ما يرام ؟ لقد شاهدتها وهى تطفو على السطح " .

" إنها بخير ، إنها تعتاد على الغوص ، مثلك تماماً " .

" عظيم ، سأشعر بالاستياء إذا لم تحصل أمى على الشهادة مثلى " .

" لا تقلق بشأن ذلك ، استمر فقط فى التدريب والممارسة " .

" حسناً " .

وهكذا جرت الأمور .

وبعد انقضاء ساعتين فى المياه ، شعر كل من تريسا وكيفن بالتعب ، وتناولوا طعام الغداء سوياً ، ومرة أخرى أخذ جاريت يقص عليهما بعض قصص الغوص ، ولكن من أجل كيفن هذه المرة . وألقى كيفن مئات الأسئلة ، وأجاب جاريت عن كل سؤال برحابة صدر ، وشعرت تريسا بالراحة لاقترابهما من بعضهما البعض .

وبعد أن مروا جميعاً بالفندق ليحضروا الكتاب ، والدروس من أجل اليوم التالى ، اصطحبهما جاريت إلى منزله ، وعلى الرغم من أن كيفن كان قد اعتزم على قراءة الفصول التالية فور وصولهما إلى منزل جاريت ، إلا أن كون منزل جاريت يطل على الشاطئ ، غير كل شيء ، فطلب من أمه قائلاً وهو يقف فى حجرة المعيشة ، وينظر نحو المحيط : " هل يمكننى أن أسبح فى المياه يا أمى ؟ "

قالت فى هدوء : " لا أعتقد ذلك ، فلقد قضينا طيلة اليوم فى المياه " .

" أمى ... أرجوك ؟ ليس عليك مرافقتى - بل يمكنك أن تراقبىنى من خلال الجسر " .

بدا عليها التردد للحظات - وعلم كيفن أنه قد أقنعها ، وقال مرة أخرى وهو يمنحها ابتسامة صادقة مليئة بالرجاء : " أرجوك يا أمى " .

قالت له : " حسناً ، يمكنك الذهاب ، ولكن لا تبتعد كثيراً ، اتفقنا ؟ "

قال فى فرحة : " لا ، لن أغوص بعيداً فى المياه ، أعدك يا أمى " . وبعض أن أمسك بالمنشفة التى أعطاها إياها جاريت ، هرع نحو المياه ، وجلس كل من جاريت وتريسا فوق الجسر الخشبي ، وأخذا يشاهدان كيفن وهو يتقافز فى المياه .

قال جاريت فى هدوء : " إنه رجل صغير " .

" نعم ، إنه كذلك ، وأعتقد أنك تروق له كثيراً . فقد قال إنك شخص لطيف حينما ذهبت إلى دورة المياه " .

ابتسم جاريت قائلاً : " إننى سعيد لذلك ، فأنا أيضاً أحبه كثيراً ، إنه من أفضل الطلاب الذين قمت بتعليمهم " .

" إنك تقول ذلك من أجل إرضائى " .

" لا ، هذا ليس صحيحاً ، إنه كذلك بالفعل . فلقد التقيت بالعديد من الأطفال فى فصولى ، ولكن كيفن يعد ناضجاً ومتحدثاً لبقاً بأسلوب يفوق عمره الحقيقى . كما أنه لطيف أيضاً . فإنى أجد الكثير من الأطفال ، وقد أفسدهم التدليل ، ولكنى لم أشعر أبداً بذلك مع كيفن .

" أشكرك " .

فسألته تريسا : " هل أنت واثق من ذلك ؟ " ولكن كان كيفن قد بدأ يمشى بالفعل بخطوات متثاقلة نحو غرفة النوم ، وسمعا صوت صرير الفراش أثناء سقوط كيفن عليه ، وتبعاه واختلسا النظر من خلال الباب ، ولكنه كان قد غلبه النوم مرة أخرى فى أقل من دقيقة .

فهمس لها جاريت : " إنه لم يترك لك أى خيار " .
قالت : " إننى لا أعرف إذا ما كانت تلك فكرة جيدة " .
" أعدك أن أكون مهذباً " .
" إننى لا أشعر بالقلق نحوك ، لكننى لا أرغب فى أن يأخذ كيفن انطباعاً سيئاً " .
" أتعنين أنك لا ترغبين فى أن يعرف أننا نهتم ببعضنا البعض ؟ أعتقد أنه يدرك ذلك بالفعل " .
" أنت تدرك جيداً ما أعنيه " .
" نعم ، أدركه . أنصتى إلى ، يمكننى مساعدتك إذا أردت أن أحمله إلى الشاحنة . سيكون ذلك من دواعى سرورى " .
فأخذت تحدد إلى كيفن لدقيقة ، وهى تستمع لصوت أنفاسه العميقة ، حيث كان مستغرقاً فى نوم عميق .
فتراجعت قائلة : " حسناً ، لا ضير من المكوث ليلة واحدة " .
" كنت آمل أن تقولى هذا " .
" لا تنس وعدك بأن تكون مهذباً " .
" لا تقلقى " .
" تبدو واثقاً من ذلك " .
" وعد الحر دين عليه " .

" إننى أعنى ما أقوله بالفعل يا تريسا ، فبعد أن علمت بمدى قلقك ، وعرفت كيفن ، أستطيع أن أقول لك إنه طفل رائع . فلقد أبليت بلاء حسناً ، وأديت عملاً عظيماً فى تنشئته " .
فقالت فى عذوبة ورقة : " إن ما تقوله يعنى الكثير بالنسبة لى ، فلقد التقيت برجال كثيرين كانوا لا يودون التحدث عنه ، إنك الوحيد الذى أمضيت وقتاً معه " .
" لقد خسروا الكثير بعدم لقائه " .
فابتسمت قائلة : " كيف بإمكانك أن تنتقى الكلام الذى يجعلنى أشعر بالسعادة ؟ " .
" ربما لأنك دائماً تبرزين أفضل ما لدى " .
" ربما تكون محقاً " .

وفى تلك الأمسية ، اصطحب جاريت كيفن إلى نادى الفيديو ، وذلك لإحضار فيلمين كان يرغب فى مشاهدتهما . ثم قام بطلب البيتزا لثلاثتهم ، ثم بعد ذلك شاهدوا الفيلم الأول سوياً وهم يأكلون فى غرفة المعيشة . وبعد العشاء ، بدأ النعاس يغلب على كيفن ، وفى التاسعة كان قد غلبه النوم تماماً وهو يشاهد التلفزيون ، فوكزته تريسا برقة ، وأخبرته أنه قد حان وقت الذهاب .
فغمغم ولم يكن قد أفاق تماماً من النوم : " ألا يمكننا أن نقضى الليلة هنا يا أمى ؟ " .
فقالت بهدوء : " أعتقد أنه علينا الذهاب " .
قال جاريت : " بإمكانكما النوم فى فراشى ، فسأظل هنا وأنام على الأريكة " .
قال كيفن : " دعينا نقضى الليلة هنا يا أمى ، فأنا أشعر بالتعب " .

وبدلاً من مشاهدة الفيلم الثاني ، جلس كل من جاريت وتريسا على الأريكة وهما يتناولان عصير الفواكه ، ويتجاذبان أطراف الحديث . اطمأنت تريسا على كيفن مرتين ، وتأكدت من أنه لا يزال يغط في النوم ، فبدأ وكأنه لم يتحرك على الإطلاق .

وعند منتصف الليل ، أخذت تريسا تتشاءب ، فاقترح جاريت أن تأخذ قسطاً من النوم .

فأخذت تتذمر والنعاس يغالبها ، وتقول : " ولكنى قد جئت إلى هنا لأراك " .

" ولكنك إذا لم تحصلى على القدر الكاف من النوم ، فلن تتمكنى من رؤيتى بوضوح " .

فقالت وهى تتشاءب مرة أخرى : " إننى على ما يرام " ، فنهض جاريت ، واتجه نحو الخزانة ، وأخرج ملاءة ووسادة ، ووضعهما فوق الأريكة وقال :

" إننى مصر على أن تأخذى قسطاً من النوم ، فلا زال لدينا عدة أيام ، يمكننا خلالها رؤية بعضنا البعض " .

" أنت واثق من ذلك ؟ "

" جداً " .

فقامت بمساعدته فى إعداد الأريكة ، ثم اتجهت بعد ذلك إلى غرفة النوم ، فقال : " إذا رغبت فى إبدال ملابسك ، فهناك بعض القمصان الواسعة فى الدرج الثانى "

فقالت له : " أشكرك ، لقد أمضيت وقتاً رائعاً اليوم " .

" وأنا أيضاً " .

" إننى آسفة لكونى أشعر بالتعب " .

" لقد بذلت مجهوداً كبيراً اليوم ، وهذا واضح تماماً " .

وحيا كلاهما الآخر تحية المساء ، ثم خلدا إلى النوم .

وفى الصباح التالى ، قام كل من كيفن وتريسا بحل بعض التدريبات معاً بينما ذهب جاريت لإحضار بعض الفطائر الطازجة من أجل الإفطار . ثم اتجهوا مرة ثانية إلى حمام السباحة ، وكانت الدروس أكثر تقدماً وتعقيداً هذه المرة ، فقد كانت تتناول عدداً من المهارات ، ومارس كل من كيفن وتريسا التنفس المشترك ، وذلك فى حالة إذا ما استنفد أحدهما الهواء تحت المياه ، وكان على أحدهما مشاركة الآخر فى خزان واحد ، وحذرهما جاريت من مخاطر الشعور بالهلع أو الخوف أو السرعة فى الوصول إلى سطح المياه قائلاً : " إذا فعلتما ذلك ، فسوف تعانيان من حالة تسمى " ألم المفاصل " ، وذلك ليس مؤلماً فقط ، وإنما قد يكون فيه خطر على حياتكما " .

ثم قضيا بعض الوقت أيضاً فى الجانب العميق من حمام السباحة ، وهما يغوصان أسفل المياه لفترات طويلة ، وذلك حتى يعتادا على استخدام المعدات جيداً . وفى نهاية الدرس ، قام جاريت بتعريفهما كيفية القفز إلى جانب الحمام دون أن يكون عليه نزع أقنعتهم . وبالطبع ، شعر كل منهما بالتعب بعد انقضاء ساعات قليلة فى المياه .

سأله كيفن وهما يتجهان نحو الشاحنة : " هل سنذهب إلى المحيط غداً ؟ "

" إذا رغبت فى ذلك ، وأنا أعتقد أنك قد أصبحت مستعداً لذلك بالفعل ، ولكن يمكننا قضاء وقت آخر فى حمام السباحة إذا رغبت فى ذلك " .

" كلا ، إننى على أتم استعداد " .

" هل أنت على ثقة من ذلك ؟ فلا أريدك أن تستعجل الأمور " .

السحب ، وقد تناولا الشطائر والسلطة في أول لقاء جمعتهما سوياً ، أما في هذه المرة فقد كانت هناك مجموعة من أسماك الدولفين التي كانت تلعب بنشاط ومرح حول السفينة ، وهم يتناولون طعامهم .

حينما وصلوا إلى مرفأ السفن ، كان الوقت متأخراً . وبعد أن قام جاريت بتعليم كيفن كيفية إغلاق السفينة لحمايتها من أى عاصفة متوقعة ، اصطحبهما إلى الفندق مرة أخرى . ولأنهم كانوا يشعرون بالتعب والإرهاق الشديد ، فقد ودع كل من جاريت وتريسا بعضهما البعض بسرعة وكان كل من تريسا وكيفن يغطان فى نوم عميق عندما وصل جاريت إلى منزله .

وفى اليوم التالى ، اصطحبهما جاريت إلى المحيط ليلقى عليهما أول درس من دروس الغوص . وبعد أن زال الخوف والتوتر الذى صاحبهما فى البداية ، أخذتا يستمتعان بالغوص ، حتى إنهما قد استهلكتا خزانين خلال درس الظهرية . وبفضل الطقس الهادئ ، كانت المياه صافية ، والرؤية ممتازة . والتقط جاريت بعض الصور لهما وهما يستكشfan إحدى السفن المحطمة فى المياه الضحلة على ساحل نورث كارولينا . وقد وعدهما جاريت بأن يقوم بتحريض الصور هذا الأسبوع ، وإرسالها إليهما فى أسرع وقت ممكن .

ثم قضاوا المساء فى منزل جاريت مرة أخرى ، وبعد أن أوى كيفن إلى الفراش ، جلس كل من جاريت وتريسا على الجسر الخشبي يعانقهما الهواء الدافئ الرطب .

وبعد أن تحدثا عن دروس الغوص ، صمتت تريسا للحظة ، ثم قالت أخيراً والحزن يملأ صوتها : " إننى لا أستطيع أن أصدق أننا سنغادر ليلة غد ، لقد مر آخر يومين بسرعة شديدة ، ولم أشعر بهما على الإطلاق " .

فقال بسرعة : " إننى واثق من ذلك تمام الثقة " .
" وماذا عنك يا تريسا ، هل أنت مستعدة للغوص فى المحيط ؟ "

" إننى مستعدة طالما كان كيفن على استعداد " .
فسأله كيفن : " هل سأحصل على الشهادة يوم الثلاثاء ؟ "
" إذا أبلتتما بلاء حسناً فى المحيط ، فسوف تحصلان عليها " .
رائع " .

سألته تريسا : " وكيف سنقضى بقية اليوم ؟ "
بدأ جاريت فى وضع الخزانات على ظهر الشاحنة ، وقال :
" أعتقد أنه يمكننا الإبحار فيبدو أن الطقس جيد اليوم " .
سأله كيفن باهتمام : " هل يمكننى تعلم ذلك أيضاً ؟ "
" بالطبع ، سأجعلك مساعدى الأول " .
" هل ذلك يحتاج أيضاً إلى شهادة ؟ "
" لا ، فهذا راجع إلى القبطان ، وحيث إننى أنا القبطان ،
فبإمكانى أن أفعل ذلك الآن " .
قال كيفن : " هكذا ببساطة ؟ "
قال جاريت : هكذا ببساطة " .

نظر كيفن إلى تريسا بعينين مفتوحتين عن آخرهما ، وكانت تكاد تقرأ أفكاره ، لقد تعلمت الغوص أولاً ، ثم سأصبح مساعداً بحرياً ، إننى لا أطيق الانتظار حتى أخبر أصدقائى .

كان جاريت دقيقاً فى التنبؤ بالطقس المثالى ، وقضى ثلاثتهم وقتاً رائعاً فى المياه ، وأخذ جاريت يعلم كيفن قواعد وأسس الإبحار ، بدءاً من كيفية سير المركب بناء على اتجاه الرياح واتجاه

" لأننا كنا دوماً منشغلين بأشياء كثيرة " .

فابتسمت قائلة : " أتعرف ماذا تكون عليه حياتي في بوسطن ؟ "

" حياة سريعة ؟ "

فأومأت برأسها بالإيجاب ، وقالت : " تماماً ، إن كيفن هو أفضل شيء حدث لي في حياتي . ولكنه في بعض الأحيان يجهدني ، فهو دائماً مشغول في عمل أى شيء " .

" ولكنك لا تريدونه أن يتغير على الرغم من ذلك ، أعني أنك لا ترغبين في أن يكون لديك طفل يدمن مشاهدة التلفاز ، أو يجلس في غرفته طوال النهار ليستمتع إلى الموسيقى ، أليس كذلك ؟ "

" بلى " .

" إذن ، فهي نعمة من الله ، وعليك شكره . إنه طفل رائع ، لقد استمتعت بقضاء الوقت في صحبته " .

" إنني سعيدة لذلك ، إنه يعترية نفس الشعور " ، وتوقفت للحظات ، ثم قالت : " ولكن أتعلم على الرغم من أننا لم نمض وقتاً كثيراً بمفردنا في هذه الرحلة ، إلا أنه بدا لي ، وكأنني أعرفك أفضل بكثير من أول مرة جئت فيها إلى هنا " .

" ماذا تعنين بذلك ؟ إنني نفس الشخص الذي التقيت به المرة السابقة " .

فابتسمت قائلة : " إنك هو ، ولست هو . فحينما كنت هنا في المرة السابقة ، كنت بمفردى في صحبتك ، وكلانا كان يعلم أنه من السهل أن يكرس كل منا نفسه للآخر ، ولكن في هذه المرة كان كيفن بصحبتى ، وكان معنا طوال الوقت . ولكنك على الرغم من ذلك تعاملت مع الأمور بشكل رائع ، أكثر مما كنت أتخيله " .

" أشكرك على ذلك ، ولكن الأمر لم يكن بهذه الصعوبة . وطالما أنك بجوارى ، يمكننى أن أفعل أى شيء . فكل ما يهمنى أن أمضى الوقت في صحبتك مهما كان ما نفعله " .

وجذبها نحوه ، ولف ذراعه حولها ، فأراحت رأسها على كتفه ، واستمعا لصوت تلاطم الأمواج وهي تقترب من الشاطئ .

ثم سألتها : " هل ستمضين الليلة هنا مرة ثانية ؟ "

" سأفكر في الأمر ملياً " .

" هل تريدني أن أكون سيداً مهذباً مرة أخرى ؟ "

" ربما نعم ، وربما لا " .

فرفع حاجبيه وقال : " هل تغالينني ؟ "

فردت : " إننى أحاول " ، فضحك .

ثم قالت : " أتعلم يا جاريت ، أنني أشعر بالراحة معك " .

" راحة ؟ تجعليني أشعر من كلامك وكأنني أريكة " .

" إننى لا أعني ذلك ، فأنا أعني أنني أشعر بالطمأنينة والرضا حينما نكون سوياً " .

" وأنا أشعر نحوك بذلك إلى حد ما " .

" إلى حد ما ، أهذا كل ما في الأمر ؟ "

فهز رأسه قائلاً : " لا ، ليس هذا كل ما في الأمر " وبدا وكأنه يشعر بالخجل للحظة ، ثم قال : " بعد أن غادرت في المرة السابقة ، جاء أبى إلى هنا ، وأوصانى بأشياء " .

" ماذا قال لك ؟ "

" لقد قال إنه إذا كنت قد شعرت بالسعادة في صحبتك ، على ألا أضيعك من بين يدي " .

" وماذا تنوى أن تفعل من أجل ذلك ؟ "

" يجب أن أخلب لبك بشخصيتي الآسرة " .

" لقد قمت بذلك بالفعل " .

ونظر إليها ، ثم مد بصره عبر المياه ، وبعد دقيقة تحدث قائلاً
بهدهوء : " إذن ، على أن أخبرك بأني أحبك " .
أحبك .

كانت النجوم تتلألأ في السماء المظلمة ، والسحب تشق الأفق
وهي تعكس ضوء القمر المنير
استمعت تريسا والكلمة تتردد في رأسها .
أحبك

لا يوجد تناقض أو شك فيما قاله هذه المرة .

فهمست قائلة : " أتعني ذلك حقاً ؟ "

قال وهو يستدير لمواجهتها : " نعم ، أحبك " ، ولمحت في
عينيه نظرة لم ترها من قبل .

فقالت : " آه ... يا جاريت " .

قاطعها قائلاً : " تريسا ، إنني لا أتوقع أن تبادليني نفس
الشعور ، ولكنني أردت أن أعبر لك عن مشاعري فحسب " ، ثم
أخذ يفكر للحظة وقد تذكر الحلم الذي رآه من قبل ، ثم أردف
قائلاً : " لقد حدثت أشياء كثيرة خلال الأسبوعين الماضيين " ، ثم
توقف .

وهمت أن تتفوه بشيء ، ولكن جاريت هز رأسه ، واستغرق منه
الأمر دقيقة ليستكمل قائلاً :

" ولست على ثقة من أنني على دراية بكل شيء ، ولكن كل ما
أفهمه هو شعوري حيالك " .

ومرر أصابعه برقة على وجنتيها وشفتيها ، وقال : " أحبك يا
تريسا " .

فقالت في عذوبة ورقة وهي تجيبه بكلمات صادقة : " وأنا
أحبك أيضاً " .

أحاط كل منهما الآخر بذراعيه ، وظلا هكذا لفترة طويلة ، وظلا
يتهامسان حتى الساعات الأولى من الصباح ، ثم بعد ذلك أوى كل
منهما إلى فراشه ، وغطت جاريت في النوم ، بينما ظلت تريسا
مستيقظة وهي تفكر في المعجزة التي جمعتها سوياً .

وفي اليوم التالي ، أمضى جميعهم وقتاً رائعاً ، فأخذوا يمارسون
تدريبات الغوص ، وبمجرد أن انتهى آخر درس من دروس الغوص
منحهما جاريت الشهادات المؤقتة على السفينة . وقال لـ " كيفن "
الذي أمسك بالشهادة ، وكأنها قطعة من الذهب : " بإمكانك
الغوص الآن أينما تشاء ، وكل ما عليك هو إرسال هذه البيانات ،
وسوف تتسلم الشهادة الموثقة في غضون أسبوعين . ولكن تذكر أنه
من الخطر أن تغوص بمفردك ، عليك اصطحاب أي شخص
معك " .

ولأنه كان اليوم الأخير لهما في ويليمينجتون ، قامت تريسا
بسداد فاتورة الفندق ، واتجه ثلاثتهم إلى منزل جاريت ، وكان
كيفن يرغب في قضاء الساعات الأخيرة في ويليمينجتون على
الشاطئ . وجلس كل من جاريت وتريسا بجواره على حافة المياه ،
وعند الظهيرة دخلت تريسا إلى الداخل لتعد بعض الطعام .

تناولوا وجبة سريعة على الجسر الخشبي الخلفي ، مكونة من
السجق ، وذلك قبل أن يصطحبهما جاريت إلى المطار . وبعد أن
أصبح كل من تريسا وكيفن على متن الطائرة ، ظل جاريت منتظراً
لدقائق حتى أقلعت الطائرة ، وعندما اختفت عن الأنظار استقل

" أمى ، إننى فى الثانية عشرة من العمر ، و أدرك الأمور بأكثر مما تتخيلين ؟ "

فمدت يدها وربتت على رأسه ، وقالت : " وماذا يكون رأيك إذا ما أخبرتك أننى أرغب فى الزواج منه الآن ؟ "

فظل صامتاً للحظة قبل أن يجيب قائلاً : " أعتقد أننى سأتساءل عندئذ عن المكان الذى سوف نعيش فيه . "

لم تستطع تريسا أن تفكر فى إجابة أفضل من هذه : " حقاً ، أين سنعيش ؟ "

جارت شاحنته وعاد إلى المنزل ، وأخذ ينظر إلى الساعة ليعرف كم سيمضى من الوقت حتى يستطيع محادثتها .

وفى الطائرة ، أخذ كل من كيفن وتريسا يتصفحان المجلات وفى منتصف الرحلة ، استدار كيفن ناحيتها وسألها :

" هل يروق لك جاريت يا أمى ؟ "

" نعم ، ولكن الأهم ، هل أعجبك أنت ؟ "

قال : " أعتقد أنه شخص لطيف . "

فابتسمت قائلة : " لقد كنتما على وفاق تام ، هل تشعر بالسرور لمجيئنا إلى هنا ؟ "

فأوماً برأسه موافقاً : " نعم " ، ثم توقف عن الحديث للحظات ، وأخذ يقلب صفحات المجلة قبل أن يسألها قائلاً : " أيمكننى أن أطرح عليك سؤالاً يا أمى ؟ "

" بالطبع . "

" هل ستتزوجين من جاريت ؟ . "

" لا أعرف ، لماذا تسأل ؟ "

" هل ترغبين فى الزواج منه ؟ "

استغرق منها الأمر دقيقة لتجيب قائلة : " إننى غير متأكدة ، كل ما أعرفه أننى بالقطع لا أرغب فى الزواج منه الآن ، فإننا مازلنا نتعرف على بعضنا البعض . "

" ولكنك قد تودين الزواج منه فى المستقبل ؟ "

" ربما . "

فبدا الارتياح على وجه كيفن وقال : " إننى سعيد لذلك ، وإنك تبدين سعيدة حينما تكونين فى صحبته . "

" هل تظن ذلك بالفعل ؟ "

ونادها جاريت لكي تتوقف ، ولكنها بدلاً من ذلك أخذت
تجري بسرعة .

وكانت تقترب من حافة المنحدر الصخري .

وكان يشعر بالهلع ، وهو يرى أن هناك مسافة كبيرة تفصل
بينهما وأنه لن يستطيع الإمساك بها . وجرى بأقصى ما يستطيع
من سرعة ، وهو يصيح فيها لكي تتوقف وتستدير ، وبدا وكأنها لا
تسمعه وشعر بالأدرينالين يندفع خلال جسمه ، يغذيه الخوف
الذي شل كل كيانه ، وصرخ قائلاً : " توقفي يا كاثرين ، المنحدر -
إنك لا ترين طريقك جيداً " ، وكلما حاول الصراخ بصوت عال ،
ازداد صوته خفوتاً ، حتى تحول إلى همس .

وواصلت كاثرين ركضها ، وهي غير مدركة للاتجاه الذي تسير
فيه ، وكان المنحدر الصخري على بعد أقدام قليلة .
وظل يحاول الاقتراب منها .

ولكنه كان لا يزال يبعد عنها بمسافة كبيرة .

وصاح مرة ثانية : " توقفي ! " ولكنه كان يدرك في تلك المرة
أنها لا تسمعه ، وخفت صوته تماماً ، وكان الرعب الذي يعيشه
أكبر من أي شيء عرفه ، وتمنى لو استطاع أن يجرى بصورة
أسرع ، ولكن وهنت ساقاه ، وتثاقلت حركته في كل خطوة
يخطوها .

وأخذ يحدث نفسه وقد تملك منه الخوف : " لن أستطيع
اللاحاق بها " .

وكما جرت فجأة ، توقفت أيضاً فجأة . واستدارت لتواجهه ،
وبدت وكأنها لا تأبه لأي خطر .

وتوقفت على بعض بوصات من حافة المنحدر .

الفصل الحادي عشر

بعد أن غادرت تريسا ويليمنجتون بأربعة أيام ، حلم جاريت
حلماً آخر ؛ ولكن كانت كاثرين هي التي تراءت له في الحلم هذه
المرّة . كان يحيط بهما في الحلم حقل عشبي يحده جرف صخري
يطل على المحيط . وكانا يتحدثان سويّاً وأيديهما متعانقة ، وقال
لها جاريت شيئاً جعلها تنفجر في الضحك ، فأشارت له أن يلحق
بها ، فانفعل ضاحكاً ، وكانت تعتريه نفس مشاعر ليلة زفافهما .

وأخذها يرقبها وهي تجرى ، ولم يستطع أن يمنع نفسه من
مشاهدة جمالها الأخاذ ، فقد كان شعرها المسترسل يعكس ضوء
الشمس المرتفعة في السماء . وكانت ساقاها نحيفتين تحركهما في
رشاقة وخفة ، وكانت الابتسامة التي تعلو وجهها وهي تجرى
تعكس شعوراً بالسعادة والارتياح ، ونادته قائلة : " اتبعني يا
جاريت ، هل تستطيع الإمساك بي ؟ "

تردد صوتها في الهواء ، وكأنه موسيقى منبعثة من حولهما .
وشرع في ملاحقتها ببطء ، عندئذٍ لاحظ أنها تتجه نحو الجرف
الصخري ، فلم تكن تدرك وجهتها في خضم سعادتها ونشوتها .
وأخذ يحدث نفسه في الحلم قائلاً : " هذا غير معقول ،
عليها أن تدرك ذلك " .

وصاح هو : " لا تتحركى " ولكن خرج صوته فى همس ، وتوقف على بعد أقدام قليلة منها ، وشبك يديه ، وأخذ يتنفس بصعوبة .

وتوسل إليها قائلاً : " تعالى إلى ، إنك بجوار الحافة تماماً " . فابتسمت ونظرت خلفها ، ولاحظت مدى اقترابها من الحافة ، فاستدارت ناحيته .

ثم قالت : " هل اعتقدت أنك كنت ستفقدنى ؟ " فقال بهدوء : " نعم ، وأعدك ألا أجعل ذلك يحدث أبداً " .

استيقظ جاريت وجلس على الفراش ، وظل مستيقظاً لساعات بعد هذا الحلم . وعندما عاود النوم أخيراً ، كان نومه متقطعاً . وكانت الساعة تشرف على العاشرة حينما استيقظ فى الصباح التالى ، وكان لا يزال يشعر بالإرهاق والاكنتاب ، ولم يستطع أن يفكر فى شىء آخر سوى الحلم . ولم يكن يدري ماذا يفعل ، فحدث والده الذى التقى به لتناول الإفطار فى مكانهما المعتاد . قال لوالده بعد دقائق قليلة من تبادلها لحديث قصير : " إننى أشعر بالحيرة " .

لم يجبه والده ، وإنما أخذ يراقب ابنه وهو يحتسى قدحاً من القهوة ، وظل صامتاً أثناء استرسال ابنه فى الحديث . " إنها لم تزعجنى فى أى شىء ، لقد أمضينا إجازة طويلة سويماً ، وإننى أهتم بها بحق . ولقد قابلت ابنها أيضاً ، إنه ولد رائع بحق ، إن الأمر كله لا أعرف . لا أعرف إذا كنت سأستمر فى ذلك أم لا " .

وصمت جاريت ، وكان الصوت الوحيد المنبعث هو صوت الجالسين على الموائد من حولهم .

سأله جيب بليك أخيراً : " تستمر فى ماذا ؟ " أخذ جاريت يقلب قدح القهوة دون وعى ، وقال : " لا أعرف إذا كنت سأراها مرة أخرى أم لا " . رفع والده حاجبه ولم يجب ، واستمر جاريت فى حديثه قائلاً :

" قد يكون ذلك خارجاً عن إرادتنا ، أعنى أنها لا تعيش هنا ، بل إنها تعيش على بعد آلاف الأميال . ولديها حياتها واهتماماتها ، أما أنا ، فأعيش هنا وأحيا حياة مختلفة ، بعيداً عنها . وربما يكون من الأفضل لها أن ترى شخصاً آخر بانتظام " . وأخذ يفكر فيما يقوله ، وهو يعلم أنه لا يصدق نفسه ومازال لا يريد أن يحدث والده بشأن الحلم .

ثم قال : " أعنى كيف يمكننا إقامة علاقة سليمة ، ونحن لا نرى بعضنا الآخر باستمرار ؟ "

ظل والده صامتاً ، وأردف جاريت كما لو كان يحدث نفسه : " إذا كانت تقطن هنا ، وبإمكانى أن أراها كل يوم ، كنت سأشعر بشعور مختلف ، ولكن برحيلها " وتوقف عن الحديث وهو يحاول أن يستجمع أفكاره ، وبعد برهة ، استأنف حديثه مرة أخرى .

حيث قال : " لا أعلم إذا كان بإمكاننا إنجاح هذه العلاقة . لقد فكرت فى الأمر ملياً ، ولا أعرف إذا كان بإمكاننا الاستمرار . إننى لا أريد الذهاب إلى بوسطن ، وأنا على ثقة من أنها لا تريد أن تأتى إلى هنا . إذن ، إلى أين سيؤدى بنا كل ذلك ؟ "

وتوقف جاريت عن الحديث ، وانتظر أن يقول والده شيئاً - أى شىء ، رداً على ما قاله بالنسبة لتلك النقطة ، ولكنه لم ينبس بكلمة ، فتنهد جاريت ، وأشاح بوجهه .

قال جيب بهدوء : " يبدو لي أنك تختلق الأعذار ، إنك تريد إقناع نفسك ، وتحاول إقناعي حتى ترضى نفسك " .
" كلا ، يا أبى ، ليس الأمر كذلك . إننى فقط أحاول أن أقلب الأمر على جميع الوجوه " .

هز جيب بليك رأسه قائلاً : " من تظن أنك تحادث يا جاريت ؟ هل تعتقد أننى لا أفقه شيئاً فى هذه الحياة ؟ إننى أتفهم جيداً ما تمر به ، لقد اعتدت الوحدة ، حتى أصبحت تخشى من عواقب ما يحدث إذا قابلت شخصاً ما ، وانتزعك من وحدتك انتزاعاً " .

احتج جاريت قائلاً : " إننى لست بخائف " .
قاطعته والده قائلاً : " إنك لا تستطيع الاعتراف بذلك حتى لنفسك ، أليس كذلك ؟ "

بدت خيبة الأمل فى لهجته واضحة وهو يقول : " أتعلم يا جاريت ، فحينما ماتت أمك ، كنت أختلق الأعذار مثلك تماماً . وطوال تلك السنوات الماضية ، كنت أحاول أن أقنع نفسى بأشياء كثيرة ، ولكن أتعلم إلى أين أوصلنى كل ذلك ؟ "

وحدق إلى ابنه وهو يقول : " لقد أصبحت عجوزاً ، متعباً وبجانب كل ذلك ، وحيداً . وإذا عاد بى الزمن إلى الوراء ، كنت سأسلك طريقاً مختلفاً ، ولا يمكننى أن أتركك تفعل ذلك بنفسك " .
وتوقف جيب للحظات قبل أن يستكمل قائلاً لكن بلهجة أقل حدة : " لقد كنت مخطئاً يا جاريت ، مخطئاً لأننى لم أحاول البحث عن شخص آخر . لقد كنت مخطئاً لشعورى بالذنب تجاه أمك ، مخطئاً لأننى سلكت ذلك الاتجاه فى حياتى . لقد كنت دائماً أعانى فى داخلى وأتساءل ما عساه أن يكون رأيها ، أتعلم

لماذا ؟ لأننى أعتقد أن أمك كانت ستريد أن أرتبط بامرأة أخرى ، لأنها كانت ستبغى سعادتى ، وتعلم لماذا أيضاً ؟ " ولم يجب جاريت .

" لأنها كانت تحببى ، وإذا كنت تعتقد أنك بمعاناتك هذه تثبت حبك لـ " كاثرين " ، فإننى قد أخطأت فى تنشئتك " .
" إنك لم تخطئى "

" لا بد أننى فعلت ؛ لأننى حينما أنظر إليك ، أرى نفسى . إننى أفضل أن أرى شيئاً مختلفاً ، شخصاً قد تعلم أنه لا بأس من الاستمرار فى حياته ، وأن عليه أن يجد شخصاً آخر يجعله سعيداً . ولكنى حتى الآن ، أشعر وكأننى أنظر إلى المرأة ، وأرى نفسى منذ عشرين عاماً " .

أمضى جاريت بقية الظهيرة وحيداً ، وأخذ يسير على الشاطئ وهو يفكر فيما قاله والده . وباسترجاع ما حدث ، شعر أنه لم يكن أميناً منذ البداية فى حديثه مع والده . ولم يندهش لأن والده قد أدرك ذلك ، لماذا إذن أراد أن يتحدث إليه ؟ هل أراد أن يواجهه والده بحقيقة مشاعره ؟

بانقضاء الظهيرة ، تحول الإحباط الذى كان يشعر به إلى نوع من الارتباك والتشوش ، ثم إلى شعور باللامبالاة . وعندما حدث تريسا فى المساء ، كانت مشاعر الخيانة التى اعترته نتيجة الحلم قد خمدت بدرجة كافية لأن يتحدث معها . كانت لا تزال موجودة ولكن ليست بدرجة قوية . وعندما ردت تريسا على الجانب الآخر من الهاتف شعر بتضاؤل تلك المشاعر أكثر ، وقد ذكره صوتها بمشاعره نحوها حينما كانا سوياً .

قالت تريسا في بهجة : " إننى سعيدة باتصالك ، لقد كنت أفكر فيك كثيراً اليوم " .

" لقد كنت أفكر فيك أنا أيضاً ، لقد تمنيت أن تكونى هنا الآن " .

" هل أنت على ما يرام ، تبدو حزينا " .

" لا ، إننى على ما يرام فقط أشعر بالوحدة ، هذا كل ما فى الأمر ، كيف كان يومك ؟ "

" كالمعتاد ، الكثير من الأعمال فى المكتب والعديد من الأعمال فى المنزل ، ولكنى أشعر بأننى على ما يرام الآن لمحدثتك " .

ابتسم جاريت قائلاً : " هل كيفن بجوارك ؟ "

" إنه بغرفته ، يقرأ كتاباً عن رياضة الغوص . لقد أخبرنى أنه يريد أن يصبح معلماً لرياضة الغوص عندما يكبر " .

" من أين أتى بهذه الفكرة ؟ "

" ليس لدى أدنى فكرة ، وماذا عنك ؟ ما الذى فعلته اليوم ؟ "

" لم أفعل الكثير فى حقيقة الأمر ، فلم أذهب إلى المركز اليوم . لقد فكرت فى أخذ إجازة اليوم ، وأخذت أتجول على الشاطئ " .

" أكنت تحلم بى ؟ "

لم يجبها مباشرة ، بل قال :

" لقد افتقدك كثيراً اليوم " .

قالت برقة : " إننى لم أتركك إلا منذ أيام قلائل " .

" أعلم ذلك ، وبمناسبة ذلك ، متى سأراك مرة ثانية ؟ "

جلست تريسا أمام مائدة غرفة الطعام ، وأخذت تنظر إلى أجندة المواعيد .

ثم قالت : " ممم بعد ثلاثة أسابيع ، ما رأيك ؟ إننى

كنت أفكر إذا كان بإمكانك أن تاتى أنت إلى هنا فى تلك المرة ،

ف " كيفن " سيكون فى معسكر لكرة القدم لمدة أسبوع ؟ لذا سيمكننا قضاء الوقت بمفردنا " .

" ما رأيك فى أن تاتى أنت إلى هنا بدلاً من ذلك ؟ "

" سيكون من الأفضل أن تاتى أنت ، إذا كان ذلك مناسباً بالنسبة لك ، فلم يتبق لى سوى القليل من أيام الإجازات ، وأعتقد

أنه بإمكانى أن أذهب إلى العمل فى وجودك . بالإضافة إلى ذلك ، أعتقد أنه حان الوقت لكى تغادر نورث كارولينا ؛ لترى الأماكن

الأخرى فى بلادك " .

وجد نفسه أثناء حديثها ينظر إلى صورة كاثرين الموضوعة على الحامل بجواره ، واستغرق منه الأمر لحظات ليجيبها قائلاً : " أعتقد أنه بإمكانى أن آتى إليك " .

" تبدو غير واثق من رأيك " .

" بل واثق " .

" هل هناك شىء آخر ؟ "

" لا " .

صمتت لحظة ، ثم سألته : " هل أنت على ثقة من أنك بخير

يا جاريت ؟ "

استغرق الأمر منه أياماً قليلة وعدة مكالمات هاتفية مع تريسا حتى عاد إلى طبيعته مرة أخرى . ووجد نفسه أكثر من مرة يحادثها

فى وقت متأخر من الليل ، لمجرد أن يسمع صوتها .

" مرحباً ، إنه أنا مرة أخرى " .

فقالت بصوت ناعس : " مرحباً ، جاريت ، ما الخطب ؟ "

" لا شىء ، كل ما فى الأمر إننى أردت أن أقول لك تصبحين

على خير قبل أن تذهبي إلى فراشك " .

٢٧٩

" لقد نمت بالفعل " .

" كم الساعة الآن ؟ "

نظرت إلى الساعة ، وقالت : " إنها تقترب من منتصف الليل " .

فقال محاولاً إغاضتها : " إذن ، لماذا تستيقظين حتى هذا الوقت ؟ " ثم تركها تغلق سماعة الهاتف حتى تأخذ قدراً كافياً من الراحة .

وكان في بعض الأحيان ، عندما لا يستطيع النوم ، يفكر في تريسا ويتذكر الأيام التي قضياها سوياً ، وتعتريه الرغبة في ضمها إليه .

ثم يتجه نحو غرفة النوم ، ويرى صورة كاثارين بجوار الفراش ، فيترأى له الحلم الذي حلم به من قبل في وضوح .

كان يدرك أنه يشعر بالقلق وعدم الراحة نتيجة لهذا الحلم . كان يستيقظ في الماضي حينما تعتريه تلك المشاعر ثم يستقل هاينستانس ، ويسلك نفس الاتجاه الذي أبحر فيه معها بعد إصلاح هاينستانس وترميمها ، ثم يقوم بوضع الخطاب في زجاجة ، وإلقائه في المحيط .

ولكنه لدهشته كان لا يقوى على فعل ذلك هذه المرة . فعندما جلس ليكتب ، لم تخطر أى كلمات على ذهنه . وعندما شعر بالإحباط أخذ يستعيد ذكرياتهما سوياً .

قال جاريت وهو يشير إلى صحن كاثارين : " هناك مفاجأة الآن " ، وكانت تقوم بوضع بعض من سلطة السبانخ أمامهما . فهزت كتفيها في لامبالاة ، وقالت : " وماذا يضير في تناول السلطة ؟ "

فقال بسرعة : " لا ضرر على ، كل ما هناك أنها المرة الثالثة التي تأكلينها هذا الأسبوع " .

" أعلم ذلك ، إننى أشتهيها فحسب ، ولا أعرف السبب " .
" إذا استمرت في تناولها بهذا القدر ، فسرعان ما ستتحولين إلى أرنب " .

فانفجرت في الضحك ، وهي تضع بعضاً من توابل السلطة ، وقالت وهي تنظر إلى صحنه : " إذا كان الأمر كذلك ، فإنك ستتحول إلى سمكة قرش إذا ما استمرت في تناول الأطعمة البحرية " .

فقال وهو يرفع حاجبيه : " إننى سمكة قرش بالفعل " .
" قد تكون سمكة قرش ، ولكن إذا دأبت على إغاضتى ، فلن تتاح لك الفرصة لإثبات ذلك لى " .

فابتسم قائلاً : " ولم لا أقوم بإثبات ذلك لك فى عطلة نهاية هذا الأسبوع " .

" متى ؟ ، فسوف تكون مشغولاً حتى نهاية هذا الأسبوع " .
" ليس هذا الأسبوع ، صدقى أولاً ، لقد خصصت جزءاً كبيراً من وقتى حتى نقضى بعض الوقت سوياً ، فلم نمض سوياً إجازة طويلة منذ وقت طويل " .

" وماذا أعددت من ترتيبات ؟ "
" لا أعرف ، قد نبحر سوياً ، قد نفعل شيئاً آخر ، أو أى شيء ترغبينه " .

فضحكت قائلة : " إننى لدى خطط كبيرة ، ربما رحلة إلى باريس من أجل بعض التسوق ، أو رحلة صيد ... أعتقد أننى أستطيع التفكير فى بعض الأشياء " .
قال لها : " يا لها من إجازة ! " .

وبمرور الأيام ، بدأت ذكرى الحلم تخبو وتتلاشى . وكانت تتلاشى بمقدار ضئيل في كل مرة يتحدث فيها جاريت إلى تريسا ، وقد تحدث إلى كيفن مرتين ، وقد ساعده حماسه لظهور جاريت في حياتهما على ترسيخ علاقته معهما . وعلى الرغم من أن حرارة ورطوبة أغسطس كانت تجعل الوقت يمر أبطأ من المعتاد ، إلا أنه كان يحاول أن ينهمك في عمله كي لا يفكر كثيراً في موقفه الجديد .

وبعد مرور أسبوعين - أى قبل رحيل جاريت إلى بوسطن بأيام قلائل - كان جاريت يطهو في المطبخ حينما دق جرس الهاتف .

" مرحباً أيها الغريب ، هل لديك قليل من الوقت ؟ "

" إننى لى دائماً وقت متاح حينما يتعلق الأمر بك . "

" إننى أتحدث فقط لأعرف موعد وصول رحلتك ، فلم تكن على

ثقة من الموعد في المرة السابقة . "

قال لها : " انتظري للحظات " وأخذ يبحث خلال درج المطبخ عن دليل الرحلة السياحي ، ثم قال : " هاهو ، سأصل إلى بوسطن بعد الواحدة بدقائق . "

" هذا مناسب تماماً ، سأقوم بتوصيل كيفن قبل ذلك بساعات

قليلة ، ثم أقوم بعد ذلك بإعداد وترتيب الشقة . "

" هل ستقومين بتنظيفها من أجلى ؟ "

" إنك ستلقى كل العناية والاهتمام ، وسأقوم بإزالة الغبار . "

" إننى أشعر بالفخر . "

" يجب عليك ذلك ، فأنت ووالداى فقط الذين تتلقون كل هذا

الاهتمام . "

" هل على أن أحضر معى قطعة من القماش لأتأكد من أنك قد

أديت مهمتك على أكمل وجه ؟ "

" إذا فعلت ذلك ، فسوف أجعلك تندم ندماً شديداً . "

فانفجر في الضحك ، ثم بعد ذلك غير مجرى الحوار ، وقال

بشغف : " إننى أتوق لرؤيتك مرة ثانية ، فلقد مرت بى هذه

الأسابيع الثلاثة ببطء شديد ، عكس الأسبوعين السابقين . "

" أعلم ذلك ، إننى أستشعر ذلك فى صوتك . لقد بدا عليك

الحزن لعدة أيام و حتى إننى بدأت أشعر بالقلق نحوك . "

وأخذ يتساءل إذا ما كانت استشعرت سبب حزنه ، واسترسل

فى الحديث وهو يحاول تصفية ذهنه من تلك الأفكار قائلاً : " لقد

كنت أشعر بالضيق لبعض الشيء ، ولكنى تغلبت على ذلك ، لقد

حزمت أمتعتى بالفعل . "

" أرجو ألا تشغل مساحة كبيرة ببعض الأشياء غير

الضرورية . "

" مثل ماذا ؟ "

" مثل لا أعلم ربما ملابس ثقيلة ؟ "

فضحك وقال : " ليس لى أى منها . "

" حسناً ، فلن تحتاج إليها ؛ لأن الطقس هنا معتدل ورائع . "

وبعد ثلاثة أيام ، وصل جاريت إلى بوسطن .

وبعد أن اصطحبته تريسا من المطار ، أخذته فى جولة حول

المدينة ، وتناولوا غداءهما فى مطعم فانويل هول ، وشاهدا بعض

السفن وهى تتهادى فى نهر شارليز ، وأخذوا جولة سريعة فى

جامعة هارفارد ، وكانا يسييران متشابكى الأيدي طوال النهار ،

يسعد كل منهما بصحبة الآخر .

وجد جاريت نفسه يتساءل أكثر من مرة لماذا كانت الثلاثة

أسابيع الماضية صعبة وقاسية بالنسبة له . كان يعرف أن جزءاً من

قلقه كان نابعاً من الحلم الذى رآه . ولكن الوقت الذى كان يقضيه مع تريسا جعل المشاعر المؤلمة التى شعر بها جرءاً الحلم تتلاشى وتتضاءل ، وفى كل مرة كانت تضحك فيها تريسا أو تضغط على يديه ، كانت تشعل فيه تلك المشاعر التى كانت تعتريه حينما كانا سوياً فى ويلمينجتون آخر مرة ، وتطرد من ذهنه الأفكار السوداء التى تتملكه أثناء عدم وجودها بجواره .

وحينما بدأت تنخفض درجة الحرارة ، وأخذ الطقس فى الاعتدال وبدأت الشمس تتوارى خلف الأشجار ، توقف كل من جاريت وتريسا لابتياح بعض الأطعمة المكسيكية والعودة إلى شقتها ، وأخذ جاريت يجول ببصره حول المكان ، وهو يجلس على أرضية غرفة المعيشة على أضواء الشموع .

قال وهو يتناول بعضاً من الفاصوليا مع خبز التورتيللا : " لديك مكان جميل ورائع ، لقد تخيلت أنه قد يكون أصغر من ذلك ، إنه فى الواقع أكبر من منزلى " .

" بمساحة قليلة فقط ، وعلى كل حال أشكرك على تلك المجاملة ، المساحة هنا مناسبة لكل شيء " .

قال : " مثل قربه من المطاعم ؟ "

قالت : " بالضبط ، إننى لم أكن أمزح حينما أخبرتك أننى لا أحب الطهو ، فإننى لست مارسا ستيورات " .

" من ؟ "

قالت : " لا عليك " .

وكان يترامى إلى مسامعهما بوضوح خارج شقتها أصوات السيارات ، فها هى سيارة تشق الطريق ، وتصدر نفيراً مزعجاً ، وامتلاً المكان فجأة بضوضاء مزعجة حينما انضم إليها العديد من السيارات .

سألها : " هل تتمتعين دوماً بهذا الهدوء ؟ " أومات برأسها وهى تنظر ناحية النافذة ، وقالت : " إن يومى الجمعة والسبت هما أكثر الأيام ازدحاماً - أما بقية الأيام فليست هكذا فى العادة ، ولكنك سوف تعتاد على ذلك ، إذا ما مكثت هنا فترة كافية " .

واستمرت الأصوات بالخارج ، فكان هناك صوت نفير سيارة يأتى من بعيد ، وأخذ يعلو شيئاً فشيئاً وهى تقترب .

سألها جاريت : " ما رأيك أن نستمع إلى بعض الموسيقى ؟ " بالطبع ، أى نوع من الموسيقى تود أن تسمع إليه ؟ " قال : " إننى أفضل كلا النوعين " ثم صمت وأردف فى جدية : " موسيقى " الكنترى " و " الوسترن " .

فضحكت وقالت : " ليس لدى مثل هذا النوع من الموسيقى هنا " .

فهز رأسه وهو يستمتع بالمزحة التى ألقاها وقال : " لقد كنت فقط أمزح . إنها مزحة قديمة سمعتها فى أحد البرامج القديمة " . " لا بد أنك كنت تشاهد الكثير من برامج الأطفال الكوميديية وأنت طفل صغير " .

حان دوره ليضحك هذه المرة .

فقالت وهى تصر على سؤالها : " أعود إلى سؤالى الأساسى - أى نوع من الموسيقى تفضل الاستماع إليه ؟ " " أى شيء لديك سيكون رائعاً " .

" ما رأيك فى الاستماع إلى بعض موسيقى الجاز ؟ " " يبدو هذا لطيفاً " .

نهضت تريسا واختارت أسطوانة اعتقدت أنها ستروق له ، ثم وضعتها في مشغل الأسطوانات ، فانبعثت أصوات الموسيقى ، وبدأ صوت المرور يهدأ في الخارج .

فسألته وهي تعود إلى مقعدها : " إذن ما رأيك في بوسطن ؟ " " لقد أعجبتني كمدينة كبيرة ، فهي ليس بهذا السوء . فلم أشعر بالغربة كما اعتقدت . إنها أيضاً مدينة نظيفة ، إنها تختلف عما تصورت كثيراً . لقد تصورت أن الناس سيكونون مختلفين ، وأن هناك ازدحاماً ، ومباني شاهقة ، ولا توجد أشجار ، أو أن هناك لصوفاً في كل شارع ، ولكنها ليست كذلك على الإطلاق " .

فابتسمت قائلة : " إنها مدينة لطيفة ، أليس كذلك ؟ ، أعني على الرغم من أنها لا تطل على الشاطئ ، إلا أن لها سحرها الخاص . وبخاصة وأنت تفكر فيما تقدمه لك المدينة من خدمات ، حيث يمكنك الذهاب إلى حفل موسيقى أو إلى المتاحف ، أو حتى التجوال في شوارع المدينة بين الناس ، فكل شخص يستطيع أن يجد ما يهواه ، بل إنه يوجد هنا في المدينة ناد للإبحار " . قال وهو يتساءل في قرارة نفسه ، لماذا تتحدث وكأنها تعرض المكان للبيع : " عرفت سر حبك للمدينة " .

" إنها تروق لي بالفعل ، وتروق كذلك لـ " كيفن " " . غير مجرى الحوار قائلاً : " تقولين إنه في معسكر لكرة القدم ؟ "

فأومأت برأسها موافقة وقالت : " نعم ، إنه يرغب في الالتحاق بفريق الموهوبين لسن الثانية عشرة وما تحتها ، ولا أعرف إذا كان سينجح في ذلك أم لا . ولكنه يعتقد أن لديه فرصة جيدة ، فقد وصل إلى التصفيات النهائية في العام الماضي كلاعب في فريق الحادية عشرة من العمر " .

" يبدو أنه يتمتع بمستوى جيد " .

قالت : " نعم ، هو كذلك " . ثم أزاحت الصحون الفارغة جانباً ، واقتربت منه أكثر ، وقالت في عذوبة : " ولكن ، كفانا حديثاً عن كيفن ، فليس علينا أن نتحدث عنه دائماً ، بل يمكننا أن نتحدث عن أشياء أخرى " .

" مثل ماذا ؟ "

قالت وهي تقترب منه أكثر : " عن ارتباطنا سوياً " .

" هل أنت على ثقة من أنك تريدين التحدث عن ذلك الآن ؟ "

فهمست قائلة : " نعم ، ليس هناك وقت أفضل من الآن " .

وفي اليوم التالي ، اصطحبت تريسا جاريت مرة أخرى في جولة حول بوسطن ، وأمضت معظم الصباح في الضاحية الإيطالية نورث إند ، وهما يجوبان الشوارع الضيقة المتعرجة ، وتوقفا لتناول القهوة والكانولى . وعلى الرغم من أن جاريت كان يعلم أنها تكتب أعمدة للصحيفة ، إلا أنه لا يعرف ما المقتضيات الأخرى لوظيفتها ، فسألها وهما يتجولان عبر المدينة قائلاً :

" هل يمكن أن تكتبي عمودك من خلال المنزل ؟ "

" أستطيع ذلك في وقت ما ، ولكنه غير ممكن الآن " .

" ولم لا ؟ "

" لأن عقدي مع الجريدة لا يتضمن ذلك ، حيث إن الأمر كذلك بالنسبة للمبتدئين ، بجانب ذلك . فأنا لدى الكثير لأقوم به أكثر من مجرد الجلوس أمام شاشة الحاسوب ، والكتابة . حيث يكون عليّ في بعض الأحيان مقابلة بعض الأشخاص - وهذا يتطلب بعض الوقت . وقد يتطلب الأمر كذلك السفر إلى بعض الأماكن ، بالإضافة إلى البحث الذي أقوم به إذا تناولت بعض الموضوعات الطبية

والنفسية . وحينما أكون فى المكتب ، يكون متاحاً لى العديد من المصادر التى يمكن الرجوع إليها . وبجانب ذلك فإننى بحاجة إلى مكان يمكن الوصول إلى من خلاله بسهولة ، فمعظم الموضوعات التى أتناولها تتعلق بالاهتمامات الإنسانية ، وإننى أتلقى مكالمات من الناس طوال اليوم . إننى أعلم أنه بإمكان الكثيرين محادثتى فى المساء ، حينما أكون بصحبة كيفن ، ولكنى لست على استعداد لأن أتخلى عن الوقت الذى أمضيه معه .

" هل تتلقين بعض المكالمات الهاتفية فى المنزل هذه الأيام ؟ "

" أحياناً ، ولكن رقمى ليس مدوناً فى دليل الهاتف ، لذا فهذا لا يحدث عادة . "

" هل تتلقين بعض المكالمات الغريبة ؟ "

أومات برأسها موافقة ، وقالت : " أعتقد أن كل الصحفيين يتعرضون لذلك . فهناك الكثير من الناس الذين يتصلون بالجريدة ، ويرغبون فى نشر حكاياتهم . فقد أتلقى مكالمات من أناس قد زج بهم فى السجون ، ويعتقدون أنهم مظلومون ، أو أتلقى شكاوى عن مرافق المدينة ، وكيف أنه لا تتم إزالة القمامة فى موعدها . أو مكالمات عن جرائم الطريق . يبدو أننى أتلقى مكالمات بشأن كل شىء فى المدينة . "

" أعتقد أنك ذكرت أنك تكتبين موضوعات عن التربية ؟ "

" نعم . "

" إذن لماذا يتصلون بك ؟ لماذا لا يتصلون بشخص آخر يكون مسؤلاً ؟ "

" أعتقد أنهم يفعلون ذلك ، ولكن هذا لا يمنعهم من الاتصال بى . فالكثير يبدأون مكالمتهم بـ " لا أحد يستمع لشكاوى ، وأنت

أملى الأخير " ، ثم نظرت إليه قبل أن تردف قائلة : " إنهم يعتقدون أنه بإمكانى حل مشكلاتهم . "

" لِمَ ؟ "

" إن من يكتبون أعمدة ثابتة فى الجريدة يختلفون عن الصحفيين العاديين ، فمعظم الأشياء التى يتم نشرها فى الجريدة أشياء موضوعية ، غير شخصية ، تقارير ، حقائق وأرقام وأشياء من هذا القبيل . ولكن إذا ما كان الناس يقرأون عمودى كل يوم ، فأعتقد أنهم يعرفوننى بصورة شخصية إلى حد ما ، وينظرون إلى باعتبارى صديقة ، والناس يريدون دائماً من أصدقائهم أن يساعدوهم حينما يكونون فى حاجة لذلك . "

" أعتقد أن ذلك يضعك فى مواقف محرجة فى بعض الأحيان . "

" نعم ، قد يحدث ذلك بالفعل ، ولكنى لا أحاول أن أفكر فى هذا الأمر كثيراً . بالإضافة إلى أن هناك جوانب إيجابية كثيرة فى عملي - مثل إعطاء بعض الأفراد المعلومات التى يريدونها - التعرف دائماً على أحدث المعلومات الطبية ، والقيام بتبسيطها إلى لغة رجل الشارع ، والاستماع إلى القصص اللطيفة والخفيفة التى تجعل اليوم يمر بسهولة . "

توقف جاريت عند أحد المتاجر التى تقع على جانبي الطريق وابتاع الفاكهة الطازجة ، والتقطت تفاحتين من السلة ، ثم أعطى واحدة منهما إلى تريسا .

ثم سألها : " وما هو أكثر شىء كتبت عنه فى عمودك ، ولاقى صدى كبيراً وشاع بين الناس ؟ "

قال وقد بدا عليه الاستياء بعد أن غادرهما الشخص الثاني :
" لم أكن أعلم أنك مشهورة إلى هذا الحد " .
" إننى لست مشهورة ، كل ما فى الأمر أن صورتى تنشر أعلى
مقالى ، لذا يتعرف على بعض الأشخاص " .

" هل يتكرر ذلك كثيراً ؟ "

" لا ليس كثيراً ، ربما عدة مرات فى الأسبوع " .

قال وقد بدت عليه الدهشة : " بل هذا كثير جداً " .

قالت وهى تهز رأسها بالنفى : " ليس كثيراً إذا ما قارنته
بالمشهورين الحقيقيين ، فهم لا يستطيعون الذهاب إلى المتجر دون
أن يجدوا من يلتقط لهم صوراً . أما بالنسبة لى ، فأنا أحيا حياة
طبيعية إلى حد ما " .

" ولكنه شىء غريب أن تجدى أناساً يحومون حولك طوال
النهار " .

" فى الواقع ، إن ذلك نوع من المجاملة . معظم الناس يكونون
لطفاء " .

" على كل حال ، إننى سعيد لأننى لم أعلم منذ البداية أنك
مشهورة " .

" لِمَ ؟ "

" لأننى كنت سأخشى أن أطلب منك الإبحار معى " .

مدت يدها وأمسكت بيده ، وقالت : " لا أستطيع تخيل أنك
تخشى وتهاب من أى شىء " .

" إذن ، فأنت لا تعرفيننى جيداً " .

وصمت للحظة ، وقالت : " هل كنت ستخشى ذلك بالفعل ؟ "

" محتمل " .

" لماذا ؟ "

أخذت تريسا تتنفس بصعوبة " ما الموضوع الذى لاقى صدى
كبيراً ؟ سؤال بسيط - لقد عثرت على رسالة فى زجاجة ذات
مرة ، وتلقيت المئات من الخطابات " .

حاولت أن تجبر نفسها على التفكير فى شىء آخر وقالت
أخيراً : " آه ... لقد تلقيت العديد من الخطابات حينما تناولت
موضوعاً عن تعليم الأطفال المعاقين " .

قال وهو يمنح النقود للبائع : " لا بد أنه كان موضوعاً
شائكاً " .

" هو كذلك بالفعل " .

وسألها جاريت قبل أن يتناول قزمة من تفاحته : " هل يمكن

أن تستمرى فى كتابة هذا المقال اليومى حتى لو تركت الجريدة ؟ "

أخذت تفكر فى السؤال وقالت : " سيكون ذلك صعباً ،

وبخاصة إذا ما أردت الاستمرار فى النقابة ، حيث إننى مازلت

حديثاً فى الكتابة ، وأرغب فى أن يلمع اسمى فى سماء الكتابة .

ووجودى فى صحيفة البوسطن تايمز يساعدى كثيراً ، لماذا تطرح

هذا السؤال ؟ "

قال بهدوء : " إنه مجرد فضول " .

ذهبت تريسا إلى عملها فى اليوم التالى ، ومكثت فيه لساعات

قليلة وعادت إلى المنزل بعد موعد الغداء بقليل ، وأمضت الظهيرة فى

مطعم البوسطن كومنز ، حيث تناولوا الطعام فى الهواء الطلق ، وقد

قاطعها مرتين وهما يتناولان غداءهما بعض الأفراد الذين تعرفوا

على صورة تريسا من الجريدة ، وأدرك جاريت أن تريسا أشهر مما

كان يتخيل .

" كنت سأسأل نفسي ما الذى يجعل شخصية مثلك تنجذب إلى " .

اقتربت منه وقالت : " سأخبرك بما يجذبني إليك وأراه فيك .
إننى أرى الرجل الذى أحببته ، الرجل الذى يجعلنى سعيدة ،
الرجل الذى أرغب فى أن أراه ، وأريد أن يكون بجوارى طوال
الوقت " .

" أنى لك بكل هذا الكلام ؟ "

قالت بهدوء : " لأننى أعرف عنك أكثر مما تتوقع " .
" مثل ماذا ؟ "

تراقصت ابتسامة على شفتيها ، وقالت : " إنك تريدنى أن
أقول لك الآن إننى أحبك " .

" أحقاً ؟ "

" طبعاً " .

وكانت على حق .

* * *

وفى المساء كان جاريت يحدث تريسا قائلاً : " أتعلمين يا
تريسا ، إننى أراك شخصية متكاملة لا ينقصها أى شىء .

اقتربت تريسا منه ، وسألته بفضول : " ما الذى يمكن - أن
يعنيه ذلك ؟ "

قال : " كما ذكرت بالضبط ، إننى لا أرى فيك أى نقائص ،
أعنى أنك شخصية متكاملة ورائعة " .

" إننى لست كاملة أو رائعة يا جاريت " .

" بل أنت كذلك . إنك أيضاً جميلة ، عطوفة ، رقيقة ، تعرفين
كيف تجعليننى سعيداً ، إنك ذكية ، كما أنك أيضاً أم عظيمة ،

ناهيك عن حقيقة أنك مشهورة . ولا أعتقد أن هناك من
يضاهيك " .

طوقت ذراعه ، واتكأت على صدره وقالت : " إنك ترانى من
خلال منظار وردى ، ولكنى أحب ذلك ... " .
" هل تقصدين أننى متحيز ؟ "

" لا ، ولكنك لم تر فى شخصيتى سوى الجانب الإيجابى " .
" لم أكن أعلم أن هناك جانباً آخر ، يبدو أن كل جوانب
شخصيتك إيجابية حتى الآن " .

ضحكت وقالت : " أنت تعرف ماذا أعنى ، إنك لم تر الجانب
السيئ بعد " .

" ليس هناك أى جانب سيئ " .

" بل لدى جوانب سيئة بالفعل ، وهذا ينطبق على كل
شخص ، ولكنها تختفى حينما أكون بصحبتك " .
" وما تلك الجوانب السيئة إذن ؟ "

أخذت تفكر للحظات ، وقالت : " إننى عنيدة ، وقد أتصرف
بسخافة وحماسة حينما أكون فى حالة غضب ، وأتفوه بأى شىء
يخطر على ذهنى وأنا فى تلك الحالة . وصدقنى هذا شىء سيئ ،
إننى على استعداد أن أخبر الآخرين برأىي فيهم بصراحة ، بينما
قد يكون من الأفضل ألا أفعل ويكون من الحكمة أن أبتعد " .
" لا يبدو ذلك سيئاً " .

" دعنى أشرح لك بأسلوب آخر ، فعندما واجهت ديفيد
بعلاقته ، نعته بأقذع الألفاظ الموجودة فى قاموس اللغة " .
" لقد كان يستحق ذلك بالفعل " .

" معك حق ، ولكنى لست على ثقة إذا ما كان يستحق الزهريّة
التي ألقيت بها فى وجهه " .

” هل قمت بذلك بالفعل ؟ ”

أومأت برأسها ، وقالت : ” إنك لم تر التعبير الذى ارتسم على وجهه حينئذ ، فإنه لم يرني فى تلك الحالة من قبل ” .

” وماذا فعل فى تلك اللحظة ؟ ”

” لم يفعل شيئاً ، أعتقد أنه كان فى حالة صدمة ولم يقو على فعل شيء ، وبخاصة عندما شرعت فى إلقاء الصحون . لقد قضيت على كل ما فى الخزانة من صحون فى تلك الليلة ” .

ابتسم فى إعجاب وقال : ” لم أكن أعلم أنك شرسة إلى هذا الحد ” .

” إن ذلك بسبب نشأتى فى الغرب الأوسط ، فلا تستهن بذلك ، ولا تسمى فهمى ” .

” لن أفعل ” .

” عظيم ، - وإننى أتمتع بالدقة فى كل شيء هذه الأيام ” .

” سأذكر ذلك جيداً ” .

اقتربا من بعضهما البعض ، وقال جاريت فى نعومة : ” إننى أصر على أنك رائعة ، وذات شخصية متكاملة ” .

أغمضت عينها ، وقالت : ” حتى بالرغم من الجوانب السيئة التى ذكرتها لك ؟ ”

” تلك الجوانب تزيد من سحرك فى نظرى ” .

” إننى سعيدة بذلك ، إنك أنت الآخر تتمتع بشخصية كاملة ورائعة ” .

مرت بقية الإجازة سريعاً ، فكانت تريسا تذهب إلى عملها فى الصباح وتقضى به عدة ساعات ، ثم تعود إلى المنزل لتقضى فترة الظهيرة والمساء مع جاريت . وكانا فى المساء يرسلان فى طلب

الطعام أو يتوجهان إلى أحد المطاعم الصغيرة المنتشرة بالقرب من شقتها . وكانا يقومان أحياناً باستئجار أحد الأفلام ليشاهداه سوياً فيما بعد ، ولكنهما كانا يفضلان عادة قضاء الأمسيات معاً دون وجود ما يشغلت انتباههما ، أو يشغلها عن بعض البعض .

وفى مساء الجمعة حادثهما كيفن من معسكر كرة القدم ، وأخذ يخبر تريسا بشغف وإثارة أنه قد وصل للنهائيات . وعلى الرغم من أن ذلك كان يعنى المشاركة فى مباريات أخرى خارج بوسطن ، وأنه عليه السفر فى معظم عطلات نهاية الأسبوع ، إلا أن تريسا كانت سعيدة من أجله وفخورة به ، ثم فاجأها كيفن بأنه يريد الحديث مع جاريت ، وبالفعل حادثه جاريت وأخذ يهنئه على نجاحه ، وبعد أن وضع سماعة الهاتف ، قدمت له تريسا بعض الحلوى والعصير ، واحتفل الاثنان بانتصار كيفن حتى الساعات الأولى من الصباح .

وفى صباح الأحد - وهو اليوم الذى سيغادر فيه جاريت - تناولوا طعام الإفطار والغداء بصحبة ديانا وبريان . وأدرك جاريت على الفور سبب إعجاب وحب تريسا لـ ” ديانا ” ، فلقد كانت ديانا شخصية جذابة ، وتتمتع بروح عالية من الدعابة والمرح . وقد وجد جاريت نفسه يضحك طوال تناول الطعام . وقد سألته ديانا عن الغوص والإبحار ، بينما قال له بريان إنه إذا قام هو بإنشاء وإدارة عمله الخاص ، فلن ينجح فيه ؛ وذلك لأن رياضة الجولف تستقطع كل وقته .

كانت تريسا سعيدة لأنهما كانا على وفاق واندماج تام . وبعد أن استأذنتا منهما ، اتجهت كل من ديانا وتريسا إلى دورة المياه لتتحدثا سوياً بشأن جاريت .

سألته تريسا بترقب : ” ما رأيك فيه ؟ ”

قالت ديانا : " إنه رائع ، بل إنه يبدو وسيماً على الطبيعة أكثر من الصورة التي أحضرتها من قبل " .

" أعرف ذلك ، فقلبي يدق بشدة كلما نظرت إليه " .
أخذت ديانا تصفف شعرها بعناية ، وهي تقول : " هل مر الأسبوع كما توقعت ؟ "
" بل أفضل " .

ابتسمت ديانا قائلة : " أستطيع أن أخبرك من خلال الطريقة التي ينظر بها إليك ، إنه يهتم بك كثيراً . إن علاقتكما تذكرني بعلاقتي أنا وبريان " .
" أعتقد ذلك حقاً ؟ "

" ما كنت لأخبرك بذلك إذا لم أكن أعنيه بالفعل " .
أخرجت ديانا طلاء الشفاه من حقيبتها ، وبدأت تصبغ به شفيتها وسألتها : " وما رأيه في بوسطن ؟ "
أخرجت تريسا طلاء الشفاه من حقيبتها هي الأخرى وقالت :
" إنه ليس بالمكان الذي اعتاد أن يعيش فيه ، ولكنه استمتع بوقته الذي قضاها هنا . لقد قمنا بزيارة أماكن كثيرة وممتعة " .
" ألم يذكر لك شيئاً بعينه بشأن بوسطن ؟ "

نظرت إلى ديانا بفضول ، وقالت : " لا ... لم ؟ "
" لأنني كنت أتساءل إذا لم يكن قد ذكر لك شيئاً قد يجعلك تفكرين أنه يمكن أن ينتقل للعيش هنا ، إذا ما طلبت منه ذلك " .
جعل تعليقها تريسا تفكر في شيء كانت تحاول تجاهله منذ فترة .

قالت أخيراً : " لم نتحدث بشأن ذلك من قبل " .
قالت : " وهل تعتزمان ذلك ؟ "

سمعت صوتاً يتردد بداخلها ، ويقول : " إن المسافة بيننا مشكلة كبيرة ، ولكن هناك شيئاً آخر ، أليس كذلك ؟ "

هزت رأسها لتبعد عن ذهنها التفكير في ذلك ، وقالت :
" أعتقد أن ذلك ليس بالوقت المناسب - على الأقل ليس الآن " ، ثم توقفت عن الحديث لتستجمع أفكارها ، ثم أضافت : " أعني - أدرك جيداً أنه علينا أن نتحدث في ذلك الموضوع - ولكنني لا أعتقد أننا نعرف بعضنا منذ فترة كافية لأن نتخذ قرارات بشأن المستقبل ، إننا لا نزال نتعرف على بعضنا البعض " .

رمقتها ديانا بنظرة متشككة وقالت : " ولكنك تعرفينه منذ فترة تكفي لأن تحبيه ، أليس كذلك ؟ "
وافقتها " ديانا " قائلة : " نعم " .

" إذن أنت تدركين أنه عليك اتخاذ ذلك القرار سواء أردت مواجهته أم لا " .

استغرق منها الأمر دقيقة لتقول : " أعلم ذلك " .
وضعت ديانا يدها على كتف تريسا ، وقالت : " ماذا لو وصل الأمر لأن تختاري بين مغادرة بوسطن أو فقدان جاريت ؟ "
أخذت تريسا تقلب السؤال في رأسها ، وتفكر في تداعياته ، وقالت بهدوء : " إنني لست على ثقة " ، ثم نظرت إلى ديانا نظرة فيها شك وعدم ثقة من قرارها .

" هل يمكنني أن أسدى لك بعض النصح ؟ "
أومأت تريسا برأسها ، وقادتها ديانا من ذراعيها خارج دورة المياه ، واقتربت برأسها من تريسا ؛ حتى لا يسمعها أحد .

ثم قالت : " سواء اتخذت القرار بالرحيل أم لا ، عليك أن تتذكرى جيداً أنه عليك المضي قدماً في حياتك دون أن تنظري خلفك على ما فات . وإذا كنت على ثقة من أن جاريت سيمنحك

الحب الذى تحتاجينه ، وأنه سيجعلك سعيدة ، فعليك حينئذ أن تفعل كل ما بوسعك للاحتفاظ به . فالحب الحقيقى نادر فى هذه الأيام ، وإنه الشئ الوحيد الذى يعطى للحياة معناها .

" ولكن ألا ينطبق ذلك عليه هو الآخر ؟ ألا يجب عليه أن يضحى أيضاً من أجلى ؟ "

" بالطبع " .

" وإلى أين يقودنى ذلك ؟ "

" يؤدى بك إلى نفس المشكلة التى نتحدث عنها ، تريسا - وهى المشكلة التى يتحتم عليك التفكير فيها ملياً " .

وخلال الشهرين التاليين ، تطورت علاقتهما بشكل لم يتوقعاه على الرغم من المسافة البعيدة التى تفصل بينهما . واستطاعا من خلال تنظيم جدول أعمال كل منهما أن يلتقيا ثلاث مرات ، فى عطلات نهاية الأسبوع . وسافرت تريسا خلالها مرة واحدة إلى ويليمنجتون حتى يستطيعا أن يكونا بمفردهما ، وقضيا وقتهما فى منزل جاريت ، ما عدا أمسية واحدة أبحرا فيها سوياً ، وسافر جاريت إلى بوسطن مرتين ، وقضى معظم الوقت هناك فى مشاهدة مباريات كرة القدم التى يشارك فيها كيفن ، ولم يسبب له ذلك أى ضيق ، فقد كانت أول مباريات كرة قدم يشاهدها على الطبيعة ، ووجد أنها مثيرة أكثر مما توقع .

سأل تريسا خلال إحدى اللحظات الحرجة فى المباراة :

" كيف لا تشعرين بالإثارة مثلى ؟ "

" لماذا لا تنتظر حتى ترى المئات من هذه المباريات مثلى ، وإننى على ثقة أنك ستعلم الإجابة عن سؤالك هذا " .

وعندما كانا يلتقيان خلال هذا الإجازات ، كانا لا يباليان بأى شئ حولهما فى هذا العالم . وكان كيفن يقضى إحدى الليالى فى منزل أحد أصدقائه فيكونان بمفردهما . وكانا يمضيان الساعات يتحدثان ويضحكان ، ويضم كل منهما الآخر بشدة . فقد كانا يعوضان الأيام التى ابتعدا فيها عن بعضهما البعض . ولكن لم يجرؤ أحد منهم على مناقشة مستقبلهما ، فقد كانا يعيشان لحظة بلحظة ، ولم يكن أى منهما على ثقة مما قد يطلبه من الآخر ، ولكن كان هناك شئ واحد يثقان فيه تمام الثقة ، وهو حب كل منهما للآخر .

ولكن لأنهما كانا لا يلتقيان بانتظام ، فقد كان يعترى علاقتهما بعض التقلبات التى قد تمر بها أى علاقة . حيث إنهما كانا يشعران بأن كل شئ يتقلب ، ولا تصبح الأمور فى نصابها الصحيح حين يبتعدان ، فقد كان جاريت يجد نفسه يعانى من طول المسافة والبعد بينهما ، وكانت المشاعر الجميلة التى تعتريه فى وجود تريسا تستمر لعدة أيام بعد مغادرتها ، ثم لا يلبث أن يشعر بالاكتئاب حتى يراها مرة ثانية .

بالطبع كان يرغب فى قضاء أطول وقت ممكن فى صحبتها ، وها هو الصيف قد انقضى . وكان من السهل عليه أن يسافر إليها ، فحتى العاملون بالمركز قد رحلوا . ولم يكن هناك الكثير ليقوم به فى عمله ، ولكن جدول تريسا كان مختلفاً تمام الاختلاف . أما عن كيفن فقد بدأ الدراسة ، وكان لديه مباريات فى عطلات نهاية الأسبوع ، ومن الصعب عليها أن تأخذ إجازة لبعض الأيام ولو حتى لأيام قليلة ، وعلى الرغم من أنه كان من السهل عليه أن يزور بوسطن ليراهها بانتظام ، إلا أنها لم يكن لديها متسع من الوقت

لذلك ، فلقد اقترح عليها أكثر من مرة أن يراها ، ولكن ذلك لم يفلح لسبب أو لآخر .

كان يعلم حقاً أن هناك الكثير من الأزواج الذين يواجهون مواقف أصعب من موقفهما هذا ، فقد قص عليه والده كيف أنه كان هو ووالدته لا يلتقيان أو يتحدثان لشهور أحياناً . وقد ذهب ذات مرة في رحلة على متن سفينة وقضى سنتين مع البحارة ، وعندما كانت تمر به أزمات في عمله في صيد الجمبري ، كان يجد عملاً على السفن المتجهة إلى جنوب أمريكا . وكانت تستمر هذه الرحلات لشهور في بعض الأحيان ، وكان الشيء الذي يربط بين والديه في تلك الفترة هو الخطابات ، والتي كانت لا تصل في بعض الأحيان . صحيح أن علاقته هو وتريسا ليست بهذه الدرجة من الصعوبة ، ولكن مع ذلك ، كان لا يزال يشعر أن الأمر ليس هيناً بالنسبة له .

كان يعلم أن المسافة التي تفصل بينهما تمثل مشكلة ، ولكن يبدو أن ذلك لن يتغير في المستقبل القريب . وكان يرى أن هناك حلين فقط لموقفهما هذا ، إما أن ينتقل للعيش معها أو تأتي هي إليه . لا يهم رأيه ، ولا يهم مدى اهتمام كل منهما بالآخر ، فعلاقتهم معتمدة على هذين الاختيارين .

وكان يشك في قرارة نفسه ، أن تريسا كانت تفكر في ذلك ، وإلا لماذا يتحاشى كل منهما الخوض في الحديث عن هذه النقطة . فقد كان كل منهما يجد أنه من الأفضل ألا يثير هذا الموضوع . حيث إن ذلك يعني أنه على كل منهما الخوض في طريق لا يثقان في قدرتهما على استكمالهما ، وكان على أحدهما أن يغير مسار حياته كلية .

ولكن يا ترى أي منهما ؟

كان له عمله الخاص في ويليمنجتون ، وهي الحياة التي طالما أرادها ولا يعرف حياة غيرها . إن بوسطن بالفعل مدينة جميلة ولكن للزيارة فقط ، لا أن تتخذها موطناً . ولم يحدث أن فكر من قبل في أن يغادر ويليمنجتون ، ثم هناك أيضاً أبوه - الذي تقدم في العمر بالرغم من مظهره القوي ، وليس له سوى جاريت .

ومن ناحية أخرى ، ف " تريسا " تربطها روابط قوية ببوسطن ، وعلى الرغم من أن والديها يقطنان في مكان آخر ، إلا أن كيفن هناك ويذهب إلى المدرسة التي يحبها . كما أنه ينتظرها مستقبلاً مشرق في عملها بالجريدة المشهورة ، ولها دائرة أصدقاء سيكون عليها أن تتركهم . لقد اجتهدت وتعبت حتى تصل إلى ما هي فيه الآن . وإذا حدث وغادرت بوسطن ، فسيكون عليها أن تتخلى عن كل ذلك ، هل باستطاعتها أن تفعل ذلك دون أن تشعر بالاستياء تجاهه لأنه هو السبب في ذلك ؟

كان جاريت لا يرغب في التفكير في ذلك ، وبدلاً من ذلك ركز على حقيقة واحدة وهي حبه لـ " تريسا " ، واعتقاده أنهما إذا أرادا أن يستكملا حياتهما سوياً ، فحتماً سيجدان لذلك سبيلاً .

ولكنه كان يدرك في قرارة نفسه أن الأمر ليس بهذه السهولة . ليس فقط بسبب المسافة التي تفصل بينهما . فبعد أن عاد من رحلته الثانية إلى بوسطن قام بتكبير صورة لـ " تريسا " ووضعها في إطار ، وقام بوضعها على حامل الفراش في الجانب المقابل لصورة كاثرين . ولكن على الرغم من مشاعره تجاه تريسا ، إلا أن الصورة كانت تبدو وكأنه ليس لها مكان في الحجر . وبعد أيام قلائل قام بنقل الصورة من مكانها إلى مكان آخر بالحجرة ، ولكن ذلك لم يغير من إحساسه ، فكان كلما وضعها في مكان ، كان يخيل إليه أن كاثرين ، أو صورتها بالأحرى ، سوف تراها لذا قام بإزاحتها من

مكانها مرة أخرى . وفى النهاية ، وضع الصورة فى أحد الأدراج ، ومد يده والتقط صورة كاثرين بدلاً منها وتنهى وهو يجلس على الفراش ناظراً إليها .

وهمس وهو يمرر أصابعه فوق صورتها : " لم تصادفنا قط هذه المشاكل ، بل كان كل شيء يسير فى سهولة ويسر ، أليس كذلك ؟ "

وعندما أدرك أنه لن يتلقى أى إجابة من الصورة ، أخذ يلعن حماقته ، وقام بإعادة صورة تريسا .

ثم أخذ يحدق إلى الصورتين معاً . وكان يفهم سبب مشكلته ، فقد كان يحب تريسا أكثر مما تخيل ، ولكنه لا زال يحب كاثرين

ولكن هل من المعقول أن يحبهما فى آن واحد ؟

قال جاريت : " لا أطيق الانتظار حتى أراك " .

كانا فى منتصف نوفمبر ، ولم يتبق سوى أسبوعين على قدوم العيد . وسافرت تريسا بصحبة كيفن لتزور والديها فى الإجازة . وقد أعدت تريسا ترتيباتها لتعود مبكراً لقضاء بعض الوقت مع جاريت ، فقد انقضى شهر منذ أن رأته آخر مرة .

قالت له : " إننى أتطلع بشدة لأن أراك ، ولقد وعدتني أننى سألتقى أخيراً بوالدك ، أليس كذلك ؟ "

" إنه يعتزم أن يطهو لنا العشاء ليلة العيد فى منزله ، إنه دوماً يسألنى عن الطعام الذى تفضلين أن تأكليه ، أعتقد أنه يريد أن يترك انطباعاً جيداً " .

" أخبره ألا يرهق نفسه بذلك الأمر ، ولا بأس من إعداد أى

شيء " .

" هذا ما أخبره به ، ولكنه متوتر بعض الشيء " .

" لِمَ ؟ "

" لأنك أول ضيف نستقبله منذ سنوات ، فلم يكن هناك سوانا ؟ "

" هل أتعدى على تقاليد العائلة ؟ "

" لا - إننا نبدأ تقليداً جديداً ، بالإضافة إلى أنه هو الذى تطوع بذلك - ألا تذكرين ؟ "

" هل تعتقد أننى سأروق له ؟ "

قال : " بالطبع ، سيكون لك كل إعجاب " .

عندما علم جيب بليك بقدوم تريسا ، قام بأشياء لم يفعلها من قبل ، فقد استأجر أولاً من يقوم بتنظيف المنزل الصغير الذى يعيش فيه ، وهى مهمة استغرقت يومين ؛ لأنه مصر على أن يبدو المنزل آية فى النظافة ، كما قام أيضاً بابتياح قميص جديد ورباط عنق . وعندما غادر الحجرة فى ملابسه الجديدة ، لمح الدهشة المرتسمة فى عيني جاريت .

" كيف أبدو ؟ "

" تبدو أنيقاً ، ولكن لماذا ترتدى رباط العنق ؟ "

" إنه ليس من أجلك ، إنه من أجل العشاء فى نهاية هذا الأسبوع " .

استمر جاريت فى النظر إلى والده بدهشة ، وارتسمت ابتسامة على وجهه ، وقال : " لا أتذكر أننى رأيتك من قبل ترتدى رباط عنق " .

" لقد ارتديته من قبل ، أنت فقط لم تلاحظ ذلك " .

" لست بحاجة لأن ترتدى رباط عنق بسبب مجيء تريسا " .

فأجابه فى حكمة : " أعلم ذلك ، إننى شعرت فقط بالرغبة فى ارتدائه " .

" إنك تشعر بالتوتر من مقابلتها ، أليس كذلك ؟ "

" كلا " .

" أبى ، لست بحاجة للتظاهر ، وإننى على ثقة من أن تريسا ستحبك بغض النظر عن أى ملابس ترتديها " .

" ولكن هذا لا يعنى ألا أبدو أنيقاً أمام صديقتك ، أليس كذلك ؟ "

" معك حق "

" إذن ، فقد حسمنا الأمر ، أليس كذلك ؟ إننى لم آت إلى هنا لأطلب مشورتك ، لقد جئت لأعرف إذا كان مظهرى لطيفاً أم لا " .

" تبدو فى غاية الأناقة " .

" عظيم " .

واستدار واتجه ناحية غرفة النوم ، وقد فك أزرار قميصه وحل رباط العنق وشاهده جاريت ، وهو يغيب عن نظره ، وبعد دقيقة سمع صوت والده وهو يناديه :

سأله جاريت : " ماذا هناك ؟ "

أطل والده برأسه من جانب الغرفة وقال : " هل سترتدى رباط عنق أنت الآخر ؟ "

" لم أخطط لذلك " .

" إذن ، عليك تغيير خطتك ، فإننى لا أريد أن تعرف تريسا أن لدى ابناً قد نشأ وهو لا يدرى ماذا يرتدى فى المناسبات المهمة " .

وقبل قدوم تريسا بيوم واحد ، أخذ جاريت يساعد والده فى الانتهاء من جميع الترتيبات . فقد قام بتقليم النباتات ، بينما قام جيب بإخراج الأوانى والصحون التى لم يستخدمها منذ وفاة زوجته ، وقام بالبحث عن الأوانى الفضية التى تناسبها - وقد كان الكلام أسهل بكثير من الفعل ذاته - وقد وجد جيب فى الخزانة غطاء للمائدة ، فقرر أن يضعه لأنه سيضفى لمسة أنيقة ، فقام بوضعه فى المغسلة فى اللحظة التى دخل فيها جاريت بعد أن انتهى من إعداد الحديقة . اتجه جاريت ناحية الخزانة ، وجذب كوباً من فوق الرف .

فسأله جيب : " متى ستصل غداً ؟ "

فقام جاريت بملء الكوب بالمياه ، وأجابه : " من المفترض أن تأتى فى حوالى العاشرة ، ومن المفترض أن تكون هنا حوالى الحادية عشرة أو ما يقرب من ذلك " .

" فى اعتقادك ، متى تفضل أن تتناول الطعام ؟ "

" لا أعرف " .

اتجه جيب نحو المطبخ وهو يقول : " ألم تسألها ؟ "

" كلا " .

" إذن ، من أين لى أن أعرف متى أضع الديك الرومى فى الفرن ؟ "

أخذ جاريت رشفة من الماء ، وقال : " قد نتناول الطعام فى منتصف الظهر ، وأى وقت سيكون مناسباً " .

" ألا ترى أنه عليك أن تحادثها وتسألها ؟ "

" لا أعتقد أن ذلك شىء ضرورى ، فالأمر ليس بهذا التعقيد " .

" قد يكون كذلك بالنسبة لك ، ولكنها المرة الأولى التى سألتقى بها ، وإذا حدث وتزوجتما فيما بعد ، فلا أريد أن أكون مادة لأى سخرية " .

فرفع جاريت حاجبه فى دهشة ، وقال : " من قال إننا سنتزوج ؟ " " لا أحد " .

" إذن لماذا أثرت تلك النقطة ؟ "

فقال بسرعة : " لأننى اكتشفت أنه يجب أن يفعل ذلك أى منا ، ولست على ثقة من أنك ستفعل ذلك " .

فحدق جاريت إلى والده وقال : " إذن فأنت تعتقد أنه على أن أتزوجها ؟ "

فغمز له جيب وهو يجيب : " ليس المهم ما أعتقد أنه ، إنما الأهم هو رأيك أنت ، أليس كذلك ؟ "

وفى وقت متأخر من المساء ، كان جاريت يفتح الباب الأمامى ، حينما دق جرس الهاتف ، فأسرع نحوه والتقط السماعة ، وسمع الصوت الذى كان يتوقعه .

سألته تريسا : " جاريت ، لم تلهث ؟ "

فابتسم قائلاً : " مرحباً يا تريسا ، لقد وصلت لتوى إلى المنزل ، فقد طلب منى والدى أن أذهب إلى منزله ، وأبقى معه اليوم ؛ حتى نعد المكان - إنه يتوق بشدة لأن يراك " .

صمتت للحظات ، وكان صمتها لا يبعث على الراحة ، وقالت أخيراً : " بالنسبة للغد ... " .

فشعر بجفاف فى حلقه ، وهو يقول : " ماذا عن الغد ؟ "

واستغرق منها الأمر دقيقة لتجيب : " إننى بحق آسفة يا جاريت لا أعرف بماذا أخبرك ، ولكننى لن أستطيع أن آتى إلى ويلمينجتون فى الغد ؟ "

" هل حدث مكروه ؟ "

" لا ، كل شىء على ما يرام . لقد ظهر شىء فى اللحظة الأخيرة - فهناك مؤتمر سيعقد ، وعلى أن أحضره " .

" أى مؤتمر ؟ "

" إنه يخص عملى ، أعرف أن ذلك شىء سيئ ، ولكننى ما كنت لأذهب إذا لم يكن ذلك شيئاً مهماً بالفعل " .

فأغمض عينيه قائلاً : " وماذا سيتناول هذا المؤتمر ؟ "

قالت : " إنه من أجل المحررين المهمين ورجال الإعلام - فإنهم سيلتقون فى دالاس فى نهاية هذا الأسبوع ، وأخبرتني ديانا أنها ستكون فكرة طيبة إذا ما تقابلت مع أحد منهم " .

" وهل عرفت بشأنه الآن فقط ؟ "

" كلا ... أعنى نعم . لقد عرفت أنه سوف يكون هناك مؤتمر ، ولم يكن من المفترض أن أذهب ، فكتاب الأعمدة فى الجريدة لا يتم دعوتهم فى العادة ، ولكن ديانا استخدمت وسائلها الخاصة ، وأجرت بعض الترتيبات من أجل ذهابى " ، وترددت لحظة ، ثم قالت : " إننى بحق آسفة يا جاريت ، ولكن كما ذكرت لك ، فسوف يكون سبقاً صحفياً رائعاً ، وفرصة العمر بالنسبة لى " .

فصمت للحظة ، ثم قال ببساطة : " لقد فهمت ما تعنين " .

" إنك غاضب منى ، أليس كذلك ؟ "

" كلا " .

" هل أنت متأكد ؟ "

" نعم ، متأكد " .

كانت تدرك من اللهجة التي يتحدث بها أنه لا يقول الحقيقة ، ولكنها كانت تعرف أنه لا يوجد شيء يمكن أن تقوله لتزيل استياءه .

فقالت : " هل يمكن أن تخبر أباك بأسفى ؟ " " نعم ، سأخبره " .

" هل يمكن أن أحادثك فى نهاية الأسبوع ؟ " " إذا رغبت فى ذلك " .

وفى اليوم التالى ، تناول العشاء مع والده الذى بذل قصارى جهده حتى يقلل من أهمية ما حدث .

وأخذ والده يوضح له قائلاً : " كما قالت لك ، فلديها سبب مقنع ، ولا يمكن لها أن تضحى بعملها ، كما أن لديها ابناً تقوم بتنشئته والإنفاق عليه ، وهى تبذل قصارى جهدها من أجل ذلك . بالإضافة إلى أنه أسبوع واحد فقط - وهذا ليس بالأمر الهائل " .

أوماً جاريت برأسه موافقاً وهو يستمع لوالده ، ولكنه كان لا يزال يشعر بالاستياء من الأمر برمته ، واستطرد جيب قائلاً :

" إننى على ثقة من أنه سيكون بمقدوركما أن تتخطيا كل العقبات ، بل إنها من المحتمل أن تفعل شيئاً مميزاً فى المرة القادمة حينما تكونان معاً " .

لم ينبس جاريت بكلمة ، وأخذ جيب قزمة من طعامه قبل أن يستكمل حديثه مرة أخرى .

" عليك أن تتفهم الأمر يا جاريت ، فهناك مسئوليات ملقاة على عاتقها ، مثلك تماماً ، وفى بعض الأحيان يكون لها الأولوية . وإننى على ثقة من أنه إذا حدث شيء فى المركز يكون عليك القيام به ، فستفعل أنت نفس الشيء الذى فعلته هى " .

رجع جاريت بظهره إلى الوراء ، ونحى صحنه الذى خلف فيه نصف طعامه جانباً ، ثم قال : " إننى أتفهم ذلك يا أبى ، ولكنى لم أرها منذ شهر الآن ، وإننى فقط كنت أتوق لرؤيتها بشدة " .

" ألم يخطر ببالك أنها ترغب فى رؤيتك هى الأخرى ؟ " " إنها قالت ذلك بالفعل " .

مال جيب ناحية المائدة ، ودفع بالصحن أمام جاريت مرة أخرى وقال : " تناول عشاءك ، فلقد أمضيت اليوم كله فى الطهى ، ولن تأتى أنت لإلقائه " .

نظر جاريت إلى الصحن ، وعلى الرغم من أنه لم يعد يشعر بالجوع إلا أنه التقط الشوكة ، وأخذ قزمة أخرى .

قال والده وهو يتناول طعامه : " أعلم أنها ليست المرة الأخيرة التى سيحدث فيها ذلك ؟ لذا لا يجب عليك أن تشعر بالاستياء " . " ماذا تعنى ؟ "

" أعنى أنه طالما تعيشان وتفصلكما عن بعض آلاف الأميال ، فسوف تظهر أشياء كهذه ، ولن تتمكننا من رؤية بعضكم البعض بالقدر الذى ترغبان فيه " .

" ألا تعرف أننى أدرك ذلك جيداً ؟ "

" أدرك ذلك تماماً ، ولكنى لا أعرف إذا كان لدى أى منكم الشجاعة ليفعل شيئاً حياًل موقفكما هذا " .

نظر جاريت إلى والده وهو يفكر ، ويحدث نفسه قائلاً : " أخبرنى يا أبى عما تشعر به ، لا تتوقف " .

استكمل جيب حديثه ، وهو غير مهتم بتعبير الاستياء المرتسم على وجه ابنه : " حينما كنت شاباً ، كانت الأمور أبسط بكثير ، فإذا أحب الرجل امرأة ، طلب منها الزواج ، ثم بعد ذلك ، يتشاركان فى حياتهما سوياً . هكذا بمنتهى البساطة ، ولكن

بالنسبة لكما أنتما الاثنان ، فأنتما لا تعرفان ما تفعلانه حيال علاقتكما ” .

” كما أخبرتك من قبل ، فالأمر ليس بهذه البساطة ”
” بل إنه كذلك بالفعل . فإذا كنت تحبها حباً صادقاً ، فعليك أن تجد حلاً لتبقى بجوارها ، هكذا ببساطة . فإذا طرأ شيء كهذا ، ولم تتمكننا من رؤية بعضكما في إحدى العطلات ، لن يكون الأمر حينئذ بمثابة نهاية العالم بالنسبة لكما ” .

صمت جيب لحظة قبل أن يردف قائلاً : ” ولكن الشيء غير الطبيعي هو ما تحاولان فعله الآن . ولن يفلح الأمر على المدى البعيد ، وأنت تدرك ذلك جيداً ، أليس كذلك ؟ ”
قال جاريت ببساطة وهو يتمنى أن يتوقف والده عن الحديث في هذا الأمر : ” أنا أعلم هذا ” .

رفع والده حاجبه وهو ينتظر أن يتفوه جاريت بشيء ، وعندما لم يصف جاريت شيئاً ، استأنف حديثه ثانية . حيث قال : ” تعلم ، أهذا هو كل ما لديك لتقوله ؟ ”
” ماذا بوسعي أن أقول ثانية ؟ ”

” عليك أن تقول إنك حينما تراها في المرة القادمة ، ستتناقشان في هذا الأمر حتى تجدا حلاً ، هذا ما عليك قوله ” .
” حسناً ، سنتحدث بشأن ذلك ، ونحاول أن نجد حلاً ” .
وضع جيب شوكتة جانباً ، ونظر نحو ابنه ، وقال : ” لم أقل لك أن تحاول يا جاريت ، لقد قلت إنكما ستناقشان الأمر وتجدان حلاً له ” .

” لماذا أنت متشدد بشأن ذلك الأمر ؟ ”
” لأنكما إذا لم تجدا حلاً له ، فسنظل أنا وأنت نتناول طعامنا بمفردنا خلال العشرين سنة القادمة ” .

وفى اليوم التالي ، كان أول شيء فعله جاريت فى الصباح أن استقل هابينستانس ، ومكث فى المياه حتى مالت الشمس نحو المغرب وعلى الرغم من أن تريسا تركت له رسالة برقم الفندق الذى تقيم فيه فى دالاس ، إلا أنه لم يتصل بها حيث قال فى نفسه إن الوقت متأخر وإنها من المؤكد قد خلدت للنوم . لقد كان يكذب على نفسه ، وكان يعلم ذلك . فالحقيقة أنه لم يكن يشعر أنه يريد التحدث إليها .

فى الواقع ، إنه لا يشعر بأى رغبة فى التحدث إلى أحد . إنه لا يشعر حتى بالغضب مما فعلته . وكان أفضل مكان يذهب إليه ويفكر فيما حدث هو عرض المحيط ، حيث لا يمكن أن يضايقه أحد ، فقد أخذ يفكر طيلة الصباح ، ويتساءل إذا ما كانت أدركت كم ضايقه هذا الأمر ، لكنها فى الغالب لم تدرك ذلك ، وإلا لما كانت فعلته - وقد أخذ يقنع نفسه بذلك ” .
ذلك ، إذا ما كانت تهتم به من الأساس .

وبمرور الوقت ، ارتفعت الشمس فى كبد السماء ، وبدأ غضبه يتلاشى شيئاً فشيئاً . وعندما فكر فيما حدث بهدوء ووضوح ، أدرك أن والده كان محقاً كالعادة . فلقد ألقى عدم مجيئها بالضوء على الاختلاف الكبير فى أسلوب حياتهما . فهناك بالفعل مسئوليات ملقاة على كاهلها ، ولا تستطيع تجاهلها . وطالما أنهما سيستمران فى أن يعيشا هكذا حياة منفصلة ، فلا بد أن تستمر مواقف كهذه فى الظهور .

وعلى الرغم من أنه لم يكن سعيداً بذلك ، إلا أنه أخذ يتساءل إذا كانت كل علاقات الحب تمر بلحظات كهذه . فلقد كانت العلاقة الأخرى الحقيقية والصادقة فى حياته هى علاقته بـ ” كاثرين ” . ولم يكن من السهل مقارنة كلتا العلاقتين . فلقد

كان هو وكاثرين زوجين يظللهما سقف واحد ، بل أكثر من ذلك ، لقد قضيا سوياً معظم حياتهما ، ولأنهما كانا لا يزالان صغيرين فى العمر ، فلم يواجهها مثل هذه المسئوليات التى يواجهها جاريت وتريسا الآن . فلقد كانا لا يزالان حديثى التخرج ، ولم يكن لديهما منزل بعد ، أو أى أطفال بحاجة إلى رعاية . كلا ، إن موقفهما يختلف تمام الاختلاف عن موقفه هو وتريسا الآن ، وليس من العدل مقارنة كلا الموقفين .

ولا يزال هناك شىء آخر لا يستطيع تجاهله ، شىء ظل يطارده ويضايقه طيلة فترة الظهيرة . فنعم ، موقفه هو وتريسا يختلف تمام الاختلاف ، ويعلم أنه ليس من العدل مقارنة موقفهما ، ولكن بقيت أمامه حقيقة واحدة وهى أنه لم يسأل نفسه أبداً إذا كان هو وكاثرين فريقاً واحداً . إنه لم يناقش المستقبل معها أبداً من قبل . كما لم يخطر بباله أدنى شك فى أن كلا منهما على استعداد للتضحية بكل شىء من أجل الآخر . وحتى عند حدوث مناقشاتهما البسيطة ومشاجرتهما - بخصوص المكان الذى سيعيشان فيه ، وهل يفتتحان المركز أم لا ، وحتى بشأن ما يفعلانه فى ليالى السبت - فلم يكن أى منهما يشك فى علاقته بالآخر . فلقد كان هناك شىء إيجابى فى الأسلوب الذى يتفاعلا فيه مع بعضهما البعض ، شىء كان يذكره بأنهما سيظلان معاً للأبد .

ولكن ذلك الشىء ليس موجوداً فى علاقته بـ " تريسا " . مالت الشمس نحو المغرب ، وأدرك أنه ليس من العدل أن يفكر بهذا الأسلوب . فهو لم يتعرف على تريسا إلا منذ فترة قصيرة من الوقت - ولم يكن من المنطقى أن يتوقع التفاهم الكامل بهذه السرعة فعندما يتاح لهما وقت كاف - وظروف مناسبة فسوف يتقاربان ويصبحان كياناً واحداً ، أليس كذلك ؟ "

هز رأسه ، فقد أدرك أنه ليس على ثقة من ذلك .

لم يكن على ثقة بخصوص الكثير من الأشياء . ولكن كان هناك شىء يعرفه جيداً ، فهو لم يحلل علاقته بـ " كاثرين " كما يفعل مع تريسا الآن ، وهذا ليس من العدل أيضاً . بالإضافة إلى أن التحليل لن يساعده كثيراً فى هذا الموقف ، فكل تحليلات العالم لن تغير حقيقة أنهما لا يلتقيان بقدر ما يرغبان ، أو يحتاجان إلى بعضهما البعض .

كلا - إن كل ما يحتاجانه الآن هو اتخاذ موقف . قام جاريت بمحادثة تريسا بمجرد أن عاد إلى المنزل هذا المساء . أجابت تريسا على الطرف الآخر ، وقد غلبها النعاس تماماً قائلة : " مرحباً " .

تحدث بعذوبة عبر الهاتف قائلاً : " مرحباً ، إنه أنا " . " جاريت ؟ " " آسف لأنى قد أيقظتك ، ولكننى وجدت رسالتين منك على جهاز الرد الآلى " .

" إننى سعيدة باتصالك ، فلم أكن على ثقة من أنك ستفعل " . " لم أكن واثقاً أننى سأفعل ، حتى فترة وجيزة " . " ألا تزال غاضباً منى ؟ " " كلا ، قد أكون حزيناً ، ولكننى لست غاضباً " . " لأننى لن أقضى معك عطلة نهاية الأسبوع ؟ " " بل لأنك لا تقضى معى معظم عطلات الأسبوع " .

وقد رأى فى تلك الليلة حلماً آخر . فقد كان هو وتريسا فى بوسطن ، يسيران فى أحد شوارع المدينة المزدحمة بمختلف أنواع البشر كالمعتاد - رجالاً ونساءً ، شباباً

ومسنين ، بعضهم يرتدى حلة رسمية ، والبعض الآخر يرتدى ملابس رياضية ، وهو ما يرتديه الشباب اليوم . وكانا يشاهدان واجهات المحلات ، كما فعلا من قبل في إحدى زيارته السابقة ، وكان الجو صحواً والسماء صافية ، ليس بها أى سحب ، وكان جاريت مستمتعاً باليوم الذى يمضيه فى صحبتها .

ثم توقفت تريساً عند واجهة أحد المتاجر الصغيرة التى تبيع المشغولات اليدوية ، وسألت جاريت إذا كان يرغب فى الدخول فهز رأسه وقال : " لا ، اذهبي أنت ، سأنتظر هنا " ، وتأكدت تريساً من عدم رغبته فى الدخول ، ثم دلفت إلى داخل المحل ، وانتظرها جاريت بالخارج . واستراح فى ظلال أحد المباني الضخمة ، وذلك عندما لمح شيئاً مألوفاً بجانب عينيه .

فقد لمح امرأة ، تسير على الرصيف ، وتبتعد عنه بمسافة بسيطة ، وكان شعرها الأشقر مسترسلاً على كتفيها .

فحول بصره للحظة ، ثم التفت ناحيتها بسرعة ، فقد شده شىء فى طريقة سيرها . فأخذ يرقبها وهى تسير ببطء ، وتوقفت المرأة أخيراً وأدارت رأسها ، كما لو كانت قد تذكرت شيئاً ، وحبس جاريت أنفاسه

كاثرين

لا يمكن أن تكون هى .

هز رأسه ، ولم يستطع من خلال المسافة التى تفصل بينهما تحديد إذا كانت هى كاثرين أم لا .

بدأت تسير مبتعدة عنه ، ونادها قائلاً : " كاثرين ، أهذه أنت ؟ "

بدت وكأنها لم تسمعه من خلال الضوضاء التى تعم الطريق . فنظر جاريت باتجاه المحل ورأى تريساً تستعرض البضائع ،

وعندما أدار بصره ناحية الطريق - كانت كاثرين - أو أيا كانت هى - قد انحرفت فى منعطف فى جانب الطريق .

بدأ يسير فى اتجاهها ، بسرعة ، ثم بدأ يركض . وأصبح الرصيف أكثر ازدحاماً ، وكان عليه أن يمر من خلال مجموعة هائلة من البشر قبل أن يبلغ الجانب الذى انحرفت فيه . وانعطف من حيث اتجهت هى .

وفى المنعطف ، أصبح الطريق أكثر ظلمة بطريقة مخيفة . واتجه من حيث سارت ، وعلى الرغم من أن السماء لم تكن تمطر إلا أنه أحس أن قدميه تغوصان فى بركة صغيرة . وتوقف للحظة ليلتقط أنفاسه ، وكان قلبه يدق بشدة بين ضلوعه . وعندئذ ، بدأ الضباب يتجمع ، كما لو كان موجة من أمواج البحر ، ولم يستطع أن يرى أكثر من عدة أمتار قليلة .

صاح قائلاً : " كاثرين ، أهو أنت ؟ أين أنت ؟ "

فسمع صوت ضحكات من على مسافة قليلة ، ولكنه لم يستطع تحديد مصدرها .

استأنف السير مرة أخرى ، ولكن ببطء هذه المرة - وسمع صوت الضحكات مرة أخرى ، كانت ضحكات طفولية ، تعبر عن السعادة . فتوقف مرة أخرى ، وقال :

" أين أنت ؟ "

لكنه لم يتلق أى إجابة .

وأخذ يتلفت حوله .

ولكن لم يسمع شيئاً .

ازداد الضباب تكاثفاً ، وبدأت الأمطار فى التساقط ، واستأنف

السير ثانية ، غير متيقن من وجهته .

وظهر شىء من بين الضباب ، واتجه ناحيته بسرعة .

كانا يقومان بالصيد فى نهاية الجسر الخشبى الممتد فى المياه
وحولهما أناس آخرون ، وكان كل منهما هائماً فى أفكاره ، فنظر
إليه جيب فى دهشة وقال :
" لقد كنت تبدو منذ يومين فقط ؛ وكأنك لا ترغب فى رؤيتها
ثانية " .

" لقد فكرت فى الأمر كثيراً منذ ذلك الحين " .
قال جيب بهدوء : " لا بد أنك فعلت ذلك " وأخذ يسحب
سنارته ويفحص الطعم . ثم ألقاها فى المياه مرة ثانية . وعلى الرغم
من أنه كان يشك فى أنه سيصطاد شيئاً يريد الاحتفاظ به ، إلا أن
الصيد كان فى تقديره إحدى متع الحياة .

ثم سأله جيب : " هل تحبها ؟ "
فنظر إليه جاريت فى دهشة ، وقال : " بالطبع ، أحبها .
ولقد ذكرت لك ذلك عدة مرات من قبل " .
فهز جيب رأسه بالنفى قائلاً : " لا ، إنك لم تقل لى ذلك . لقد
تحدثنا عنها كثيراً - وذكرت لى أنها تجعلك تشعر بالسعادة . وأنتك
تعرفها منذ فترة طويلة ، وأنتك لا تريد أن تخسرها . ولكنك أبداً لم
تذكر لى أنك تحبها " .

" ذلك يعنى أنني أحبها " .
" أهو كذلك حقاً ؟ "

وبعد أن عاد إلى منزله ، أخذ يتردد فى رأسه الحديث الذى دار
بينه وبين والده .
" أهو كذلك حقاً ؟ "
قال على الفور : " نعم ، إن الأمر كذلك بالطبع . وإذا لم يكن
يعنى ذلك ، فأنا أحبها حقاً " .

كانت هى تسير مبتعدة ، على بعد أقدام قليلة منه .
أخذت الأمطار تهطل بشدة . وفجأة بدا وكأن كل شىء يتحرك
ببطء ، و شرع هو يركض ولكن ببطء ببطء ... وكان
يستطيع رؤيتها أمامه . وتكاثف الضباب بشدة وازدادت
الأمطار هطولاً ، ولمح شعرها ...
وفجأة اختفت . فتوقف ثانية وحجب الضباب والمطر الرؤية
تماماً .

وصاح هو ثانية : " أين أنت ؟ "
ولم يتلق إجابة .
صاح مكرراً سؤاله ، ولكن بصوت أعلى هذه المرة
وجاء صوت يقول من خلال الأمطار والضباب : " إننى هنا " .
ومسح قطرات المياه التى تساقطت فوق وجهه ، وقال :
" كاثرين ؟ أهو أنت حقاً ؟ "
" إنه أنا يا جاريت " .
ولكن ذاك لم يكن صوتها .
فجأة ظهرت تريسا من خلال الضباب ، وهى تقول : " إننى
هنا " .

استيقظ جاريت وجلس فى الفراش ، وكان العرق يتصبب منه
بشدة . فمسح وجهه بالمنشفة ، وجلس بعدها لفترة طويلة
مستيقظاً .

التقى جاريت بوالده بعد ذلك فى هذا اليوم .
" أعتقد أنني أريد أن أتزوجها يا أبى " .

أخذ جيب يحدد إلى ابنه للحظة قبل يدير رأسه بعيداً ويقول :
" هل تريد أن تتزوجها ؟ "

" نعم " .

" لماذا ؟ "

" لأننى أحبها ، هذا هو السبب . ألا يكفي ذلك ؟ "

" ربما " .

أخذ جاريت يلف بكرة السنارة ، وقد أصابه الإحباط وهو
يقول : " ألسنت أنت الذى ذكرت أنه يجب علينا أن نتزوج ؟ "
" بلى " .

" لماذا تجادل فى الأمر الآن ؟ "

" لأننى أريد أن أتأكد من أنك ستفعل ذلك وأنت واثق من
رغبتك فى الزواج . فمنذ يومين لم تكن واثقاً إذا كنت تريد رؤيتها
ثانية ، والآن أنت على استعداد لأن تتزوجها . فهذا يبدو تناقضاً
واضحاً بالنسبة لى . وإننى أريد أن أتأكد من صدق مشاعرك نحو
تريسا ، وأن الأمر ليس له علاقة بكاثارين على الإطلاق " .

هاله سماع اسمها قليلاً .

قال جاريت بسرعة : " إن كاثارين ليس لها علاقة بهذا الأمر
على الإطلاق " . ثم هز رأسه وتنهى بعمق ، وقال : " أتعلم
يا أبى ، إننى لا أفهمك أحياناً . فأنت الذى كنت تدفعنى لاتخاذ
هذا القرار طوال الوقت . وكنت تخبرنى باستمرار أنه يجب أن أضع
الماضى خلف ظهري ، وأننى على أن أرتبط بامرأة أخرى ، والآن
وبعد أن استمعت إلى نصيحتك ، تبدو كأنك تريدنى أن أصرف
ذهنى عن الأمر كله " .

وضع جيب يده الخالية على كتف جاريت ، وقال : " إننى لا
أريد أن أصرف ذهنك عن شيء ، أو أقنعك بعكس ما تريده يا

جاريت . بل إننى سعيد لأنك عثرت على تريسا ، وسعيد لأنك
أحببتها . وآمل بالفعل أن تنتهى علاقتكما هذه بالزواج منها . فمن
الأفضل أن تفعل ذلك عن اقتناع . فالزواج يكون بين شخصين وليس
ثلاثة ، وليس من العدل بالنسبة لها ألا تتزوجها دون اقتناع " .

استغرق الأمر منه دقيقة ليحبيب قائلاً :

" إننى أرغب فى الزواج منها يا أبى ؛ لأننى أحبها ، وأريد أن
أقضى بقية حياتى بجوارها " .

ظل والده صامتاً لفترة طويلة وهو يرقبه ، ثم قال شيئاً جعل
جاريت يشيح بوجهه بعيداً .

حيث قال : " إذن فأنت تريد أن تخبرنى أنك قد تغلبت على
حبك لـ " كاثارين " ؟ "

وعلى الرغم من أنه كان يشعر بثقل نظرات والده المرتقبة ، إلا
أن جاريت لم يعرف كيف يجيب .

* * *

سألها جاريت : " هل أنت متعبة ؟ "

كان يستلقى على فراشه وهو يتحدث مع تريسا ، ولم يكن
هناك أى أضواء بالحجرة سوى المصباح الموضوع بجانب الفراش .

" نعم ، فلقد وصلت المنزل منذ فترة قليلة ، لقد كان أسبوعاً
طويلاً ومرهقاً " .

" هل انتهى المؤتمر بنجاح كما كنت تتوقعين ؟ "

" آمل ذلك ، فلم أعرف بعد ، ولكننى قابلت العديد من
الأشخاص الذين يمكن أن يضيفوا شيئاً إلى العمود الذى أكتبه " .

" هذا شيء جيد " .

" جيد وسيئ في ذات الوقت . فلکم تمنيت أن آتى لزيارتك بدلاً من ذلك " .

ابتسم قائلاً : " متى ستذهبن لزيارة والديك ؟ " " صباح الأربعاء ، وسأمكث هناك حتى يوم الأحد " .

" لا بد أنهما يتطلعان لزيارتك " .

" نعم ، فهما لم يريا كيفن منذ عام تقريباً ، وهما يتطلعان إلى أن يبقى بصحبتهم عدة أيام " .

" عظيم " .

وسادت فترة صمت قصيرة .

" جاريت ؟ "

" نعم " .

تحدثت بنعومة ، وقالت : " إننى أريدك فقط أن تعرف أننى مازلت آسفة بشأن ما حدث هذا الأسبوع " .

" أعرف ذلك " .

" هل بإمكانى أن أعوضك عما حدث ؟ " .

" ما الذى تنتوين فعله ؟ "

" حسناً هل يمكنك أن تأتى إلى هنا لزيارتى هذا الأسبوع بعد انقضاء إجازة العيد " .

" أعتقد ذلك " .

" عظيم ، لأننى أنوى أن أجعله أسبوعاً مميزاً لكلينا فقط " .

وقد كان بالفعل أسبوعاً لن ينسأه أى منهما .

حادثته تريسا بشكل أكثر من المعتاد فى الأسبوعين السابقين . وقد كان جاريت هو الذى يبادر بالاتصال بها عادة ، ولكن فى كل مرة كان يفعل ذلك ، كانت تسبقه هى . حدث ذلك مرتين ، حيث

كان يتجه نحو الهاتف ليطلب الرقم ، فيسمع رنين الهاتف فيجيبها ببساطة وتلقائية : " مرحباً يا تريسا " ، وقد فاجأها ذلك كثيراً ، وظلا يمزحان لفترة عن هذه القدرات الخارقة قبل أن يسترسلا فى حديثهما المعتاد .

عندما وصل إلى بوسطن بعد ذلك بأسبوعين - قابلته تريسا فى المطار ، وطلبت منه أن يرتدى شيئاً أنيقاً . فغادر الطائرة وهو يرتدى سترة أنيقة لم تره يرتديها من قبل .

فقال فى تلقائية : " رائع ! ، ما هذه الأناقة ؟ " .

فأخذ يُعدّل من وضع السترة فى ثقة شديدة بالنفس وهو يقول : " هل أبدو أنيقاً ؟ " " تبدو رائعاً " .

وتوجهها من المطار مباشرة لتناول العشاء ، ولقد قامت هى بحجز العشاء فى أفخم وأرقى مطعم فى المدينة . وتناولوا سوياً وجبة رائعة ، ثم اصطحبته تريسا بعد ذلك لمشاهدة مسرحية " البؤساء " ، والتي كانت تعرض فى بوسطن . ولقد نفذت جميع تذاكر العرض ، ولكن لمعرفة تريسا بالمدير ، فقد حجز لهما أفضل مكان فى دار العرض . وكان الوقت متأخراً حينما عادا إلى المنزل .

وكان اليوم التالى بالنسبة لـ " جاريت " مكتظاً وسريعاً ، فقد اصطحبته تريسا إلى مكتبها ، وأخذته فى جولة بين المكاتب ، وأخذت تقدمه إلى مجموعة من الزملاء . ثم قاما بعد ذلك بزيارة متحف الفنون الجميلة وأمضيا هناك بقية الظهيرة . وفى المساء ، التقيا بـ " بريان " وديانا فى مطعم أنتونى ، وهو يقع فى أعلى طابق من مبنى بريدينتال ، والذى يطل على مشهد رائع للمدينة بأكملها .

لم يكن جاريت قد رأى شيئاً كهذا من قبل ، وكانت مائدتهم بجوار النافذة ، وقد نهض كل من بريان وديانا لاستقبالهما ، وسألت تريسا وهي تحاول ألا تبدو متكلفة : " أنتما تذكران جاريت بالطبع منذ تناولنا طعام الغداء سوياً " .

قالت ديانا وهي تمد يدها لتصافحه : " بالطبع ، إننى سعيدة بمقابلتك مرة أخرى يا جاريت . وإننى آسفة فلقد ضغطت على تريسا لكى تأتى معى المؤتمر منذ أسبوعين ، أرجو ألا تكون قد أسأت فهمها " .
فأوما برأسه قائلاً : " لا ، لا بأس " .

" وإننى سعيدة لأن ما لدى من أخبار ينم عن أن المؤتمر كان يستحق ذلك " ، فنظر إليها جاريت بفضول ، ومالت تريسا نحوها وسألتها : " ماذا تعنين بقولك هذا يا ديانا ؟ "
فلمعت عينا ديانا وهي تقول : " لقد تلقيت أخباراً سارة بالأمس بعد أن غادرت المكتب " .

سألتها تريسا : " وما هى ؟ "
فقالت ديانا بعدم اكتراث : " لقد تحدثت إلى دان ماندل ، وهو رئيس هيئة الإعلام والاستعلامات لما يقرب من عشرين دقيقة . وقد كان مبهوراً بعملك ، وأعجبه أسلوب إدارتك للأمور ، وقال إنك خبيرة فى عملك ، والأفضل من هذا كله ... "
وصممت ديانا بأسلوب تمثيلى ، وهي تحاول أن تخفى ابتسامتها .

قالت تريسا : " ماذا ؟ "
" سوف يقوم بنشر مقالك فى كل الصحف ، بدءاً من يناير القادم " .

وضعت تريسا يدها على فمها لتكتم صيحة فرح ، ولكنها كانت لا تزال عالية بدرجة جعلت الأشخاص الجالسين إلى الموائد المجاورة يديرون رؤوسهم وينظرون نحوها ، ومالت نحو ديانا ، وأخذت تحدثها بسرعة ، ورجع جاريت خطوة إلى الوراء .
صاحت تريسا ، غير مصدقة : " لا بد أنك تمزحين " .

هزت ديانا رأسها بالنفى ، وكانت تعلق وجهها ابتسامة عريضة ، وهي تقول : " لا ، إننى أقول لك ما أخبرنى به ، وهو يريد أن يتحدث إليك مرة ثانية يوم الثلاثاء . وهناك مؤتمر فى العاشرة صباحاً فى ذلك اليوم " .

" أنت واثقة من أنه يريد نشر مقالى ؟ "
" بالتأكيد . لقد أرسلت له بالفاكس بعض المواد الإعلامية مرفقاً بها عدد من مقالاتك . وقد حادثنى - لاشك فى ذلك ، إنه شىء مؤكد " .
" لا أستطيع تصديق ذلك " .

" أما أنا فأصدق - ولقد علمت من مصادر سرية أن هناك آخرين يهتمون بما تكتبينه أيضاً " .

" آه ديانا أنا لا أصدق هذا " .
ثم مالت تريسا نحوها واحتضنتها ، والفرحة والإثارة تعلق وجهها ، ووكز بريان جاريت فى مرفقه وقال :

" أخبار عظيمة ، أليس كذلك ؟ "
واستغرق الأمر من جاريت لحظات ليجيب قائلاً :

" نعم إنه شىء رائع " .

بعد الجلوس لتناول العشاء ، قامت ديانا بطلب كعكة كبيرة ، وذلك بمناسبة نجاح تريسا ، وتهنئة لها على المستقبل المشرق الذى

" أعتقد ذلك ، فأنا أعرف أن تريسا تفكر فى ذلك طوال الوقت " .

ابتسمت تريسا إلى جاريت ، وسألت بمرح : " عما تتحدثان ؟ "

قال بريان : " عن أشياء مختلفة ، ولكن عن حظك السعيد بصفة خاصة " .

أوما جاريت برأسه دون أن يجيب ، ورأته تريسا وهو يعتدل فى جلسته . كان من الواضح أنه يشعر بعدم الراحة - على الرغم من أنها كانت لا تدرى ما سبب ذلك - وأخذت تتساءل عن ذلك فى نفسها .

قالت تريسا : " لم تقل شيئاً تقريباً طوال الليلة " .
كانا قد عادا إلى شقتها ، وكانا يجلسان على الأريكة وتنبعث من خلفهما أصوات المذياع .
" لم يكن لدى الكثير لأضيفه " .

فاحتضنت يده ، وقالت فى عذوبة : " إننى سعيدة ؛ لأنك كنت بصحبتى حينما أخبرتنى ديانا بهذه الأخبار السعيدة " .
" إننى سعيد من أجلك يا تريسا ، وأنا أعرف أن ذلك يعنى الكثير بالنسبة لك " .

فابتسمت ، وسألته فى محاولة لتغيير مجرى الحديث : " هل قضيت وقتاً طيباً مع بريان ؟ "

" نعم ، إنه شخص لطيف " ثم توقف عن الحديث ، وأردف بعد ذلك قائلاً : " ولكنى لا أتصرف جيداً حينما أكون ضمن مجموعة ، وبخاصة حينما أكون خارج الدائرة إننى فقط " .

ينتظرها ، وظل الاثنان يتجاذبان أطراف الحديث بقية المساء .
وكان جاريت يجلس فى هدوء وصمت ، وهو لا يدرى ماذا يضيف إلى ما يقال ، ومال بريان نحوه وكأنه شعر بعدم ارتياحه وقال :
" إنهما تتحدثان وكأنهما لا تزالان فتاتين صغيرتين ، أليس كذلك ؟ لقد ظلت ديانا تجوب المنزل طوال النهار ، وهى تنتظر بشغف لأن تخبرها بما حدث " .

" ليتنى أفهم الأمر بطريقة أفضل ، فإننى حقاً لا أعرف ماذا أقول " .

هز بريان رأسه وهو يرتشف من العصير الذى أمامه ، وخرجت كلماته غير واضحة قليلاً ، وهو يقول :

" لا تقلق بشأن ذلك - وحتى إن فهمته ، فلن تتاح لك الفرصة لتقول كلمة واحدة . فهما تتحدثان طوال الوقت ، وإذا لم أكن أعرفهما جيداً ، فإننى كنت سأقول إنهما توأمان " .
نظر جاريت عبر المائدة نحو تريسا وديانا وقال : " قد تكون محقاً " .

أضاف بريان : " سوف تتفهم ما أقوله بشكل أكبر حينما تعيش معها طوال الوقت ، وحينئذ سوف تعرف ذلك جيداً " .

لم يفته ذلك التعبير : " حينما تعيش معها طوال الوقت " وعندما لم يجب جاريت ، غير بريان دفعة الحديث ، وقال : " إلى متى ستبقى هنا ؟ "

" حتى مساء الغد " .
فأوما بريان برأسه قائلاً : " إنه شيء صعب ألا تلتقيا ببعضكما البعض كثيراً ، أليس كذلك ؟ "
" أحياناً " .

" هذا ليس صحيحاً ، فلقد كنا نتناول طعام العشاء بمفردنا ليلة أمس ، وكذلك كنا بمفردنا اليوم فى المتحف . لقد كان لدينا متسع من الوقت لتحدث " .

" إنك تدركين جيداً ماذا أعنى " .

" لا أعرف ، ماذا كنت تود أن تفعل ؟ أن تجلس هنا فى الشقة طوال اليوم ؟ "

لم يجيبها بكلمة ، وبدلاً من ذلك ، ظل صامتاً لدقيقة . ثم نهض من فوق الأريكة ، وسار عبر الحجرة ، وأدار المذيع .

ثم قال : " هناك شىء مهم ، أردت أن أخبرك به منذ قدومى إلى هنا " .

" وما هو ؟ "

خفض رأسه وهو يحدث نفسه . إما أن أقول الآن وإما لن أقوله أبداً ، ثم استدار نحوها وهو يستجمع شجاعته ، وأخذ نفساً عميقاً .

ثم قال : " أعتقد أن الأمر كان صعباً بالنسبة لى حينما لم أرك خلال الشهر الماضى ، وإننى إلى الآن لست على ثقة من أننى أريد لعلاقتنا أن تستمر بهذه الصورة " .

واحتبست أنفاسها لثانية .

وعندما لاحظ التعبير المرتسم على وجهها ، اتجه نحوها وشعر بوخزة فى صدره بسبب ما سيقوله ، ثم قال : " إن الأمر ليس كما تتخيلين " ، وأردف سريعاً : " لقد أسأت فهمى ، إننى لا أقصد

أن أقول إننى لا أرغب فى رؤيتك مرة أخرى ، بل على العكس . إننى أود رؤيتك طوال الوقت " . وعندما بلغ الأريكة ، انحنى أمامها ، ونظرت إليه تريساً فى دهشة ، فأمسك راحتها بين يديه .

ثم قال : " أريدك أن تنتقلى معى إلى ويليمنجتون " .

ثم توقف عن الحديث ، وهو يفكر إذا كان يمكن أن يضيف شيئاً آخر أم لا ، ولكنه فضل أن يؤثر الصمت .
" ماذا ؟ "

فهز رأسه قائلاً : " لا شىء " .

" لا ... ماذا كنت ستقول ؟ "

أجابها بعد دقيقة وهو ينتقى كلماته بعناية : " كنت فقط أريد أن أقول إننى كنت أشعر أن هذا الأسبوع كان غريباً بالنسبة لى ، العرض المسرحى ، العشاء الفاخر ... الخروج بصحبة أصدقائك ... ، إننى لم أتوقع ذلك " .

" ألم تستمتع بوقتك ؟ "

أخذ يمرر يده خلال شعره ، وقد بدا عليه عدم الارتياح مرة أخرى وهو يقول : " ليس الأمر كذلك ... إننى فقط ... ، إن ذلك ليس من أسلوبى أو عادتى ، فإن كل هذه الأشياء لا أفعالها فى العادة " .

" وهذا ما انتويت فعله هذا الأسبوع ، لقد أردت أن أعرفك على أشياء جديدة .. "

" لماذا ؟ "

" لنفس السبب الذى وددت من أجله أن أتعلم الغوص ؛ لأنه شىء مثير ، مختلف " .

" إننى لم آت إلى هنا لأفعل شيئاً مختلفاً . لقد أتيت لأننى أردت أن أمضى معك وقتاً هادئاً ، لم أرك منذ فترة طويلة . ومنذ أن جنئت إلى هنا ، ونحن نهرع من مكان إلى آخر . ولم تتح لى الفرصة لأن أتحدث إليك فى هدوء وعلى انفراد ، وأنا سأرحل غداً " .

وعلى الرغم من أنها كانت تتوقع أن يتم إثارة ذلك الموضوع فى وقت ما ، إلا أنها لم تتوقع أن يحدث ذلك الآن ، وليس بهذا الشكل ، وأكمل جاريت حديثه قائلاً :

" أنا أدرك أن تلك خطوة هائلة . ولكن إذا ما انتقلت إلى هناك ، فلن نعانى من الابتعاد لفترات طويلة ، بل نستطيع أن نلتقى كل يوم " وتحسس وجنتيها وهو يقول : " أريد أن أسير على الشاطئ وأنت بجوارى ، ونذهب للإبحار سوياً . وأريد أن أراك حينما أعود من المركز ، أريد أن أشعر أننا نعرف بعضنا البعض منذ فترة طويلة ، وقضينا معظم حياتنا سوياً " .

كانت الكلمات تخرج من فمه متلاحقة ، وكانت تريسا تفكر فى كل كلمة ، واستمر جاريت فى الحديث .

" إننى أفتقدك كثيراً حينما لا نكون معاً ، إننى أدرك أن عملي هنا ، ولكننى على ثقة من أنه يمكنك العمل من خلال الجريدة المحلية " .

وكلما كان يستطرد فى حديثه ، كان رأسها يدور ويمتلئ بالأفكار ، وبدا الأمر لها وكأنها يحاول أن يحيى علاقته بـ " كاثرين " وقاطعته أخيراً قائلة : " انتظر لحظة ، إننى لا أستطيع أن أحزم حقائبى وأرحل هكذا ببساطة ... أعنى - إن كيفن فى مدرسته " فقاطعها قائلاً : " ليس عليك أن تأتى فى التو ، يمكنك الانتظار حتى تنتهى السنة الدراسية ، لقد انتظرنا كثيراً - ولن يضير الانتظار لبضعة شهور أخرى " .

" ولكنه سعيد بوجوده هنا . فهذا موطنه ولديه أصدقاؤه ، وفريق الكرة "

" يمكنه أن يفعل كل ذلك فى ويليمينجتون " .

" أنت لا تدرك الأمر جيداً . فالأمر ليس بهذه السهولة ، فمن السهل أن تقول ذلك ، ولكن الحقيقة ليست كذلك " .

" ألم تلاحظى كيف توافقنا سوياً ؟ "

تركت يديه وقد أصابها الإحباط ، ثم قالت : " هذا ليس له علاقة بالرحيل ، أعلم أنكما توافقتما ، ولكنك لم تطلب منه أن يغير حياته " . وتوقفت ، ثم أردفت قائلة :

" وإلى جانب ذلك ، فالأمر ليس متعلقاً به فقط ، ولكن ماذا عنى يا جاريت ؟ لقد كنت معى الليلة الماضية - وعرفت ما حدث . لقد تلقيت أخباراً رائعة بشأن المقال الذى أكتبه ، والآن تريدنى أن أترك كل هذا " .

" إننى لا أريدك أن تتخلى عن علاقتنا ، وهذا اختلاف كبير " .

" إذن ، لماذا لا تأتى أنت إلى بوسطن ؟ "

" وماذا أفعل هنا ؟ "

" " نفس ما كنت تفعله فى ويليمينجتون . قم بتعليم الغوص ، والإبحار . فالأمر سيكون بالنسبة لك أيسر منى " .

" لا يمكننى أن أفعل ذلك . فكما ذكرت - " وسار عبر الغرفة ثم اتجه نحو النافذة - وأكمل قائلاً : " لا أستطيع هذا ، فليس هذا ما درجت عليه - ولن يناسبنى ذلك مطلقاً " .

نهضت تريسا وسارت عبر الغرفة وهى غاية الانفعال ، وأخذت تمرر يدها خلال شعرها ، وقالت :

" ليس هذا عدلاً " .

" وما الظلم فى ذلك ؟ "

فاستدارت لتواجه الأمر برمته قائلة : " كل شىء ، فأنت تطلب منى أن أذهب إلى ويليمينجتون ، وتطلب منى أن أغير حياتى

بأكملها . فيبدو الأمر وكأنك تضع شرطاً لعلاقتنا ، وكأنه يمكننا أن نستمر سوياً ولكن بشروطك وأسلوبك فقط . ماذا عن مشاعري ؟ ألا تهتم أيضاً ؟ ”

” بالطبع تهتم ، فأنت تهمينني ، وعلاقتنا كلها مهمة ” .

” لا يبدو الأمر كذلك ، بل يبدو كأنك لا تفكر سوى في ذاتك وحسب . تريدني أن أترك كل شيء عملت من أجله ، وفي ذات الوقت لست على استعداد لأن تتخلى أنت عن أي شيء ” ، ولم تحول عينيها عن عينيها .

نهض جاريت من على الأريكة ، واتجه ناحيتها ، وعندما اقترب منها ابتعدت للوراء ، ورفعت يديها لتمنعه من الاقتراب وقالت :

” جاريت - لا أريدك أن تلمسني الآن - اتفقنا ؟ ”

فوضع يديه جانباً ، وظل الاثنان في صمت للحظات ، وعقدت تريساً ذراعيها ، وأشاحت بوجهها بعيداً .

قال وقد بدا عليه الغضب : ” أعتقد أن إجابتك هي الرفض ، وأنت لن تأتي ” .

قالت بحذر : ” لا ، ولكن أعتقد أنه علينا أن نناقش ذلك أولاً ” .

” إذن فأنت تريدني إقناعي أنني على خطأ ؟ ”

لم تجد إجابة لسؤاله ، فهزت رأسها واتجهت نحو مائدة غرفة المعيشة ، وأمسكت حقيبتها ، واتجهت نحو باب الشقة .

” إلى أين أنت ذاهبة ؟ ”

” سأذهب لشراء بعض المياه الغازية ، فإنني أحتاج لتناول شيء ما ” .

” ولكن الوقت متأخر ” .

” هناك متجر في نهاية الشارع ، وسأعود في غضون دقائق ” .
” لم لا نناقش الأمر الآن ؟ ”

قالت بسرعة : ” لأنني أريد أن أبقى بمفردي لدقائق ، حتى أستطيع التفكير ” .

قال وكأنه يتهمها : ” إنك تهربين من المواجهة ؟ ”

فتحت الباب ، وأمسكت به وهي تتحدث قائلة : ” لا يا جاريت أنا لا أهرب . وسأعود في غضون دقائق . وإنني لا أحب أسلوبك في الحديث هذا . وليس من العدل أن تجعلني أشعر بالذنب . فلقد طلبت مني أن أغير مسار حياتي كلها ، وإنني فقط أريد عدة دقائق لكي أفكر فيما قلته ” .

ثم غادرت الشقة ، وأخذت جاريت يحدد إلى الباب لعدة ثوان وهو ينتظر أن تغير رأيها وتعود . وعندما لم تفعل ، أخذ يوبخ نفسه في صمت ، فلم تسر الأمور كما كان يتوقع . فلقد طلب منها في لحظة أن تنتقل إلى ويليمنجتون . وفي اللحظة التي تلت ذلك ، كانت هي خارج المنزل ، لأنها بحاجة إلى أن تكون وحيدة ، كيف تركته هكذا ؟

لم يدر ماذا يفعل ، فأخذ يذرع الشقة جيئة وذهاباً . ونظر نحو المطبخ ، ثم ناحية غرفة كيفن ، وظل في حراك مستمر . وعندما بلغ حجرة نومها ، توقف لدقيقة قبل أن يدخلها . وعندما اتجه ناحية فراشها ، جلس عليه ، ووضع رأسه بين يديه .

هل كان من الصواب أن يطلب منها أن ترحل ؟ إن لها حياتها هنا - وهي حياة ناجحة - ولكنه كان على ثقة من أنها تستطيع أن تحيا حياة ناجحة أيضاً في ويليمنجتون . ولكن على كل حال فستكون حياتها هناك أفضل بكثير من بقائهما معاً هنا . وأخذ ينظر حوله ، وأدرك أنه من المحال بالنسبة له أن يعيش في شقة -

ولكن إذا انتقلا للعيش في منزل منفصل ، فهل سيظل على شيء ؟
أم هل سينتقلان للعيش في الضواحي حيث تحيطهم العشرات من
المنازل التي لها نفس الشكل ؟

لقد تعقدت الأمور . ولسبب ما ، لقد ثبت أن كل ما قاله كان
خطأ . لم يكن يريد أن يشعر كما لو أنه ينذرنا . ولكنه عندما فكر
فيما قاله منذ لحظات ، أدرك أن ذلك هو ما حدث بالضبط . وتنهى
وهو لا يدري ماذا يفعل بعد . ولم يستطع أن يفكر في شيء يمكن
أن يقوله لها حينما تعود ولا يؤدي بهما إلى أي شجار . حيث إنه
لا يريد أن تصل الأمور إلى ذلك الحد ، فالجدال لا يؤدي إلى أي
حلول ، وهما بحاجة الآن إلى حل .

ولكن إذا لم يجد ما يقوله ، ما هو البديل ؟ وأخذ يفكر لدقيقة
فيما يفعله قبل أن يقرر أخيراً أن يكتب لها خطاباً يعبر فيه عن
أفكاره ، وعما يعتدل بداخله . فالكتابة تجعله دائماً يفكر بوضوح -
وبخاصة خلال السنوات القليلة الماضية - وربما يجعلها ذلك تستطيع
أن تفهمه أكثر .

اتجه ببصره ناحية المائدة الموضوعة بجانب الفراش . وكان
الهاتف موضوعاً فوقها ، فهي ربما تتلقى رسائل بين الحين
والآخر ؛ ولكنه لم يعثر على أي ورقة أو قلم ، ففتح الدرج وأخذ
يعبث بداخله ، وعثر على قلم حبر .

ثم أخذ يبحث عن بعض أوراق الكتابة بين المجلات ،
وصناديق المجوهرات الفارغة ، وفجأة لمح شيئاً مألوفاً بين الأوراق .
سفينة شراعية .

لقد كان الرسم فوق قطعة من الورق ، محشوراً بين مفكرة مواعيد
صغيرة ونسخة قديمة من مجلة لاديز هوم . فمد يده نحوها ،

واعتقد أنها أحد الخطابات التي كان يرسلها لها خلال الشهرين
الماضيين ، وفجأة تسمرت يدها .

غير معقول ! كيف ؟

لقد كانت تلك أوراق الكتابة التي أهدتها له كاثرين ، والتي
كان يستخدمها فقط في الكتابة إليها . كانت أوراق الخطابات التي
يستخدمها للكتابة إلى تريسا مختلفة ، فهي أوراق كان قد ابتاعها
من المتجر .

حبس أنفاسه ، وفتح الدرج وأزاح المجلة ، ولم يعثر على ورقة
واحدة بل خمس - خمس ! خمس من تلك الأوراق . وكان لا يزال
مرتبكاً ومتحيراً ، وأخذ يفتح عينيه ويغلقهما بسرعة قبل أن ينظر
إلى الورقة الأولى ، ليجد فيها هذه الكلمات .

عزيزتي كاثرين ...

يا إلهي ! ونظر إلى الورقة الثانية - وكانت نسخة ضوئية .

حبيبتي كاثرين

وكان الخطاب التالي :

عزيزتي كاثرين

فغمغم قائلاً وهو لا يكاد يصدق ما يراه : " ما هذا ؟ ،
مستحيل " وأخذ يحدق إلى الأوراق مرة أخرى ليتأكد مما رآه .

ولكن كان ما يراه حقيقة بالفعل ، كانت إحدى الرسائل نسخة أصلية ، والأخريان مجرد نسخ ضوئية . ولكنها كانت خطاباته التي كتبها إلى كاثارين . الخطابات التي كان يكتبها بعد الأحلام التي كان يراها في منامه . الخطابات التي كان يلقيها في المحيط ، وهو على متن هابينستانس ، والتي لم يتوقع أبداً أن يراها ثانية .

شرع في قراءتها مرة أخرى باندفاع ، وشعر مع كل كلمة وكل جملة كان يقرأها بأن عواطفه ومشاعره تضطرم بداخله ، وتظهر على السطح . أحلامه ، ذكرياته ، شعوره بالحيرة ، آلامه وعذاباته . وتوقف عن القراءة .

شعر بأن حلقة يجف وهو يطبق شفتيه . وبدلاً من أن يقرأ المزيد ، أخذ يحدق إلى الأوراق التي بين يديه في صدمة وذهول . ولم يسمع باب الشقة الأمامي وهو يفتح ويغلق ، وأخذت تريسا تنادى : " جاريت لقد عدت " وسمعتها وهي تخطو عبر الشقة ، ثم قالت : " أين أنت ؟ "

لم يجيبها ، ولم يستطع أن يفعل شيئاً سوى أن يحاول أن يفهم كيف حدث ذلك . كيف عثرت على هذه الخطابات ؟ إنها خطاباته خطاباته الشخصية .

خطاباته التي كتبها إلى زوجته .
الخطابات التي ليس من حق أحد أن يطلع عليها .
خطت تريسا داخل الغرفة ونظرت إليه ، وكان وجهه شاحباً ، ويداه التي يمسك بها الأوراق باردتين .

سألته ولم تلحظ بعد ما في يده : " هل أنت بخير ؟ " وبدا للحظة وكأنه لم يسمعها ، ثم رفع رأسه في بطة ، ونظر إليها . ارتاعت ، وهمت بأن تتحدث ، ولكنها لم تقو على الكلام ، وراعتها كل ما رآه في الدرج المفتوح . الأوراق التي يمسك بها في

يده ، تعبير الجزع المرتسم على وجهه ، وأدركت على الفور ما حدث .

قالت بسرعة وبهدوء : " جاريت سأشرح لك " .
لكن لم يبده عليه أنه يسمعها .
وهمس قائلاً : " خطاباتي " ونظر إليها بنظرة فيها مزيج من الغضب والحيرة .
" أنا "

سألها ، وقد جعلها صوته تجفل : " من أين جئت بهذه الخطابات ؟ "

" لقد عثرت على أحدها ملقى على الشاطئ " .
فقاطعتها قائلاً : " عثرت عليه ؟ "
فأومأت برأسها موافقة وهي تحاول أن تشرح له قائلة :
" حينما كنت في كيب ، كنت أركض على الشاطئ عندما وجدت الزجاجة " .

فنظر إلى الصفحة الأولى ، وكان هو الخطاب الأصلي الوحيد ، وهو الخطاب الذي كتبه منذ سنة ، ولكن الخطابات الأخرى
سألها وهو يحمل النسخ : " وماذا عن هذه الخطابات ، من أين أتيت بها ؟ "

قالت له تريسا في رقة : " لقد تم إرسالها لي ؟ "
فسألها وهو في حيرة وقد نهض من على الفراش : " من الذي أرسلها ؟ "

خطت خطوة نحوه ، وقالت : " من قبل أناس آخرين كانوا قد عثروا عليها ، وقام أحدهم بقراءة مقالى "
بدا وكأنه قد تلقى ضربة شديدة ، وقال : " هل نشرت خطابي ؟ "

لم تجب لدقيقة ، ثم قالت : " لم أكن أعلم " .
فقال بصوت مرتفع ، وقد بدا الألم فى صوته : " لم تعرفى
ماذا ؟ لقد كان من الخطأ أن تفعلى ذلك ؟ هذا شىء لم أرغب فى
أن يطلع عليه العالم ؟ "
" لقد ألقيت المياه بالزجاجة على الشاطئ ، وكان يجب أن تعلم
أنه سيعثر عليها شخص ما ، وأنا لم أستخدم اسمك عند النشر " .
قاطعها وهو لا يصدق ما تقول : " ولكنك قمت بنشرها فى
الجريدة " .

" جاريت أنا "

فقال فى ثورة عارمة : " لا تقولى شيئاً " ، ونظر مرة أخرى
نحو الخطابات ، ثم عاد بنظره إليها ، وكأنه يراها لأول مرة ،
وقال وكأنه اكتشف شيئاً : " لقد كذبت على " .
" لم أكذب "

لكنه لم يسمع ما قالت ، وأكمل وكرر ذلك كما لو أنه يحدث
نفسه : " لقد كذبت على ، وجئت من أجل البحث عنى . لماذا ؟
حتى تكتبى مقالاً آخر . أليس هذا كل ما فى الأمر ؟ "
" كلا ، ليس الأمر كذلك على الإطلاق " .
" إذن ما الحقيقة ؟ "

" بعد أن قرأت خطاباتك أردت أن أقابلك " .

لم يفهم ما تقول ، وأخذ يقلب بصره بينها وبين الخطابات ،
وكان الألم يعلو وجهه .
وقال للمرة الثالثة : " لقد كذبت على ، لقد قمت باستغلالى " .
" لا ، ليست هذه هى الحقيقة ، لم أفعل " .

فصاح وتردد صوته فى أرجاء الغرفة : " بل فعلت ذلك " وقد
تذكر كاثرين ، ورفع الخطابات أمامه كما لو كانت تريساً لم ترها

من قبل ، وأضاف " إنها ملكى - مشاعرى ، أفكارى ، طريقتى فى
التعامل مع فقدى لزوجتى - إنها ملكى وليست ملك أحد ، وليس
من حق أحد الاطلاع عليها " .
" لكنى لم أقصد أن أجرحك بهذا " .

ثم رمقها بنظرة قاسية دون أن ينبس بكلمة ، وقد تقلصت
عضلات فكيه .

ثم قال : " إن الأمر كله كان عبارة عن خدعة ، أليس
كذلك " ، ولم ينتظر منها أى رد ، وأكمل قائلاً : " لقد استغللت
مشاعرى نحو كاثرين ، حتى أحبك أنت أيضاً ، أليس كذلك ؟ "

شحب وجهها رغماً عنها ، ولم تقو فجأة على الكلام .
" لقد خططت لذلك كله منذ البداية ، أليس كذلك ؟ " وتوقف
عن الحديث ومرر أصابعه خلال شعره ، ثم أردف قائلاً مرة أخرى
وقد بدأ صوته يضعف : " لقد كان الأمر كله مدبراً " .
بدا وكأنه قد أصيب بدوار واتجهت هى نحوه .

قالت له : جاريت ، إننى أعترف أننى قد أردت رؤيتك - لقد
كانت الخطابات رائعة ، وأردت أن أرى الشخص الذى كتب كلاماً
كهذا . ولكننى لم أكن أدري ما الذى سيقودنى إليه ذلك . صدقنى
إننى لم أخطط لشيء بعد ذلك " ، وأمسكت بيديه ، وقالت :
" إننى أحبك يا جاريت ، يجب أن تصدقنى " .

عندما انتهت من حديثها ، سحب يده وسار مبتعداً ، وقال :

" أى نوع من البشر أنت ؟ "

كانت جملته مؤلمة ، ودافعت هى عن نفسها قائلة : " إن الأمر
ليس كما تظن " .

أكمل كلامه وهو غير عابئ بما تقول : " إنك تعيشين فى
أوهام " .

صاحت في غضب شديد ، وقد جرحتها كلماته : " كفى يا جاريت ، إنك لا تصفى إلى أى كلمة أقولها " ، وشعرت بالدموع تتجمع في عينيها .

" ولماذا أسمعك ؟ لقد كنت تكذبين على طوال الوقت " .

" لم أكن أكذب عليك . إننى لم أخبرك فقط بشأن الخطابات " .

" لأنك تعرفين أن ما تفعلينه خطأ " .

قالت وهى تحاول أن تستجمع شجاعته : " كلا ، لأننى كنت أعرف أنك لن تفهمنى " .

" لقد فهمتك الآن على حقيقتك ، وعرفت أى نوع من البشر أنت ! "

ضاقت حدقتها وهى تقول : " لا تكن كذلك ؟ "

" أكون ماذا ؟ مجنون ؟ مجروح ؟ لقد اكتشفت أن كل شىء

كان مجرد تمثيلية ، والآن تريدننى أن أصمت ؟ "

فصاحت وقد تملكها الغضب تماماً : " اخرس ! "

هالته كلماتها ، ونظر إليها فى زهول دون أن يتفوه بكلمة ، وأخيراً تحدث وكان صوته متحشرجاً ، وقد أمسك بالخطابات مرة ثانية وهو يقول :

" إنك تعتقدين أنك تفهمين علاقتى بكائرين . ولكن الحقيقة

أنك لا تعرفين شيئاً - ومهما عرفت - فلن تفهمى أبداً ما كان بيننا .

لقد كانت علاقتنا صادقة - دون خداع وكانت هى صادقة

مخلصة "

وتوقف عن الحديث ليستجمع أفكاره ، ويحدثها كما لو كانت شخصاً غريباً عنه ، ثم استكمل كلامه وتفوه بشىء جرحها أكثر من أى شىء آخر قاله .

حيث قال : " إننا لم نصل أبداً فى علاقتنا إلى ما كانت عليه علاقتى بـ " كائرين " " .

لم ينتظر رداً ، وبدلاً من ذلك اتجه نحو حقيبة ملابسه ، وبعد أن ألقى كل شىء بداخلها ، أغلقها بسرعة . وفكرت للحظة أن تمنعه ، ولكن كان تعبيره قد صدمها بشدة .

ثم توقف وحمل الحقيبة ، وقال وهو يحمل الخطابات : " إنها ملكى ، ولذا سأخذها معى " .

أدركت فجأة ما ينوى فعله ، وقالت : " لماذا سترحل ؟ "

حدق إليها قائلاً : " إننى أصبحت حتى لا أعرف من أنت " .

ودون أن يضيف كلمة أخرى ، استدار وسار عبر حجرة المعيشة

ومنها إلى خارج المنزل .

قال وهو يشاهد كاثرين تخطو على المرفأ وفي يدها حقيبة :
" اعتقدت أنك قد نسيت موعداً . "

فضحكت وهي تمسك بيده حتى تصعد على ظهر السفينة ،
وقالت : " لم أنس ، ولكنني ذهبت لمكان ما في طريقي . "
" أين ؟ "

" لقد كنت عند الطبيب . "

فأخذ الحقيبة من يدها ووضعها جانباً ، وقال : " هل أنت
على ما يرام ؟ إنني كنت أشعر أنك متعبة بعض الشيء — "
قاطعته برقة ، وهي تقول : " إنني بخير ، ولكنني لا أعتقد
أنني أستطيع الإبحار الليلة . "
" أحدث مكروه ؟ "

ابتسمت كاثرين وهي تنحني وتجذب لفافة صغيرة من إحدى
الحقائب ، وراقبها جاريت وهي تفتحها .
" أغمض عينيك ، وسأخبرك بالأمر كله . "

فأغمض عينيه وهو لا يدري ما يحدث ، وسمعها وهي تقوم
بفك الأوراق التي تلف بها البضائع .

ثم قالت : " يمكنك أن تفتحها الآن . "
كانت كاثرين تحمل ملابس أطفال في يدها .
سألها وهو لا يفهم ما يحدث : " ما هذا ؟ "
فقال في إثارة واهتمام : " إنني حامل . "
" حامل ؟ "

" نعم ، منذ ثمانية أسابيع تحديداً . "
" ثمانية أسابيع ؟ "
فأومأت برأسها بالإيجاب .

الفصل الثاني عشر

لم يدر جاريت إلى أين يذهب ، فاستقل سيارة أجرة حملته إلى
المطار بعد أن غادر شقة تريسا . ولسوء الحظ ، لم تكن هناك أى
أماكن خالية على الطائرة ، فلم يكن أمامه سوى الانتظار فى ساحة
انتظار الركاب . وكان لا يزال غاضباً وغير قادر على النوم . وأخذ
يذرع المبنى جيئةً وذهاباً لعدة ساعات . وأخذ يهيم بين المحلات
التي قد أغلقت أبوابها ، وكان يتوقف بين الحين والآخر لينظر
خلال الحاجز الذى يمنع المسافرين من التقدم .

ثم استقل أول رحلة فى الصباح التالى ، ووصل إلى المنزل بعد
الحادية عشرة بقليل . وعندما استلقى على الفراش ، ظلت أحداث
الليلة الماضية تتلاحق فى رأسه وتمنعه من النوم . وعندما فشل فى
النوم ، نهض وأخذ حماماً ، وارتدى ملابسه ، ثم جلس على
الفراش مرة أخرى . وأخذ يحدق إلى صورة كاثرين ، وحملها فى
يده وأخذها معه إلى غرفة المعيشة . وهناك وجد الخطابات على
المائدة كما تركها . لقد كان فى حالة صدمة فى شقة تريسا منعه
من أن يشعر بهما جيداً . ولكنه الآن ، وصورتها بين يديه ، أخذ
يقرأ الخطابات ببطء وهو يستشعر وجود كاثرين فى الغرفة .

هزته المفاجأة ، وأمسك جاريت بالملابس ، فى يده برقة ، ثم مال نحو كاثرين وضمها بين ذراعيه .

ثم قال : " إننى لا أصدق " .

" بل صدق " .

ارتسمت ابتسامة على شفثيه بعد أن زالت آثار المفاجأة ، وقال : " أنت حامل ؟ ! "

فأغلقت كاثرين عينيها وهمست فى أذنه قائلة : " وستصبح أباً " .

قطع أفكاره صوت صرير الباب وهو يفتح ، وأطل والده برأسه داخل الحجرة .

ثم قال : " لقد رأيت شاحنتك بالخارج ، وأردت أن أتأكد أن كل شيء سار على ما يرام ، ولكنى لم أتوقع مجيئك قبل المساء " .

وعندما لم يجبه جاريت دلف أبوه إلى الحجرة ، ولمح صورة كاثرين على الفور فوق المائدة ، وسأله بحذر : " هل أنت على ما يرام يا بنى ؟ "

جلسا فى حجرة المعيشة ، وأخذ جاريت يشرح له الموقف برمته منذ البداية : الأحلام التى كان يراها فى منامه طوال السنوات الماضية ، الرسائل التى كان يلقيها فى مياه المحيط بداخل الزجاجات ، وأخيراً الشجار الذى حدث بينه وبين تريسا الليلة الماضية ، لم يترك شيئاً . وعندما انتهى من حديثه ، أخذ والده الخطابات من يده .

ثم قال وهو ينظر إلى صفحات الخطاب ، وفى صوته دهشة ؛ لأن جاريت لم يذكر له أمر هذه الرسائل من قبل : " لا بد أنها

كانت صدمة قاسية بالنسبة لك " ، وتوقف ، ثم أضاف : " ولكن ألا تعتقد أنك كنت قاسياً عليها ؟ "

فهز جاريت رأسه فى تعجب ، وقال : " لقد كانت تعرف كل شيء عنى يا أبى ، ولم تذكر لى شيئاً . لقد دبرت الأمر كله " .

فقال فى هدوء : " كلا ، إنها لم تفعل ذلك . ربما جاءت فقط لتقابلك ، ولكنها لم تجعلك تقع فى حبها . فلقد فعلت ذلك بمحض إرادتك " .

أشاح جاريت بوجهه قبل أن ينظر مرة أخرى نحو الصورة الموضوعة على المائدة ، ثم قال : " ألا تعتقد أنه من الخطأ أن تخفى الأمر عنى ؟ "

تنهد جيب ، ولم يرغب فى أن يجيب عن سؤاله حتى لا يرجع ابنه إلى عزلته مرة أخرى ، وحاول بدلاً من ذلك أن يفكر فى أسلوب آخر حتى يقنع به ابنه فقال : " لقد ذكرت لى منذ أسبوعين ، حينما كنا نجلس على الجسر أنك ترغب فى الزواج من تريسا لأنك تحبها ، هل تتذكر ذلك ؟ "

أوماً جاريت برأسه دون وعى .

" لماذا تغير رأيك ؟ "

نظر جاريت إلى والده وقد بدا على وجهه الارتباك ، وقال : " لقد ذكرت لك أننى — "

قاطعته والده برقة قبل أن يكمل قائلاً :

" نعم ، لقد ذكرت لى السبب . ولكنك لم تكن أميناً بشأن ذلك . لم تكن أميناً معى أو مع تريسا أو حتى مع نفسك . قد تكون أخطأت فى عدم إخبارك بأمر الرسائل . وربما كان عليها أن تفعل ذلك . ولكن ليس هذا هو السبب الرئيسى وراء ثورتك وغضبك . إنك

غاضب ؛ لأنها جعلتك تدرك شيئاً ، شيئاً كنت لا تريد الاعتراف به . ”

أخذ جاريت ينظر إلى والده دون أن يجيب بكلمة واحدة ، ثم نهض من على الأريكة ، واتجه ناحية المطبخ وهو يشعر برغبة فى أن يهرب من هذه المناقشة . ووجد فى الثلاجة علبة من الشاي المحلى ، فصب بعضاً منه فى كوب ، وفتح باب صندوق التجميد ، وأخرج الحامل المعدنى من أجل مكعبين من الثلج . وأخذ يجذب مكعبات الثلج فى توتر وحدة ، فتناثرت مكعبات الثلج فوق المنضدة وسقطت على الأرض .

وبينما كان جاريت يغمغم ويصب لعناته فى المطبخ ، أخذ جيب يحدق إلى صورة كاثرين ، ويتذكر زوجته التى توفيت منذ وقت طويل ، ووضع الرسائل جانباً ، ثم اتجه نحو الباب الزجاجى ، وقام بفتحه وأخذ يشاهد رياح ديسمبر الباردة تهب من المحيط الأطلنطى ، وقد جعلت الأمواج تتلاطم بعنف ، وكان صوتها يرتج فى أنحاء المنزل ، وراح جيب يتأمل المحيط ، ويشاهد أمواجه المتلاحقة حتى سمع طرقاتاً على الباب .

استدار وهو يتساءل عن عساه أن يكون ، وأدرك وقد تملكته الدهشة أنه خلال زيارته إلى منزل ابنه ، لم ير أحداً قط جاء إلى المنزل من قبل .

كان من الواضح أن جاريت لم يسمع الطرق على الباب أثناء تواجده فى المطبخ . واتجه جيب ليفتح الباب . وكانت أصوات الأمواج تعلو بشدة من خلفه ، وترتطم بالجسر الخشبى الموجود خلف المنزل .

ثم قال : ” تفضلى بالدخول ” .

وعندما فتح الباب الأمامى ، هبت الرياح بشدة داخل غرفة المعيشة ، فتناثرت الرسائل على الأرض ، ولم يلحظ جيب ذلك . فقد كان كل تركيزه ينصب على الزائرة ، ولم يستطع أن يمنع نفسه من النظر إليها .

فقد كان يقف أمامه امرأة شابة ذات شعر داكن ، لم يرها قط من قبل . وتوقف على عتبة الباب ، وقد أدرك من هى ، ولكن الكلمات تبخرت من رأسه ، وتنحى جانباً ليفسح لها الطريق . وقال بهدوء : ” تفضلى بالدخول ” .

وما إن دلفت إلى الداخل وأغلقت الباب خلفها ، حتى هدأت الرياح تماماً . ونظرت إلى جيب ولم تبد عليها أمارات الارتياح ، وظل الاثنان صامتين لفترة .

فقال جيب أخيراً : ” لا بد أنك تريسا . وكان جيب يسمع جاريت من خلفه وهو يقوم بتنظيف آثار الثلج . ثم أضاف : ” لقد سمعت عنك كثيراً ” .

فعدت ذراعيها وقالت : ” أعلم أن زيارتى غير متوقعة ... ” فشجعها جيب قائلاً : ” لا بأس ” .

” هل هو موجود ؟ ”
أوما برأسه بالإيجاب وأشار باتجاه المطبخ قائلاً : ” نعم ، إنه هناك . فلقد كان يعد شيئاً ليتناوله ” .

” وكيف حاله ؟ ”
منحها جيب ابتسامة شاحبة ، وقال : ” عليك أن تتحدثى معه ” .

أومات تريسا وهى تتساءل إذا كان قدومها إليه فكرة صائبة ، وأخذت تجول ببصرها عبر الغرفة ، ولمحت على الفور الرسائل المتناثرة ، كما شاهدت حقيبة جاريت بجانب باب حجرة النوم .

لم يكن قد قام بإفراغ محتوياتها بعد . بخلاف ذلك ، كان كل شيء في المنزل كما هو ، لم يتغير شيء ما عدا الصورة بالطبع . استطاعت أن تلمح الصورة ، لقد كانت الصورة في غرفة النوم من قبل . ولسبب ما ، وضعها في مكان آخر واضح . ولم تستطع أن تحول عينيها عن النظر إليها . وكانت لا تزال تحدد إلى الصورة عندما دلف جاريت إلى الحجرة .

قال : " ماذا يحدث هنا يا أبى ؟ "

وتسمر في مكانه فجأة ، واستدارت تريسا لتواجهه ، ولم ينبس كلاهما بكلمة .

ثم أخذت تريسا نفساً عميقاً ، وقالت :

" مرحبا يا جاريت "

لم يجبها جاريت ، والتقط جيب المفاتيح من على المائدة ، وأدرك أنه عليه أن يتركهما بمفردهما ويغادر الآن . واتجه نحو الباب الأمامى ونظر ناحية تريسا ، وهو يغمغم : " سعدت بمقابلتك " ، ولكنه عندما كان يتحدث ، كان يرفع حاجبه كما لو كان يتمنى لها حظاً موفقاً ، وخلال دقيقة كان يشق طريقه إلى الخارج .

سألها جاريت بمجرد أن أصبحت بمفردهما : " لماذا أتيت إلى

هنا ؟ "

فقلت بهدوء : " لقد أتيت لأننى أردت رؤيتك مرة ثانية " .

" لماذا ؟ "

لم تجب ، ولكنها بدلاً من ذلك اتجهت نحوه ، ولم تحول عينيها عنه ، ووضعت أصابعها على شفثيه ، وهزت رأسها حتى تمنعه من الحديث . وقالت : " لا أريد أية أسئلة الآن " ،

وحاولت جاهدة أن تبتسم ، ولكنه عندما رآها عن قرب أدرك أنها كانت تبكى .

لم يكن هناك ما تقوله ، فلم توجد كلمات يمكن أن تصف بها ما مرت خلاله .

ولكنها أحاطته بذراعيها ، ولف ذراعيه حولها رغماً عنه ، وأراحت هي رأسها على صدره ، وجذبتة بشدة نحوها وهي تقبل عنقه ، وتمرر يدها على شعره ، فقام بتلقائية بعد ذلك بضمها إليه بشدة . وأخذت تريسا تبكى بشدة ، وهي تستمع لصوت أنفاسه .

وفي وقت متأخر من الظهيرة ، استيقظ جاريت من نومه ولم يجد تريسا ، فغادر الغرفة وهو يبحث عنها في المنزل . كان المنزل بارداً .

وجدها في المطبخ ، حيث كانت تجلس أمام المائدة ، ترتدى معطفها . ووجد أمامها على المائدة قدحاً من القهوة كان فارغاً ، فأدرك أنها كانت تجلس في مكانها منذ فترة من الوقت ، وكان إبريق القهوة في حوض المياه .

نظر إلى الساعة ، وأدرك أنه ظل نائماً لساعتين .

فقال : " مرحباً " .

" مرحباً ، لم أشعر بك حينما استيقظت " .

" هل أنت بخير ؟ "

لم تجبه مباشرة وقالت : " تعال ، اجلس بجوارى ، فهناك

الكثير الذى أود أن أخبرك به " .

فجلس جاريت بجوارها إلى المائدة ، وابتسم لها . وأخذت

تريسا تعبت بقدر القهوة وهي تخفض عينيها ، ومد هو يده ومسح

خصلة كانت قد سقطت على جانب وجهها ، وعندما لم تجبه ،

رجع إلى الورا . وأخيراً ، ودون أن تنظر إليه ، مدت يدها

ووضعت الرسائل على المائدة ، كان من الواضح أنها قامت بتجميعها أثناء نومه .

بدأت حديثها بثبات كما لو كانت تستعيد شيئاً مؤلماً ، وقالت : " لقد عثرت على الزجاجاة حينما كنت أركض على الشاطئ الصيف الماضى . ولم تكن لدى أدنى فكرة عما تحتوى عليه الرسالة . ولكن بعد أن قمت بقراءتها ، أخذت أبكى - لقد كانت الرسالة رقيقة - ولقد كانت نابغة من قلبك مباشرة - والأسلوب الذى كتبت به لقد مستنى بشدة ؛ لأننى كنت أنا أيضاً أشعر بوحدة شديدة " .

ونظرت إليه وهى تقول : " ولقد عرضتها على ديانا فى ذلك الصباح ، وكان نشرها فى الصحيفة هو فكرتها . ولقد اعترضت على ذلك فى البداية لأن ذلك شىء خاص جداً وشخصى ، ولكنها لم تر أى ضرر فى ذلك . فلقد كانت تعتقد أن ذلك شىء لطيف يمكن للناس أن يقرأوه ، لذا رضخت لها فى النهاية ، واعتقدت أن الأمر سينتهى بذلك ، ولكن ذلك لم يحدث " .

ثم تنهدت قائلة : " عندما عدت إلى بوسطن ، تلقيت مكالمة من امرأة قرأت مقالى عن الرسالة ، وقامت بإرسال الرسالة الثانية ، وهى رسالة عثرت عليها منذ بضع سنوات وتأثرت بها أيضاً . وبعد قراءتها مرة ثانية اعتقدت أن الأمر قد انتهى " .

توقفت لفترة ، ثم أكملت قائلة : " هل سمعت من قبل بمجلة " يانكى ؟ "

" لا "

" إنها مجلة محلية ، وغير منتشرة خارج نيو إنجلاند ، ولكنها تنشر قصصاً جيدة ، وقد وجدت أن الرسالة الثالثة قد نشرت فى تلك المجلة " .

نظر إليها جاريت فى دهشة : " نشرت هناك ؟ "

" نعم ، وبحثت أنا عن ناشر الرسالة . وأرسل لى الرسالة الثالثة و وعندئذ تملكنى الفضول - فبحوزتى ثلاث رسائل - ليس واحدة ، بل ثلاث - وكل واحدة مستنى من الداخل كالرسالة الأولى تماماً . وبمساعدة ديانا ، توصلت إليك وعرفت من أنت ، وجئت إلى هنا لأقابلك " .

ثم ضحكت فى حزن ، وقالت : " أعلم أن ذلك يبدو تماماً كالخيال كما ذكرت - ولكنها الحقيقة - فلم آت إلى هنا لكى أقع فى حبك . ولم آت لأكتب مقالاً . لقد أتيت لأعرف من أنت ، هذا كل ما فى الأمر . لقد أردت أن ألتقى بالشخص الذى كتب هذه الرسائل الرقيقة . لذا ذهبت إلى المرفأ ، وكنت أنت هناك وتحديثنا ، ثم إذا كنت تتذكر طلبت أنت منى أن أبحر معك ، ولو لم تطلب منى ذلك حينئذ ، كنت قد رحلت فى ذلك اليوم " .

لم يعلم ماذا يقول ، فمدت تريساً يدها وأمسكت يده برفق " . ثم قالت : " ولكن أتعلم ؟ لقد قضينا وقتاً طيباً فى تلك الليلة ، وأدركت أننى أرغب فى رؤيتك مرة ثانية . ليس بسبب الخطابات ، ولكن بسبب معاملتك لى . ومن هنا أخذت الأمور تسير بتلقائية . وبعد أن التقينا أول مرة ، لم يكن هناك شىء مدبر ، هذا كل ما حدث بالتفصيل " .

ظل صامتاً لدقيقة ، وهو ينظر إلى الرسائل وسألها : " ولماذا لم تخبرينى بشأن الرسائل من قبل ؟ "

استغرقت بعض الوقت لتجيب قائلة : " لقد أردت فعل ذلك أحياناً ولكن لا أعرف أعتقد أننى كنت أقنع نفسى بأن ذلك لا يهم كثيراً ، فالمهم هو كيف تسير علاقتنا " . وتوقفت وهى

تدرك أن هناك المزيد ، ثم أضافت : " بجانب ذلك كنت أعتقد أنك لن تفهمنى جيداً ، ولم أرد أن أفقدك "

" إذا كنت قد أخبرتنى من قبل بالأمر ، لكنت قد تفهمت الموقف جيداً "

أخذت ترقبه بعناية وهو يتحدث ، وقالت : " هل كنت ستفهمنى حقاً يا جاريت ؟ "

كان جاريت يعلم أنها لحظة صدق . وعندما لم يجب ، هزت تريساً رأسها ، وأشاحت بوجهها بعيداً .

ثم قالت : " عندما طلبت منى فى الليلة الماضية أن آتى معك لم أوافقك فى الحال ؛ لأننى كنت خائفة من سبب مطلبك " وترددت للحظة ، ثم قالت : " لقد كنت بحاجة لأن أتأكد من أنك تريدنى بالفعل . كنت بحاجة لأن أتأكد من أنك طلبت الانتقال من أجلنا نحن الاثنين ، من أجل علاقتنا ، وليس بسبب هروبك من شىء ما . كنت أريدك أن تقنعنى بعد عودتى من المتجر ، ولكنك عثرت على هذه الرسائل "

وهزت كتفيها ، وتحدثت برقة ، وقالت : " كنت فى قرارة نفسى أعرف السبب الحقيقى ، ولكن كنت أريد أن يتغير كل شىء وأن تستمر علاقتنا وتنجح "

" عم تتحدثين ؟ "

لم تجبه مباشرة ، بل قالت : جاريت ، ليس الأمر أننى أشك فى حبك ؛ لأننى على ثقة من أنك تحببنى ، وهذا ما يجعل الموقف صعباً الآن . إننى أدرك أنك تحببنى ، وأنا أحبك أيضاً . وإذا كانت الظروف مختلفة ، لكنا قد تغلبنا على كل ذلك . ولكنى أدرك أننا لا نستطيع ذلك الآن ، ولا أعتقد أنك على استعداد لذلك بعد "

شعر جاريت وكأنه قد تلقى ضربة فى معدته ، ونظرت هى إليه مباشرة ، والتقت عيناها بعينييه .

قالت : " إننى لست عمياء عما يحدث يا جاريت ، إننى أعلم جيداً لحظات الصمت التى تنقايك حينما نكون معاً ، وأدرك تماماً سبب طلبك لى بالانتقال إلى هنا "

فقال معترضاً : " لأننى أفتقدك كثيراً "

" هذا جزء من الحقيقة ولكن ليس الحقيقة كلها "

ثم توقفت عن الحديث وهى تغالب دموعها ، وبدأ صوتها يتحشج وهى تقول : " لقد طلبت منى ذلك ... بسبب كاثرين " . كانت تغالب دموعها ، ولكنها صممت على الاستمرار فى الحديث .

" عندما أخبرتنى عنها رأيت نظرتك ورأيت التعبيرات المرتسمة على وجهك ... كان واضحاً حينئذ أنك ما زلت تحبها - وفى الليلة الماضية - وبالرغم من الغضب الذى كان يعتريك - لمحت تلك النظرة مرة أخرى . وحتى بعد الوقت الذى قضيناه معاً لازلت تحبها . ولا تستطيع نسيانها ثم هناك الأشياء التى ذكرتها لى " وأخذت نفساً عميقاً : " إنك لم تكن غاضباً لأننى عثرت على الخطابات ، بل إنك شعرت بالغضب ؛ لأننى أصبحت بمثابة تهديد لما تتشارك فيه أنت وكاثرين "

أشاح جاريت ببصره بعيداً ، وهو يسمع صدى اتهام والده له ، ومدت يدها مرة أخرى ولمست يده .

" إنك هكذا يا جاريت ولن تتغير . إنك الرجل الذى يحب بعمق ويحب حباً خالداً ، يبقى إلى الأبد . لا يهم مقدار حبك لى ، لأنك لن تنساها أبداً . وإننى لا أستطيع أن أعيش حياتى وأنا أتساءل إذا ما كنت قد وصلت إلى مكانتها فى قلبك أم لا "

فبدأ حديثه بصوت مبحوح قائلاً : " نستطيع أن نتغلب على ذلك أعنى أننا نستطيع تجاوز ذلك ، أعرف أن ذلك قد يكون صعباً " .

قاطعته تريسا وهي تشد على يده برفق قائلة :

" أعلم أنك تصدق ذلك ، وهناك جزء بداخلي يود تصديقه . فإذا أخذتني بين ذراعيك الآن ، وتوسلت إلى أن أبقى ، فإنني علي ثقة من أنني سأفعل ، لأنك أضفت معنى إلى حياتي . أضفت شيئاً كنت أفتقده منذ فترة طويلة ، ويمكن أن نستمر معاً مرة أخرى ، ونحن نعتقد أن كل شيء على ما يرام ... ولكن هذا غير صحيح ، ألا توافقني ؟ لأنه إذا حدث أى شجار بيننا فى المرة القادمة ... " ،
" ولكنى أحبك " .

ابتسمت برقة ، وتركت يده ، ومدت يدها وربتت على خده بنعومة ، وقالت : " إننى أحبك أيضاً يا جاريت ، ولكن الحب لا يكفى أحياناً " .

كان جاريت هادئاً عندما انتهت من حديثها ، وكان وجهه شاحباً . وأخذت تريسا تبكى .

مال نحوها ، وأحاطها بذراعيه وضمها إليه ، كانت ذراعاه واهنتين ، وأراح وجنتيه على شعرها حيث كانت تدفن وجهها فى صدره ، وكان جسدها كله يرتعد وهي تبكى . ومر وقت طويل قبل أن تمسح تريسا وجنتيها وتبتعد عنه . وأخذ كل منهما يتطلع إلى الآخر . وكانت عينا جاريت يملأهما التوسل و الرجاء ، هزت رأسها وقالت :

" لا أستطيع " .

آلمته كلماتها بشدة ، وشعر جاريت برأسه يدور ، وصاح قائلاً :
" لا " .

وقفت تريسا ، وقد أدركت أن عليها أن تذهب الآن قبل أن تفقد أعصابها . وبالخارج ، ارتفع هزيم الرعد ، وتبعه بلحظات قليلة سقوط أمطار شديدة .

قالت له : " على أن أرحل الآن " .

ثم حملت حقيبتها على كتفيها ، واتجهت ناحية الباب الأمامى ، وللحظات تسمر جاريت فى مكانه ، ولم يقو على الحراك .

وأخيراً وهو لا يزال يشعر بدوار - نهض من مقعده وتبعها إلى الخارج . وكانت الأمطار لا تزال تسقط بشدة ، وكانت العربة التى استأجرتها تقف أمام المنزل ، وشاهدها جاريت وهي تفتح باب السيارة وهو غير قادر على قول أى شيء .

وعلى مقعد القيادة ، أخذت تعبث بالمفاتيح لدقيقة ، ثم وضعتها فى مفتاح الإشعال ، وابتسمت ابتسامة باهتة وهي تغلق الباب . وعلى الرغم من الأمطار، قامت بخفض زجاج السيارة لتراه بوضوح ، وأدارت المفتاح ، وسمعت صوت المحرك ، وحقق كل منهما إلى الآخر والسيارة تقف فى الممشى المقابل للمنزل .

وقد كاد التعبير المرتسم على وجهه أن يجعل مقاومتها تنهار ، وللحظات فكرت أن تتراجع . وأرادت أن تخبره أنها لم تكن تعنى ما قالته ، وأنها لا تزال تحبه ، ولا يجب أن تنتهى علاقتهما هكذا . سيكون من السهل أن تفعل ذلك .

ولكن لا يهم ما تريده الآن ، فهي لا تستطيع أن تنطق بهذه الكلمات .

اتجه خطوة نحو السيارة ، وهزت تريساً رأسها لتمنعه من التقدم نحوها ، فيكفى ما حدث .

فقالته وهى لا تدرى إذا ما كان يسمعها أم لا :
" سأفتقدك يا جاريت " ، وقامت بتحريك ناقل السرعات إلى الورا .

وبدأت الأمطار تهطل بشدة ، وكانت قطراتها سميكة وشديدة البرودة .

ووقف جاريت ، وقد تجمدت أطرافه ، وقال : " أرجوك " ، ثم أردف فى غضب شديد : " لا ترحلى " ، وكان صوته خافتاً ، وقد محتته تقريباً أصوات الأمطار .
ولم تجب هى بكلمة .

كانت تعلم أنها ستشرع فى البكاء مرة أخرى إذا مكثت أطول من ذلك . فأغلقت زجاج السيارة ، وبدأت فى الرجوع بالسيارة إلى الورا . ووضع جاريت يده على هيكل السيارة عندما بدأت فى التحرك ، وأخذت أصابعه تنزلق على سطحها المبتل وهى ترجع ببطء إلى الورا ، وفى لحظات كانت السيارة فى الشارع ، على وشك الانطلاق ، وكانت ممسحة الزجاج تتحرك يميناً ويساراً .

صاح جاريت وقد شعر أن فرصته الأخيرة تنساب من بين يديه : " تريساً ، انتظرى ! "

لكنها لم تستطع مع السقوط المتواصل للأمطار أن تسمع ما يقول ، وابتعدت السيارة بالفعل عن المنزل . وأخذ جاريت يركض خلف السيارة ، وأخذ يلوح لها حتى يجذب انتباهها ، لكن لم يبد أنها لاحظته .

صاح مرة أخرى : تريساً ، وكان قد وصل إلى منتصف الطريق وهو يجرى خلف السيارة ، وكانت قدماه تخطوان فى برك المياه

الصغيرة التى تجمعت بفعل الأمطار ، فأخذت المياه تتناثر من حوله . والتمعت أضواء المكابح للحظة وتوقفت السيارة . وكانت مياه الأمطار تتساقط حولها ، جاعلة شكلها كالسراب . وكان جاريت يدرك أنها تراه من خلال المرآة العاكسة . وكانت تراه حقاً من على مسافة ، مازالت هناك فرصة ...

ولكن انطفأت أضواء المكابح ، وبدأت السيارة فى التحرك للأمام مرة أخرى ، ولكن بسرعة أكبر هذه المرة . وأخذ جاريت يجرى بسرعة خلف السيارة . وظل يطاردها وهى تنهب الطريق ، وأخذ يراقبها وهى تبتعد . وتقطعت أنفاسه ولكنه واصل الجرى خلفها ، وحجبت الأمطار الشديدة والرياح العاصفة الرؤية عنه بشدة .

وأخيراً هدأ من سرعته ، ثم توقف عن الجرى تماماً . وكانت الرياح تهب بشدة ، والتصق قميصه بجسده ، وتساقط المطر من حوله . وبعد أن توقف فى منتصف الطريق ، شاهد السيارة تأخذ منعطفًا وتختفى عن الأنظار .

ظل ساكناً بلا حراك ، ووقف فى منتصف الطريق لفترة طويلة ، وهو يحاول أن يلتقط أنفاسه ، آملاً أن تعود مرة أخرى إليه ، وتمنى لو استطاع أن يمنعها ، وتمنى لو تتاح له فرصة أخيرة .
لقد ذهب .

وبعد لحظات سمع صوت سيارة يأتى من الخلف ، وأحس بقلبه يدق بعنف ، واستدار بسرعة ومسح الأمطار من على عينيه ، وهو يتوقع أن يرى وجهها من خلف ممسحة الزجاج . ولكنه أدرك على الفور أنه كان مخطئاً . وتنحى جاريت جانباً حتى يفسح الطريق للسيارة . وشعر بنظرات الفضول التى رمقه بها قائد السيارة ، وعندئذ أدرك أنه لم يشعر بمثل تلك الوحدة من قبل .

وعلى متن الطائرة ، جلست تريسا وهي تضع حقيبتها على حجرها . وكانت هي آخر شخص وصل على متن الطائرة ، فلقد لحقت بالطائرة قبل أن تنطلق بدقائق .

نظرت من خلال النافذة ، ورأت الأمطار وهي تهطل بشدة . وأسفلها كان يتم تحميل آخر حقائب على الطائرة . وكان العاملون يسرعون بالعمل حتى لا تبطل الحقائب . وانتهوا من عملهم ، عندما تم إغلاق باب القمرة رجعوا بحامل الحقائب إلى مبنى الركاب مرة أخرى خلال دقائق .

قامت المضيفات بالاتجاه نحو القمرة ، وإلقاء نظرة أخيرة حتى يتأكدن أن كل شيء قد وضع فى مكانه ، ثم اتخذت كل منهن مقعدها ، ولمعت أضواء القمرة عندما بدأت الطائرة تحركها تجاه ممر الإقلاع ، مبتعدة عن مبنى الركاب .

ثم توقفت للحظات بمحاذاة المبنى وهي تنتظر الإذن لها بالإقلاع .

ودون وعى ، نظرت تريسا نحو مبنى الركاب ، ولمحت بجانب عينها خيال شخص ما ، يقف بمفرده بجوار نافذة مبنى الركاب ، وكان يضع يده على الزجاج .

واقتربت ببصرها وهي تحدث نفسها قائلة : " هل هذا معقول ؟ هل يمكن أن يكون هو ؟ "

لكنها لم تكن على يقين ، فقد حجبت الرؤية عنها تلك الأمطار المتساقطة على زجاج نافذة مبنى الركاب ، فلو لم يقف بالقرب من الزجاج لما أدركت وجوده على الإطلاق .

أخذت تريسا تحديق إلى الشخص الواقف ، وقد احتبست أنفاسها .

وظل الشخص واقفاً بلا حراك .

وارتفع صوت محرك الطائرة ، ثم هدأ عندما بدأت الطائرة دورتها إلى الأمام ، وأدركت أنه لم يتبق سوى دقائق على إقلاع الطائرة . وابتعدت الأبواب خلفهم ، عندما بدأت الطائرة تزيد من سرعتها تدريجياً

ستتقدم الطائرة للأمام ... نحو ممر الإقلاع ... بعيداً عن ويليمينجتون .

أدارت رأسها من أجل إلقاء نظرة أخيرة ، وكان من المستحيل أن تعرف إذا كان الشخص ما زال واقفاً أم لا .

وبينما كانت الطائرة تتخذ موضعها النهائى على ممر الإقلاع ، أخذت هي تنظر خارج النافذة ، وهي تتساءل إذا كان الشخص الذى لمحتة حقيقة أم محض خيال . وشعرت تريسا بدفعة المحرك ؛ بينما الطائرة تشق طريقها على ممر الإقلاع . وسمعت أصوات الإطارات وهي ترفع تماماً من على الأرض . وكانت تريسا تغالب دموعها والطائرة ترتفع أعلى فأعلى . وشاهدت تريسا ويليمينجتون وهي تبتعد . ولم تستطع أن تتبين سوى الشواطئ الخالية ... الجسر ... المرسى ...

دارت الطائرة دورتها نحو الشمال متجهة إلى وجهتها ، وكل ما تستطيع أن تراه الآن هو المحيط الذى جمعهما سوياً .

كانت الشمس تختفى خلف السحب الكثيفة ، وقبل أن تحلق الطائرة بين السحب ، التى ستطمس كل شيء خلفها ، وضعت تريسا يدها على الزجاج ولمسته برفق ، وهي تتخيل لمسة يديه مرة أخرى .

وهمست قائلة : " وداعاً " .

وأجهشت بالبكاء .

صورته مرة أخرى ، وعندما لم تفلح فى ذلك ثانية ، أدركت أن عليها أن تذهب الآن . استأنفت السير مرة أخرى ولكن ببطء هذه المرة ، وأخذت تتساءل إذا كان يستطيع أن يخمن سبب قدومها إلى هنا .

ورغما عنها ، وجدت نفسها ترجع بذاكرتها إلى الأيام التى أعقبت وداعهما الأخير أخذت تفكر طويلاً وتحديث نفسها قائلة : " لقد أمضينا وقتاً طويلاً نحاول تعويض ما فشلنا فيه ، " ماذا لو ؟ " وبدأت ذكريات تلك الأيام الماضية تتجسد ، وتتدافع أمامها متلاحقة .

ماذا لو ...

بعد أن عادت تريساً إلى بوسطن ، قامت باصطحاب كيفن وهى فى طريقها من المطار إلى البيت . أخذ كيفن الذى قضى اليوم فى منزل أحد أصدقائه يعيد على مسامعها أحد الأفلام التى شاهدتها ، وهو لا يدرك أن أمه لا تستمع إلى حرف مما يقوله . وعندما وصلا إلى المنزل ، قامت أمه بطلب بيتزا ، وتناولوا طعامهما فى غرفة المعيشة ، وهما يشاهدان التلفاز . وعندما انتهيا من تناول الطعام ، فاجأت كيفن برغبتها فى أن يجلس معها لفترة من الوقت قبل أن يشرع فى أداء الواجبات المدرسية . وبمجرد أن جلس أمامها على الأريكة ، رمقها بنظرة يملؤها الفضول والقلق ، ولكنها أخذت تربت على شعره وتبتسم ، وقد كان ذهنها شاردًا ، كما لو كانت فى مكان بعيد .

وفى المساء ، وبعد أن ذهب كيفن إلى فراشه ، و أدركت أنه قد خلد إلى النوم قامت بارتداء لباس النوم ، وأعدت لنفسها كوباً من

الفصل الثالث عشر

جاء الشتاء مبكراً هذا العام ، ولاحظت تريساً وهى تجلس على الشاطئ بالقرب من البقعة التى عثرت فيها على الزجاجاة أن نسيم المحيط البارد كان يهب بشدة منذ أن وصلت فى الصباح ، وكانت السحب الرمادية تتجمع وتتكاثر فوقها ، أخذت الأمواج فى الارتفاع وراحت تتلاطم بشدة ، فأيقنت أن هناك عاصفة على وشك الهبوب .

لقد مكثت هنا معظم اليوم ، وهى تسترجع علاقتها مع جاريت حتى اليوم الذى ودعا فيه بعضهما البعض . وراحت تستعيد ذكرياتهما سوياً . وطوال العام الماضى ، كان تطاردها صورته وهو يقف أمام المنزل ، وكذلك عندما رآته فى المرآة العاكسة وهو يطارد سيارتها . إن الانفصال عنه كان أصعب شىء مرت به فى حياتها . ولطالما تمننت أن ترجع بالزمن إلى الوراء إلى ذلك اليوم .

نهضت أخيراً ، وسارت على الشاطئ فى صمت ، وتمنت لو كان بصحبتها الآن ، فقد كان سيستمع بيوم هادئ كهذا . وأخذت تتخيله وهو يسير بجانبها . وتوقفت وقد سحرها منظر المياه والأمواج المتسارعة ، وعندما أدارت رأسها ، اختفت صورته من مخيلتها ، وتوقفت فى مكانها لفترة طويلة ، وهى تحاول استحضار

عصير الفاكهة ، وقامت وهي في طريقها إلى غرفة النوم بتشغيل جهاز الرد الآلي .

وفي يوم الاثنين ، تناولت طعام الغداء مع ديانا وقصت عليها كل ما حدث ، وحاولت أن تبدو قوية . ولكن أمسكت ديانا بيدها بشدة ، واستمعت إليها دون أن تتحدث كثيراً .

ثم قالت تريسا بعد أن انتهت من حديثها : " ذلك أفضل لكلينا ، وأنا راضية بذلك " ، فنظرت ديانا إليها وكانت عيناها مليئتين بالإشفاق عليها ، ولكنها لم تتفوه بكلمة . بل أومأت برأسها إعجاباً بشجاعة تريسا .

وحاولت تريسا جاهدة في الأيام التالية أن تتجنب التفكير فيه ، وكانت تشعر بالراحة وهي تكتب مقالاتها . فلقد استنفذ تركيزها في البحث عن موضوعات ملائمة ، وكتابتها بكل طاقتها العقلية ، ولقد ساعدها على ذلك أيضاً جو العمل المحموم في غرفة الأخبار . ولأن ما قالته لها ديانا كانا صحيحاً بشأن المحادثة مع دان ماندل ، ولقد أقيمت تريسا على عملها بنشاط وحماس . فكانت تقوم بإعداد مقالاتين أو ثلاث في اليوم بأسرع مما كانت تفعل من قبل .

وفي المساء ، حينما كان يأوى كيفن إلى فراشه ، وتظل هي بمفردها ؛ كانت تجد صعوبة في إبعاد صورته عن مخيلتها . فكانت تحاول أن تركز انتباهها بدلاً من ذلك في أداء أعمال أخرى . فقامت بتنظيف المنزل بأكمله خلال الأمسيات القليلة التالية - حيث قامت بتنظيف الأرضيات ، والثلاجة ، وإزالة التراب من جميع أرجاء الشقة ، وإعادة ترتيب خزانة الملابس ، فلم تترك شيئاً لم تقم به في المنزل ، بل أخذت تبحث في أدراجها عن الملابس التي لم تعد ترتديها بعد ، وذلك من أجل التبرع بها .

وبعد أن قامت بوضع هذه الملابس في صناديق ، حملتها إلى السيارة ووضعتها في مؤخرتها . وأخذت تذرع الشقة جيئة وذهاباً في تلك الليلة ، تبحث عن شيء تفعله - أي شيء - ، وأخيراً أدركت أنها قد قامت بأداء جميع الأعمال ولم يتبق شيء . إلا أنها لم تستطع النوم ، فأدارت مؤشر التلفاز ، وأخذت تستعرض قنواته ، وتوقفت عندما شاهدت ليندا رونسدادت في برنامج تونليت . فلقد كانت تريسا دوماً تحب الاستماع إلى موسيقاها . ولكن عندما اتجهت ليندا ناحية الميكروفون لتعزف مقطوعة حاملة ، أجهشت تريسا بالبكاء ، ولم تتوقف عن البكاء لنحو ساعة كاملة .

وفي عطلة هذا الأسبوع ، ذهبت هي وكيفن ليشاهدة مباراة بين فريقى نيوانجلاند باتريوت وشيكاغوبيرز . وقد ألح عليها كيفن في الذهاب ، ورضخت لرغبته وجلست تشاهد اللعب وهي لا تدري شيئاً عن اللعبة ، وجلسا في المدرجات ، وتناولوا الشيكولاتة وشجعا فريقهما .

وبعد ذلك ، وحينما ذهبا لتناول العشاء ، أخبرت تريسا كيفن بعد تردد بأنها لن تلتقى بـ " جاريت " بعد الآن .

قال لها : " هل حدث شيء ما يا أمي حينما ذهبت لرؤية جاريت في المرة الأخيرة ؟ هل ارتكب شيئاً ما أغضبك ؟ " فأجابته بهدوء : " كلا ، لم يفعل شيئاً " ، وترددت قليلاً ، قبل أن تشيح بوجهها بعيداً .

وبدا وكأن كيفن قد اقتنع بهذه الإجابة ، فهي كل ما تستطيع أن تقوله له في الوقت الحالى .

وفي الأسبوع التالى ، وحينما كانت تعمل أمام شاشة الحاسوب دق جرس الهاتف .

" هل تريسا المتحدثة ؟ "

سألته وهي تجول بعينيها في أرجاء المنزل بفضول ؛ بحثاً عن جاريت : " ماذا حدث ؟ "

بدا جيب أكبر سناً مما رأته من قبل ، فقادها إلى المائدة الموضوعة في المطبخ ، وجذب مقعداً حتى تجلس عليه ، وشرع في الحديث عما عرفه .

قال بهدوء : " من خلال حديثي إلى مختلف الأشخاص ، استطعت أن أعرف أن جاريت قد استقل هابينستانس في وقت متأخر عن المعتاد ... "

كان يعلم أن عليه فعل هذا ، فـ " جاريت " يدرك جيداً أن السحب المظلمة الثقيلة في الأفق تنذر بقدوم عاصفة ، لكنها كانت بعيدة بما يكفي لإعطائه بعض الوقت الذي يحتاجه في الإبحار ، وبالإضافة إلى أنه سيبحر على بعد أميال قليلة فقط . وإذا حدث وهبت العاصفة ، فسيكون على بعد مسافة تمكنه من العودة سريعاً مرة أخرى إلى المرفأ . وبعد أن قام بارتداء القفازات استقل هابينستانس خلال الأمواج التي أخذت في الارتفاع ، ونشر القلاع في الاتجاه الصحيح .

ظل جاريت لثلاث سنوات يسلك نفس الاتجاه كلما خرج في عرض المحيط ، مدفوعاً بإحساسه الغريزي ، وذكرياته مع كاثرين . فلقد كانت فكرتها أن يبحر باتجاه الشرق في تلك الليلة . وكانت دائماً ما تتخيل أنهما يبحران إلى أوروبا ، وهو المكان طالما الذي رغبت في الذهاب إليه . فقد كانت تعود أحياناً من المتجر وفي يدها بعض مجلات عن السفر والسياحة ، وكانت تقلب صفحاتها وهو جالس بجوارها . فقد كانت ترغب بشدة في زيارة أوروبا ، ومشاهدة قلعة " لوار " الشهيرة ، " والبارثينون " ، والأراضي

أجابت ولم تدرك الصوت المتحدث بعد : " نعم . أنا هي " .

" إنني جيب بليك ، والد جاريت ، أعرف أن ذلك سيبدو غريباً ، ولكنني أود التحدث إليك " .

فتلعثمت قليلاً ، وقالت : " آه ، مرحباً ، لدى عدة دقائق للحديث الآن " .

فتوقف برهة ، ثم قال : " إنني أود أن أتحدث إليك شخصياً ، إذا كان ممكناً ، فهو شيء لا يمكن شرحه عبر الهاتف " .

" هل يمكنني أن أعرف الموضوع الذي سنتحدث بشأنه ؟ "

قال بهدوء : " إنه بشأن جاريت . أعرف أنني سأرهقك بمطلبي ولكن ، هل يمكنك أن تأتي إلي هنا ؟ إن الأمر جد مهم ، ولم أكن لأطلب منك ذلك ، إلا إذا كان الأمر كذلك " .

وافقت أخيراً على الذهاب ، وتركت عملها وذهبت إلى مدرسة كيفن ، وجعلته يغادر المدرسة مبكراً في هذا اليوم . وقامت باصطحابه إلى أحد أصدقائه الذين تثق فيهم ، وأخبرته أنها ستسافر لأيام قلائل . وحاول كيفن أن يسألها عن رحلتها المفاجئة هذه ، ولكن تصرفاتها الغريبة المشتتة ، جعلته يدرك أنها ستشرح له الأسباب فيما بعد .

قال لها وهو يودعها : " الوداع يا أمي " .

فأومات تريسا فقط برأسها ، ثم توجهت إلى المطار ، واستقلت أول رحلة ، وبمجرد أن وصلت إلى ويلمينجتون ، واتجهت على الفور لمنزل جاريت ، حيث ينتظرها جيب هناك .

قال جيب بمجرد أن رآها : " إنني سعيد ؛ لأنك استطعت المجيء " .

الجبلية الأسكتلندية ، والباسيليكا ، وكل الأماكن الأخرى التي قرأت عنها فقد كانت تتمنى الذهاب في رحلة إلى الأرض البعيدة والغريبة . وكانت أماكن الرحلة التي تود الذهاب إليها تتغير في كل مرة تبتاع فيها مجلة جديدة .

ولكنهما لم يذهبا بالطبع إلى أوروبا . وقد ندم جاريت أشد الندم على ذلك . وعندما كان يسترجع حياتهما سوياً ، كان يدرك أنه كان عليه أن يصطحبها إلى هناك ، فقد أدرك أن ذلك كان ممكناً حينئذ . فقد قاما بجمع الأموال لمدة سنتين ، التي تمكنهما من الذهاب ، وأخذا يخططان لذلك ، ولكنهما استخدمتا هذه الأموال في النهاية في شراء المركز . وبعد أن أدركت أن مسؤوليات العمل لن تسمح لهما بالوقت الكافي للرحيل إلى أوروبا . بدأت أحلامها في تلك الرحلة تتلاشى ، وكانت قليلاً ما تبتاع المجلات ، ثم أصبح من النادر أن تذكر أوروبا .

وفي الليلة الأولى ، التي استقلا فيها هاينستانس في عرض المحيط ، كان يعلم أنها لا تزال تحلم بزيارة أوروبا . فقد وقفت عند مقدمة السفينة ، واتجهت ببصرها بعيداً ، وهي تمسك بيد جاريت وسألته برقة : " ألن نذهب أبداً إلى هناك ؟ " وظلت صورتها تلك في مخيلته دائماً ، حيث كان شعرها يتطاير في الهواء ، وتعبيرات الأمل والرجاء ترتسم على وجهها ، فقد كانت كالملاك الحالم .

ووعدها قائلاً : " نعم ، بمجرد أن يتاح لدينا الوقت " . وفي أقل من عام ، توفيت كاثارين في المستشفى وهي حامل في طفلها الأول ، وكان جاريت بجوارها . وفيما بعد ، وحينما بدأ يحلم بتلك الأحلام ، لم يكن يدري ماذا يفعل حيالها . وحاول أن يطرد عن ذهنه هذه المشاعر المؤلمة ،

ولكنه لم يفلح . وفي صباح أحد الأيام ، حاول أن يجد راحتته وسلواه في ترجمة هذه الشاعر التي تعتريه إلى كلمات ، فأخذ يكتب بسرعة ودون توقف . كانت أول رسالة كتبها عبارة عن خمس صفحات ، ثم حمل معه الرسالة عندما أبحر في ذلك اليوم . وعندما قرأها ثانية طرأت على ذهنه فكرة ما ، وهي أن تيار الخليج الحار عندما يتدفق ناحية ساحل الولايات المتحدة يتجه شرقاً بمجرد أن يصل إلى مياه الأطلنطي الباردة ، فيمكنه أن يلقي الرسالة في زجاجة في هذا الاتجاه . وبذلك تتجه شرقاً مع هذا التيار ، وتصل إلى أوروبا ، وتطفو على الأراضي التي طالما حلمت كاثارين بزيارتها . واتخذ قراره بذلك ، ووضع الرسالة في زجاجة ألقي بها في مياه المحيط ، وبذلك يستطيع أن يفى بالوعد الذي قطعه ، وأصبحت تلك عادته .

ومنذ ذلك الحين ، شرع في كتابة ست عشرة رسالة - سبع عشرة إذا أخذنا في الاعتبار تلك الرسالة التي معه الآن ، وبمجرد أن جلس أمام عجلة القيادة اتجه بالسفينة ناحية الشرق . وكان كل فترة ودون وعى منه يتحسس الزجاجة التي وضعها في جيب معطفه . فقد كتبها في ذلك الصباح بمجرد أن استيقظ .

بدأت السماء تتحول إلى اللون الرمادي . ولكن جاريت اتجه ببصره نحو الأفق ، وكان المذياع بجانبه يحذر من هبوب عاصفة شديدة . وبعد لحظة من التردد قام بإغلاق المذياع ، والنظر إلى السماء . كان لا يزال لديه وقت ، صحيح أن الرياح قوية وثابتة ، ولكن لا يمكن التنبؤ بقدم العاصفة بعد .

وبعد أن قام بكتابة الرسالة إلى كاثارين ، شرع في كتابة رسالة أخرى أيضاً ، وهي الرسالة التي اهتم كثيراً بكتابتها . وبسبب الرسالة الثانية ، أدرك أن عليه أن يلقي برسالة كاثارين اليوم .

كانت العواصف تتجه نحو الأطلنطي ، وتتحرك ببطء في اتجاه السواحل الشرقية ، وقد كان يعرف من خلال التقارير التي شاهدها في التلفاز ، أنه لن يتمكن من الإبحار قبل أسبوع ، وهو وقت طويل لا يستطيع انتظاره ، فسيكون الوقت قد فات عندئذ .

أخذ البحر في الارتفاع ، واشتدت الأمواج ، وبدأ الشراع يتحرك بشدة خلال الرياح الشديدة المنتظمة . وأخذ جاريت يقيم اتجاهه - إن المياه عميقة هنا ، ولكن ليست بدرجة كبيرة . ولا وجود لتيار الخليج الدافئ الآن - وهو ظاهرة صيفية - والطريقة الوحيدة التي يمكن أن تصل بها الزجاجاة نحو الشرق هي أن يتم إلقاؤها من على مسافة بعيدة من داخل المحيط . فيمكن للعواصف أن تلتقي بها على الشواطئ بعد أيام قلائل . ومن بين الرسائل التي كتبها كانت هذه الرسالة هي الوحيدة الذي رغب بشدة في أن تصل إلى شواطئ أوروبا . وكان قد قرر أنها الرسالة الأخيرة التي سيقوم بإلقائها .

وأخذت السحب تتكاثر وتتكاثر بشدة في الأفق .

وارتدى المعطف الواقى من المطر ، على أمل أن يحميه قليلاً إذا ما تساقطت الأمطار .

أخذت السفينة تتمايل وهي تشق طريقها بعيداً في المياه . وأمسك بعجلة القيادة بكلتا يديه ، محاولاً أن يسيطر عليها بكل ما أوتى من قوة . وعندما تحول اتجاه الرياح - وهو مؤشر بقدوم العاصفة - بدأ يسير في اتجاهها . إن السير في اتجاه الرياح سيكون عسيراً في هذه الأحوال ، وبدأ يبطئ من سيره بالسفينة ، ولكنه بعد ذلك فضل أن يسير بعكس اتجاه الرياح الآن بدلاً من محاولة السير في اتجاهها ؛ حتى يكون الأمر يسيراً عند عودته إذا ما هبت العاصفة .

وقد أرهاقه المجهود الذي قام به ، وكان تحويل اتجاه القلاع يستنفد القوة التي يحتاجها حتى لا يفقد السيطرة على السفينة . وعلى الرغم من القفزات التي كان يرتديها إلا أن الحبال جرحته يده ، وعندما اشتدت الرياح بصورة غير متوقعة ، كاد يفقد سيطرته على السفينة . ولكن ما أنقذه في هاتين المرتين ، هو أن الرياح كانت تخف بسرعة في حينها .

واستمر في السير باتجاه الرياح لمدة ساعة ، وذلك كلما أحس بقدوم الرياح ، وبدا له وكأن الرياح قد هدأت ، ولكنه كان يدرك أن ذلك وهم ، فسرعان ما تعصف بالأرض في غضون ساعات قليلة . فبمجرد أن تهب على المياه الضحلة تزداد سرعتها ، ويصبح من المستحيل الإبحار في المحيط ، فهي الآن تشبه الفتيل الذي على وشك الانفجار .

لقد أبحر جاريت من قبل أثناء عواصف شديدة ، وكان يدرك قوة وخطر العاصفة هذه المرة ، فإذا اتخذ أى خطوة غير محسوبة ، فسوف يبتلعه المحيط ، وقد صمم على ألا يحدث ذلك أبداً . لقد كان عنيداً ولكنه لم يكن أحمق ، ففي اللحظة التي سيستشعر فيها خطراً حقيقياً ، فسيحول اتجاه السفينة ، ويعود فوراً إلى الميناء .

أخذت السحب تتكاثر بشدة فوق رأسه ، وتتلوى وتستدير وتتخذ أشكالاً جديدة . وبدأت تسقط أمطار قليلة ، فنظر جاريت عالياً ، وأدرك أنها بداية العاصفة . وأخذ يغمغم قائلاً : " إننى بحاجة إلى دقائق قليلة " .

أضاء البرق السماء ، وأخذ جاريت يعد الثوانى قبل أن يسمع صوت الرعد ، وبعد دقيقتين والنصف شق صوت رعد السماء أنحاء المحيط ، إن مركز العاصفة على بعد خمسة وعشرين ميلاً . فمع

سرعة الرياح المعتادة ، لا يزال أمامه ساعة قبل أن تهب بكل قوتها ، وسوف يعود أدراجه قبل ذلك بوقت طويل .
استمر هطول الأمطار .

وبدأ الظلام يزحف وهو يشق طريقه . وعندما بدأت الشمس في المغيب ، حجبت السحب ما تبقى من ضوء الشمس سريعاً ، وانخفضت درجة حرارة الجو ، وبعد مرور عشر دقائق ، اشتد هطول الأمطار .

اللعنة ! إن الوقت يمر سريعاً ، ولم يصل للمكان الذي يقصده بعد .

أخذت الأمواج في الارتفاع ، وأخذت هابينستانس تتمايل عبر مياه المحيط . ومن أجل الحفاظ على توازنه قام بإبعاد كلتا قدميه عن الأخرى . كانت عجلة القيادة ثابتة ، ولكن أخذت الأمواج في الارتفاع وأخذت تهز السفينة بشدة ، حتى إنها أخذت تتأرجح ، ولكنه صمم على مواصلة الإبحار .

وبعد مرور دقائق أضاء البرق السماء مرة ثانية ثم تبعه الرعد . إن العاصفة على بعد عشرين ميلاً إذا استمرت العاصفة في التقدم على هذا النحو فلأزال لديه الوقت للعودة إلى الميناء في الوقت المناسب ، طالما استمرت الرياح في الهبوب في نفس الاتجاه .

ولكن إذا تغير اتجاه الرياح

إنه في عرض البحر منذ ما يقرب من ساعتين والنصف - ويسير في اتجاه الرياح ، وهو بحاجة إلى ساعة والنصف على الأكثر ليعود أدراجه إلى الميناء . وإذا سار كل شيء كما خطط له ، فستهب العاصفة على الأرض في نفس الوقت الذي سيعود فيه .

" اللعنة " ، قالها بصوت عال هذه المرة ، إن عليه أن يلقي بالزجاجة الآن ، على الرغم من أنه لم يصل إلى النقطة التي كان يريد إلقاء الزجاجة فيها .

أمسك عجلة القيادة بيد واحدة ، ومد يده الثانية إلى حيث المعطف وأخرج الزجاجة . وأحكم إغلاق السدادة جيداً ، ثم حمل الزجاجة خلال الضوء الخافت ، واستطاع أن يرى الرسالة ملفوفة جيداً بداخلها .

ونظر إليها ، وشعر بأنه أنهى مهمته ، كما لو كان في رحلة طويلة أوشكت على الانتهاء .

وهمس بصوت غير مسموع وسط الأمواج المتلاطمة :
" أشكرك " .

ثم ألقى بالزجاجة لأقصى مسافة يستطيعها ، وشاهدها وهي تطير وتستقر في المياه ، لقد أنهى المهمة .
والآن ، عليه أن يحول اتجاه السفينة .

وفي تلك اللحظة ، أضاء البرق السماء مرة ثم مرة ثانية ، إن العاصفة على بعد خمسة عشر ميلاً الآن .

حدث نفسه قائلاً : " لا يمكن أن تأتي بهذه السرعة " ، ولكن يبدو أن العاصفة سريعة وقوية ، وهي تتمدد كبالون ، في اتجاهه مباشرة .

استخدم الحبل ، ليثبت عجلة القيادة ، بينما عاد هو إلى مؤخرة السفينة . إن الدقائق تمر سريعاً ، وجاهد بشدة من أجل أن يحكم سيطرته على دفة الشراع . وقد جرحت الحبال يده بشدة ، وأخذت تمزق القفازات ، ونجح أخيراً في تغيير اتجاه الشراع ، ومالت السفينة بشدة وهو يغالب الرياح . وبمجرد أن شق طريقه عائداً ، هبت رياح شديدة من اتجاه مختلف .

فالهواء الساخن يتجه ناحية الهواء البارد .

وأدار المذياع ، فسمع تحذيراً ، ورفع صوت الراديو ، وأنصت باهتمام حيث كانت النشرة الجوية تصف الطقس المتغير بشدة " نكرر تحذير هبوب رياح وعواصف شديدة أمطار غزيرة غير متوقعة " .

إن العاصفة تقترب .

إن الرياح تشتد مع انخفاض درجة الحرارة ، فلقد زادت واشتدت بسرعة ثابتة خلال الثلاث دقائق الأخيرة ، بخمس وعشرين عقدة بحرية .

أمسك عجلة القيادة وأدارها بقوة ، وقد تزايد إحساسه بالخطر . لكن لم يحدث شيء .

أدرك فجأة أن الأمواج المتزايدة ترفع مؤخرة السفينة ، وتمنع دفة السفينة من الاستجابة . وبدا وكأن السفينة توقفت في الاتجاه الخطأ ، وأخذت تتمايل وتترنح . وارتطمت السفينة بشدة بموجة عالية ، وكادت مؤخرة السفينة أن تغوص تماماً في المياه .

همس قائلاً : " هيا ... هيا ، تحولى " ، وشعر بالخوف يمتلكه ، فلقد استغرق تحويل دفة السفينة وقتاً طويلاً ، وأظلمت السماء ، وازداد هطول الأمطار بصورة متصلة . وأخيراً ، تحولت دفة السفينة .

ولكن ببطء شديد ، ولا زالت السفينة تتمايل بشدة على جانبيها .

وبفزع شديد ومتزايد شاهد مياه المحيط ترتفع بشدة ، وتتحول إلى موجة شديدة الارتفاع تتجه نحوه مباشرة . وليس باستطاعته تفاديها .

غطى وجهه بذراعيه ، وعندما ارتطمت الموجة بشدة بجسم السفينة ، تمايلت هابينستانس بشدة في المياه ، والتوت أرجله ، ولكنه كان لا يزال يحكم قبضته على القيادة . وزحف على قدميه ثانية عندما ارتطمت بالسفينة موجة أخرى .

وغمرت المياه سطح السفينة .

أخذت السفينة تصارع الأمواج حتى تبقى ثابتة في مواجتها ، وأخذت المياه تغمر سطح السفينة بشدة . وفجأة ضعفت الرياح ، وبمعجزة ، استعادت السفينة وضعها مرة أخرى في المياه . وأخذت السارية في الارتفاع قليلاً في السماء المظلمة ، وتحولت الدفة مرة أخرى ، وأخذت جاريت يدير عجلة القيادة بشدة . وهو يعلم أن عليه أن يدير السفينة ويحول اتجاهها سريعاً .

ثم أضاء البرق في السماء مرة أخرى ، إن العاصفة على بعد سبعة أميال الآن .

وانبعث تحذير من المذياع : " أكرر تحذير من المتوقع أن تصل سرعة الرياح إلى أربعين عقدة بحرية أكرر ... سرعة الرياح وصلت إلى أربعين عقدة بحرية ، وسترتفع إلى خمسين " .

أدرك جاريت أنه في خطر ، وليس هناك سبيل إلى أن يحكم سيطرته على هابينستانس خلال رياح بهذه القوة والشدة . استمرت السفينة في الدوران ، وهي تصارع الحمولة الزائدة من المياه وأمواج المحيط . وكان عمق المياه التي تحت قدميه يصل إلى ست بوصات تقريباً .

وفجأة هبت رياح شديدة من الاتجاه المعاكس أعاقت تقدمه ، وأخذت تعصف بالسفينة كلعبة صغيرة .

وعندما أصبحت السفينة ضعيفة فى مهب هذه الرياح ، اصطدمت موجة هائلة بجسم السفينة ، وانخفضت السارية وهى تميل نحو المحيط .

لن تتوقف الرياح هذه المرة .

استمرت الأمطار الباردة فى الهطول ، وحجبت عنه الرؤية ، وتمايلت هاينستانس بشدة . وأصبح الشراع مثقلاً بمياه الأمطار . وفقد جاريت توازنه مرة أخرى ، وإذا لم يتمكن من تعديل وضع السفينة مرة أخرى ، فسينتهى الأمر إذا ما ارتطمت بها موجة أخرى .

وجاءت الموجة بالفعل بأسرع مما توقع .

وبأقصى قوة أطاحت موجة هائلة بالسفينة ، وجعلتها تميل على جانبها وسقطت السارية والشراع فى المياه . لقد تحطمت السفينة ، وتشبث جاريت بعجلة القيادة ، وقد أدرك أنه إذا أفلتها ، فسيسقط فى المياه .

أخذت المياه تغمر هاينستانس بسرعة ، وكانت السفينة تترنح كوحش هائل يغرق .

كان عليه أن يعثر على أدوات الطوارئ والتي تحتوى على طوف ، فهو فرصته الأخيرة للنجاة . وشق جاريت طريقه بصعوبة نحو باب القمرة ، وهو يتشبث بأى شىء فى طريقه ، وأخذ يصارع الأمطار من أجل إنقاذ حياته ، وتعاقب البرق والرعد مرة ثانية .

وصل أخيراً إلى باب القمرة وجذب المقبض ، ولكنه لم يتزحزح ، فدفعه بقدمه ، وبالفعل انفتح الباب ، وغمرت المياه القمرة ، وأدرك حينئذ أنه قد ارتكب خطأ جسيماً .

غمرت المياه القمرة من الداخل ، ولاحظ جاريت على الفور أن أدوات الطوارئ - والموضوعة فى سلة على الحائط - قد غمرتها المياه

تماماً ، وأدرك أخيراً أنه لم يتبق شىء يستطيع أن يمنع السفينة من الغرق فى مياه المحيط .

تملكه الذعر ، وجاهد من أجل إغلاق باب القمرة ، ولكن قوة اندفاع المياه ووهنه جعلاه من ذلك أمراً مستحيلاً ، وغرقت هاينستانس سريعاً ، حيث غمرت المياه هيكل السفينة خلال ثوان .

وبدأ عقله ينشط ثانية .

سترة النجاة

إنها موجودة أسفل المقاعد بالقرب من مؤخرة السفينة ونظر حوله ، ووجد أن المياه لم تغمرها بعد .

فصارع باستماتة ، حتى يصل إلى حافة السفينة الجانبية ، وهى الجزء الوحيد الذى لا يزال فوق المياه . وتشبث به بشدة ووصلت المياه حتى صدره ، وكانت رجلاه تتحركان فى مياه المحيط ، أخذ يلعن نفسه ، فقد كان عليه أن يرتدى سترة النجاة منذ البداية .

وأصبح ثلاثة أرباع السفينة فى المياه .

جاهد من أجل أن يصل إلى المقاعد ، وصارع الأمواج العنيفة بكل ما أوتى من قوة ، ووصلت المياه حتى عنقه فى منتصف الطريق .

وهنا أدرك حقيقة الموقف . إنه لن ينجح .

وصلت المياه إلى ذقنه وهنا توقف أخيراً عن المحاولة ، ونظر إلى أعلى وقد وهن جسمه ، ولكنه رفض أن يصدق أنها النهاية .

وابتعد عن حافة السفينة ، وبدأ يعوم بعيداً عن السفينة وسقط معطفه وحذاؤه فى المياه ، وأخذ يسبح فى المياه ويرتفع مع الأمواج وهو يشاهد هاينستانس تغوص تماماً فى مياه المحيط . ومع شعوره

بالبرودة والإرهاق الشديد ، استدار ، وشرع فى السباحة ناحية الشاطئ البعيد .

* * *

جلست تريسا قبالة جيب على المائدة ، ولأن جيب كان يتحدث بصورة متقطعة ، فقد استغرق وقتاً طويلاً حتى يخبرها بما يعرفه .

ولاحقاً عندما كانت تريسا تسترجع ما حدث ، كانت تذكر أنها استمعت لما قاله لها جيب ، وقد ملاًها الفضول وليس الخوف ، فقد كانت واثقة أن جاريت قد كتبت له النجاة ، لأنه بحار ذو خبرة كبيرة ، بل هو سباح ماهر . لقد كان يتمتع بحذر وحرص شديد ، وكان يقظاً ولا يمكن أن يغلبه شيء كهذا ، وإذا حدث وتغلب أحد على هذا الموقف ، فلا بد أن يكون هو .

مالت ناحية جيب وقد تملكته الحيرة ، وقالت : " إننى لا أفهم لماذا استقل السفينة إلى عرض المحيط ، إذا كان يعلم أن هناك عاصفة شديدة على وشك الهبوب ؟ "

قال بهدوء : " لا أدرى " ولم يستطع أن ينظر فى عينيها .
عقدت تريسا حاجبيها ، وقد شعرت وكأنها تحلم ، وقالت :

" هل أخبرك بشيء قبل أن يبحر ؟ "

هز جيب رأسه بالنفى ، وكان وجهه شاحباً ، خافضاً عينيه وكأنه يخفى شيئاً ما . وأخذت تريسا تجول ببصرها فى المطبخ دون وعى ، لقد كان كل شيء مرتباً وفى موضعه ، واستطاعت أن ترى خلال غرفة النوم ، غطاء جاريت وقد تم فرشاه بعناية على الفراش . وللغرابة ، كانت هناك بعض الزهور التى تم وضعها فوقه .

قالت له : " إننى لا أفهم شيئاً . إنه بخير ، أليس كذلك ؟ "

قال جيب أخيراً وقد اغرورقت عيناه بالدموع : " تريسا ، لقد عثروا عليه صباح أمس " .
" هل هو بالمستشفى ؟ "

" كلا " .
فقالت وهى لا تبغى تصديق ما أدركته للتو : " إذن أين هو ؟ " ولم يجيبها جيب .
وفجأة أحست بأنها تتنفس بصعوبة ، وبدأ جسمها يرتعد ، وأخذت تحدث نفسها قائلة : ماذا حدث ؟ أين أنت يا جاريت ؟ لماذا لا أجدك هنا ؟ وحنى جيب رأسه حتى لا تلمح الدموع فى عينيه ، ولكنها استطاعت أن تسمع صوت أنفاسه المتقطعة .
قال جيب قد خفت صوته : " تريسا ... "

وثبتت بقدميها ، وقد ارتفع الأدرينالين فى عروقها ، وسمعت صوت سقوط المقعد على الأرض خلفها ، وكأنه يأتى من مكان سحيق .

نظر جيب إليها فى صمت ثم بحركة متعمدة ، جفف دموعه بظهر يديه وقال : " لقد وجدوا جثته بالأمس " .
شعرت بأن صدرها ينقبض وكأنها تختنق .
لقد رحل جاريت يا تريسا .

وعلى الشاطئ ، حيث بدأ كل شيء ، أخذت تريسا تتذكر هذه الأحداث التى جرت منذ سنة واحدة .

كانوا قد دفنوا جثمانه بجوار كاثرين فى قبر صغير بجوار منزله ، ووقفت تريسا بجوار جيب أثناء مراسم الجنازة ، محاطين بالأشخاص الذين أثار جاريت فى حياتهم - أصدقاء المدرسة ، تلاميذه الذين كان يعطيهم دروساً فى الغوص - الموظفين فى المركز .

لقد كانت جنازة بسيطة . وعلى الرغم من أن السماء بدأت تمطر بعدما أنهى رجل الدين كلمته ، إلا أن الجمع من الناس الذين جاءوا لإلقاء الوداع الأخير ظلوا واقفين لفترة بعد ذلك .

وقد أقيم العزاء في منزل جاريت ، وجاء معارفه كل منهم يقدم مواساته . وعندما غادر آخر جمع المنزل تركوا تريسا وجيب بمفردهما . قام جيب بإخراج صندوق من خزانة الملابس وطلب منها أن تجلس أمامه ، وهما ينظران معاً خلال الصندوق .

كان بداخل الصندوق المئات من الصور . وأخذت هي خلال الساعات التالية تشاهد طفولة ومراهقة جاريت ، وقد كشفت أمامها - وهي فترات حياته التي لم تعرفها عنه من قبل ، وكانت تتخيلها فقط ، ثم كان بداخل الصندوق أيضاً صوراً للسنوات التي تلت هذه المراحل : المدرسة الثانوية ، صور التخرج في الجامعة ، إصلاح هابينستانس ، صور لجاريت وهو يقف أمام المركز قبل افتتاحه . وقد لاحظت أن ابتسامته لم تتغير في كل صورة . وكذلك لم تتغير ملبسه إلا إذا كانت الصورة قد التقطت في مناسبة خاصة فمنذ الطفولة المبكرة ، كان يرتدي دائماً السروال المصنوع من الجينز ، والقمصان الرياضية .

وكانت هناك العشرات من الصور لـ " كاثرين " . وقد شعر جيب في البداية بالقلق حينما رأتها تريسا ؛ ولكن من الغريب أنها لم تخلف لديها أي تأثير ، فلم تشعر بالحزن أو الغضب لمراها .

وفي المساء ، وبينما كانا يقلبان آخر صور لـ " جاريت " ، رأت جاريت الذي وقعت في حبه . فلقد لفتت انتباهها صورة واحدة ، فحملتها أمامها لفترة طويلة . ولاحظ جيب التعبير المرتسم على وجهها ، فأوضح لها أن هذه الصورة قد تم التقاطها في الذكرى السنوية قبل أن تطفو الزجاجاة على شواطئ كيب ببضعة أسابيع .

كان جاريت يقف في الصورة على الجسر الخشبي خلف المنزل ، وكان يبدو في الصورة تماماً مثل المرة الأولى التي جاءت فيها إلى منزله .

وعندما وضعتها جانباً أخيراً مد جيب يده ، وأخذها منها برقة .

وفي الصباح التالي ، سلمها مظروفاً ، فقامت بفتحه ، ووجدت الصور التي رأتها بالأمس بجانب مجموعة أخرى من الصور . كما وجدت مع الصور أيضاً الثلاث رسائل التي جمعت جاريت وتريسا معاً .

قال : " أعتقد أنه كان يريدك أن تحتفظي بها " . كانت أنفاسها تلهث ، فلم تستطع الرد وأومأت برأسها بالشكر .

لم تستطع تريسا أن تتذكر الكثير عن الأيام التي أعقبت عودتها إلى بوسطن ، وللحق فإنها لم تكن ترغب في ذلك ، واستطاعت أن تتذكر أن ديانا كانت تنتظرها في مطار لوجان عندما هبطت الطائرة على أرض المطار . وبعد أن ألقت نظرة عليها ، حادثت ديانا زوجها على الفور ، وطلبت منه أن يحضر لها بعض الملابس لأنها تنوى أن تمضي معها عدة أيام . قضت تريسا معظم الوقت في الفراش ، ولم تبال حتى بالنهوض منه عند عودة كيفن من المدرسة .

وسأل كيفن ديانا قائلاً : " هل أمي بخير ؟ " أجابته ديانا : " إنها فقط تحتاج لبعض الوقت ، إنني أعلم أن ذلك وقت عصيب بالنسبة لك ، ولكنها ستكون بخير " .

كانت أحلام تريسا - على قدر ما تتذكر - متقطعة ومشوشة . ولدهشتها لم تر جاريت قط في أحلامها . وكانت لا تدري إذا ما

كان ذلك يندرج بشيء أو يعنى شيئاً ما . وفقدت قدرتها على التفكير السليم ، وكانت تأوى إلى الفراش مبكراً ، وتظل مستيقظة ، وتجلس فى الظلام لأطول فترة ممكنة .

وكانت فى بعض الأحيان تمر عليها لحظات من الخيال . وقد يبدو الأمر وكأنه حلم مزعج . ففى تلك اللحظات التى تنفصل فيها عن العالم ، يعود كل شيء إلى ما ينبغى أن يكون عليه . حيث تجد نفسها تشعر وكأن جاريت موجود بالشقة ، وأن فراشه الخالى يعنى أنه فى المطبخ ، يحتسى القهوة ويقرأ الصحف ، وسوف تنضم إليه خلال لحظات . وتهز رأسها ، وهى تقول له : " لقد رأيت حلماً فظيلاً " .

وكان من بين ذكرياتها فى تلك الأيام ، لهفتها على أن تعرف سبب ما حدث . فقبل أن تغادر ويليمنجتون ، جعلت جيب يقطع وعداً بأن يحادثها إذا ما نما إلى علمه أى شيء بشأن اليوم الذى استقل فيه جاريت هابينستانس . فقد كانت تعتقد أن معرفة الأسباب التى دفعته إلى ذلك قد تقلل من حدة حزنها . أما ما رفضت تصديقه هو أن جاريت قد أبحر أثناء العاصفة دون أن يعتزم العودة . وكلما رن جرس الهاتف ، كان أملها يزداد فى أن تسمع صوت جيب ، وتتخيل نفسها وهى تقول : " نعم ، هذا هو السبب إذن " وتتخيل وهى تقول أيضاً : " نعم ، أدرك هذا ، إن هذا يفسر ما حدث " .

كانت تعلم فى قرارة نفسها أن ذلك لن يحدث ، فلن يحادثها جيب ويوضح لها ما حدث ، ولن تعرف الإجابة حتى إذا ما أمعنت فى التفكير جيداً . لا ، لقد جاءتها الإجابة من مصدر لم تتوقعه أبداً .

وبعد مرور عام ، وعلى شاطئ كيب كود أخذت تسترجع وتتأمل الأحداث التى مرت بها ، والتى قادت بها إلى هذا المكان . مدت يدها فى حقيبتها بعد ذلك ، وبعد أن ألقى بالشئ الذى كان فى يدها ، أخذت تحقق إليه ، وهى تسترجع اللحظة التى جاءتها فيها الإجابة عن تساؤلاتها . وبمعكس ذكرياتها عن الأيام التى أعقبت عودتها إلى بوسطن ، ظلت هذه الذكرى واضحة جلية أمام عينيها باستمرار ، ذكرى اليوم الذى علمت فيه الإجابة عن تساؤلاتها .

بعد أن غادرتها ديانا ، حاولت تريسا أن تستعيد نظام حياتها اليومى ، ففى خضم تشوشها وجزعها ، خلال الأسبوع الماضى ، كانت قد تجاهلت أحداث الحياة التى لا تتوقف رغم كل شيء . وبينما كانت ديانا تساعد كيفن ، وتتولى شئون المنزل ، قامت هى بتجميع البريد الذى تجمع فى جانب غرفة الطعام . وفى إحدى الأمسيات ، وبينما كان كيفن يشاهد أحد الأفلام ، راحت تقرأ البريد .

كانت هناك العشرات من الخطابات ، وثلاث مجلات ، وكذلك طردان ، ولقد أدركت على الفور محتوى أحد الطردين ، فقد كانت بعض الأشياء التى أرسلت فى شرائها من أجل عيد ميلاد كيفن ، أما الثانى فقد كان ملفوفاً فى ورق ذى لون بنى دون أن يدون عليها أى عنوان للمرسل .

كان الطرد طويلاً وعلى شكل مستطيل ، وقد تم إغلاقه بلاصق إضافى ، وكان هناك ملصقان مدون عليهما " قابل للكسر " - أحدهما بجانب عنوانها المدون ، والآخر على الجانب الآخر من الصندوق . كما كان هناك ملصق آخر مدون عليه " تناولها بحذر " ، وتملكها الفضول ، فقررت أن تفتح هذا الطرد ، ثم

لاحظت أن العلامة البريدية تشير إلى أن الطرد مرسل من ويليمنجتون ، نورث كارولينا . كما يشير التاريخ إلى أنه قد تم إرساله من أسبوعين ماضيين . وبسرعة قرأت العنوان المدون من الأمام .

إنه خط يد جاريت .

وضعت الطرد جانباً ، وشعرت بغصة في حلقها ، وهي تقول :
" كلا ... "

أحضرت مقصاً من أحد الأدراج ، وبدأت تقص الشريط اللاصق بيدين مرتعدتين ، وهي تجذب الورقة بحذر ، وأدركت ما بالداخل . وبعد أن رفعت الشيء الموجود بداخل الطرد ، أخذت تتأكد من أنه لا يوجد أى شيء آخر بالداخل ، وعندما تأكدت من ذلك أخذت تحل الكيس البلاستيكي ذا الفقاعات الملفوف حول الطرد ، وأخيراً وبعد أن انتزعت الجزء المتبقى وضعت الشيء أمامها على المكتب ، وأخذت تحديق إليه لفترة طويلة ، وهي لا تقوى على الحركة ، وعندما قربت محتوى الطرد أمامها ، رأت صورتها قد انعكست عليه .

كان الطرد عبارة عن زجاجة محكمة الغلق بسدادة من الفلين ، وكانت الرسالة ملفوفة بداخلها ومستقرة عند نهايتها . وبعد أن انتزعت السدادة - والتي لم يحكم غلقها جيداً ، قلبتها . فانسدل الخطاب من داخلها بسهولة ، وكان كالخطاب الذى عثرت عليه منذ بضعة شهور ، فقد كان ملفوفاً فى خيط ، فقامت بحل الخيط بعناية ، وهي حريصة على ألا يتمزق .

كانت الرسالة مكتوبة بقلم حبر ، وكانت توجد فى أعلى الجانب الأيمن صورة لسفينة قديمة مبحرة ، وشراعها يتمايل مع الرياح .

عزيزتى تريسا ،
هل يمكن أن تسامحينى ؟

وضعت الرسالة على المكتب ، وقد شعرت بألم فى حلقها ، ووجدت صعوبة فى التنفس حتى اخترق شعاع الضوء الصادر من مصباح الحجرة دموعها المنسدلة فحجب الرؤية فمدت يدها لتلتقط بعض المناديل لتمسح عينيها ، وشرعت فى القراءة مرة أخرى بعد أن هدأت نفسها .

عزيزتى تريسا ،
هل يمكن أن تسامحينى ؟

دائماً ما تهب فى عالمنا - الذى قلما نفهمه - رياح الأقدار حاملة أحداثاً لا نتوقعها . فأحياناً ما تعصف بكيان المرء ، وأحياناً لا نشعر بها على الإطلاق . ولكننا لا نستطيع إنكارها . فهي تحمل دائماً معها مستقبلنا الذى لا نستطيع تجاهله . وأنت يا حبيبتي الرياح التى لم أتوقعها أبداً . الرياح التى كانت قوتها أكثر مما أتخيل ، فأنت قدرى .

لقد كنت مخطئاً ، مخطئاً بشدة ، لأننى تجاهلت قدرى الجلى . إننى أطلب صفحك وغفرانك . لقد حاولت كالببحار الحذر أن أحمى نفسى من تلك الرياح ؛ ولكننى فقدت روحى بدلاً من ذلك ، لقد كنت أحمق ؛ لأننى تجاهلت قدرى ، ولكن حتى الحمقى يحملون مشاعر وأحاسيس ، ولقد أدركت أنك أهم شيء عندي فى هذا العالم .

أعرف أننى لست شخصاً كاملاً دون نقائص . نعم ، لقد ارتكبت العديد من الأخطاء فى الشهور القليلة الماضية تفوق الأخطاء التى ارتكبتها فى حياتى من قبل . لقد كنت مخطئاً

في رد فعلي عندما اكتشفت أمر الرسائل ، تماماً كما كنت مخطئاً لإخفاء حقيقة ما كان يعتمل بداخلي بشأن الماضي . وعندما تعقبتك ، وأنت تبتعدين بسيارتك ، وأيضاً عندما تعقبتك في المطار كان علي حينئذ أن أمنعك بشدة من الرحيل . ولكن أشد ما اقترفته من خطأ هو أنني تجاهلت المشاعر التي تضطرم في قلبي ، وهي أنني لن أستطيع العيش بدونك .

لقد كنت محقة في كل شيء ، وعندما كنا نجلس سوياً في المطبخ ، حاولت إنكار ما كنت تقولين ، على الرغم من أنني كنت أدرك في قرارة نفسي أن كل كلمة تتفوهين بها كانت صحيحة تماماً . لقد كنت كالذي ينظر خلفه إلى الماضي ، ويعجز عن رؤية حاضره . لقد عجزت عن رؤية ما يحمله الحاضر من إشراق وآمال ، وهو ما يجعل للحياة معنى . لقد كنت مخطئاً في ذلك ، وأتمنى لو كنت فهمت ذلك في حينه . والآن ، بينما أتطلع للمستقبل ، لا أرى خلاله سوى وجهك ، ولا أسمع سوى صوتك . وأنا على يقين من أن هذا هو الطريق الذي لا بد أن أسير فيه . إنني لأتمنى أن تمنحيني فرصة أخيرة ، وآمل أن يكون لهذه الزجاجية مفعول السحر ، كما كان لها من قبل ، وآمل أن تجمعنا سوياً مرة أخرى .

فبعد أن غادرت بأيام قلائل ، كنت أحاول أن أقنع نفسي بأنني سأواصل حياتي السابقة ، ولكنني لم أستطع . ففي كل مرة كنت أرى فيها الشمس تغرب كنت أتذكرك . وفي كل مرة أمر فيها بجوار الهاتف كنت أتوق لمحدثتك . بل وفي كل مرة كنت أبحر فيها ، كنت لا أفكر في شيء إلا فيك ، وفي الأوقات الرائعة التي أمضيها سوياً . أعلم في قرارة

نفسى أن حياتي لن تعود كما كانت إطلاقاً . إننى أريدك أن تعودى أكثر من أى شيء آخر . ولكن عندما أتخيلك أمامى ، كانت كلماتك فى آخر حوار لنا تتردد فى أذنى . لا يههم قدر حبي لك ، فكلانا يعلم أن علاقتنا لن تستمر إلا إذا أخلصنا تماماً لها . لقد سيطرت على تلك الأفكار حتى الليلة الماضية ، عندما اتخذت قراراً فى النهاية وأدركت الإجابة عن تساؤلاتى ، وإننى آمل أن تجد صدى لديك ، مثلما تعنى الكثير بالنسبة لى .

لقد رأيت فى أحلامى ، أننى أسير على شاطئ ، وبجوارى كاثرين ، وذلك فى نفس البقعة التى كنا نسير فيها بعد أن تناولنا طعام الغداء فى هانكز . ولقد كانت الشمس تسطع بشدة ، وتنعكس أشعتها على الرمال . وكانت تنصت إلى بشدة حينما كنا نسير ، وكنت أحدثها عنك وعننا ، وعن الأوقات التى قضيناها سوياً . وقلت لها إننى أحبك ، ولكننى أشعر بالذنب ، ولم تنبس بكلمة على الإطلاق ، ولكنها استمرت فى المسير حتى التفتت إلى ، وسألتنى : " لماذا ؟ " قلت لها : " بسببك " .

وعندما سمعت إجابتي ابتسمت بنفس الطريقة التى كانت تبتسم بها قبل وفاتها ، وقالت : " آه يا جاريت ! " ، ثم مست وجهي فى نعومة ، وأضافت : " ومن - فى اعتقادك - الذى أحضر الزجاجية إليها ؟ "

توقفت تريساً عن القراءة للحظات ، ولم تسمع صوتاً سوى أزيز الثلاجة .

" ومن - فى اعتقادك - الذى أحضر الزجاجية إليها ؟ "

اتكأت تريساً بظهرها على المقعد إلى الورا ، وأغمضت عينيها
وهي تحاول أن تحبس دموعها .
ثم غمغمت : " جاريت آه يا جاريت ! " ، وكان
باستطاعتها أن تسمع أصوات السيارات المارة خارج النافذة ،
واستأنفت القراءة ببطء مرة أخرى .

" عندما استيقظت ، شعرت بوحدة شديدة . ولم أشعر
بالارتياح إزاء الحلم ، بل إنه جعلنى أشعر بالألم ، وذلك لما
اقترفته فى حقنا . وأجهشت بالبكاء ، وعندما استجمعت
قواى ، أدركت ما يجب على عمله ، وببىد مرتعدة ، كتبت
رسالتين : الأولى هى التى تحملينها بين يديك الآن ،
والثانية إلى كاثرين ، والتى أودعها فيها من خلالها ،
وسأستقل هابينستانس اليوم لأبعث لها بهذه الرسالة
الأخيرة ، وذلك كما فعلت مع كل الرسائل الأخرى . سوف
تكون آخر رسالة ، فقد أخبرتنى كاثرين بطريقتها أن أستمر
فى علاقتنا ، وأنا اخترت أن أنصت جيداً ليس فقط
لكلماتها ، ولكن لقلبى الذى يقودنى إليك .

آه يا تريساً ، إننى أشعر بالأسف ؛ لأننى قد سببت لك
جرحاً يوماً ما . إننى سأصل إلى بوسطن الأسبوع القادم على
أمل أن تسامحينى ، أعلم أنه ربما يكون الأوان قد فات ، لا
أدرى .

تريساً ، إننى أحبك ، وسأظل أحبك إلى الأبد . لقد سئمت
من الوحدة . إننى أرى الأطفال يبكون ويضحكون وهم يلهون
فى الرمال ، وأدركت أننى أريدك أن تكونى أماً لأطفالي .
وأريد أن أرى كيفن وهو يكبر يوماً بعد يوم ، ويصير رجلاً .

أريد أن أحتضن يديك وأراك وأنت تبكين فى ليلة عرسه .
أريد أن أقبلك حينما تتحقق أحلامه . سأتى إلى بوسطن ،
وأنقل للعيش فيها إذا كان هذا هو ما يسعدك ، إننى أشعر
بالحزن والألم بدونك ، وأدعو الله أن تسمحى لى بالرجوع إليك
هذه المرة ؛ لنظل سوياً إلى الأبد .

جاريت

زحف الظلام وبدأ يخيم على السماء . وعلى الرغم من أن
تريساً قرأت هذه الرسالة آلاف المرات ، إلا أنها فى كل مرة كانت
توقظ بداخلها نفس الشاعر التى اعترتها عند قراءتها للمرة الأولى ،
وطوال العام الماضى كانت تطاردها هذه الشاعر فى كل لحظة .
وقد حاولت مرة أخرى ، وهى تجلس على الشاطئ أن تتخيله
وهو يكتب هذه الرسالة . وأخذت تمر بأصابعها على الكلمات ،
وتتحسس الصفحة برقة ، وهى تدرك أنه قد مر بيده عليها من
قبل . وأخذت تتفحص الرسالة ، وهى تغالب دموعها ، وذلك كما
كانت تفعل دائماً فى كل مرة تقرأ فيها الرسالة .

وقد رأت فى بعض مواضع من الرسالة بعض بقع الحبر التى
كانت تسقط من القلم أثناء كتابته للرسالة ، مما أعطى لها مظهراً
مميزاً ، ولقد قام بشطب ست كلمات من الرسالة ، فأخذت
تمعن النظر فيها طويلاً ، وهى تتساءل ماذا كان ينوى أن يقول .
وكالعادة لم تستطع أن تخمن . فقد كان ذلك سراً دفن معه ، شأنه
كشأن الأحداث التى مرت به فى آخر يوم فى حياته . ولاحظت
فى أسفل الرسالة أنه من الصعب قراءة خط يده ، كما لو كان يقبض
حينئذ على القلم بشدة .

وعندما انتهت من قراءة الرسالة ، قامت بلفها وربطها بالخيط بعناية ؛ حتى يظل مظهرها كما هو . ثم أعادتها إلى الزجاجية ، ووضعتها على جانبها بجوار الحقيبة . كانت تدرك أنها ستضعها في خزانة ملابسها فور عودتها للمنزل ، كما تحتفظ بها دائماً . وفي المساء وعندما تنعكس أضواء الشارع في غرفتها ، كانت الزجاجية تلمع في الظلام ، وتكون آخر شيء تراه قبل أن تغط في النوم .

ثم بعد ذلك مدت يدها ، وأمسكت بالصورة التي أعطاها إياها جيب ، وتذكرت أنها بعد عودتها إلى بوسطن أخذت تشاهد الصور الواحدة تلو الأخرى ، وعندما بدأت يداها ترتعدان ، وضعتها في درج خزانة الملابس ، ولم تشاهدها أبداً فيما بعد .

ولكنها تستطيع أن تشاهدها الآن . وقد وجدت الصورة التي تم التقاطها في الفناء الخلفى للمنزل . وتذكرت كل شيء عنه ، وهي تمسك بها في يدها ، فأخذت تتذكر هيئته ، وطريقة نظراته ، وحركاته ، وابتسامته ، والتجاعيد الموجودة في جانب عينيه ، وأخذت تحدث نفسها أنها ستأخذ النسخة السلبية من الصور ، وتقوم بعمل نسخة أخرى من الصور بمقاس أكبر ، حيث يمكن أن تضعها بجوار الفراش . كما كان يضع صورة كاثرتين . ثم ابتسمت بحزن ، وهي تدرك الآن أنها لم تفعل ذلك . وسرعان ما ستضع الصور في مكانها الأصلي في الدرج أسفل جواربها وبجوار القرط المصنوع من اللؤلؤ الذي أعطته إياها جدتها . لقد كان من المؤلم أن تتطلع إلى صورته كل يوم ، وهي ليست مستعدة لذلك بعد .

منذ الجنازة ، كانت على اتصال دائم مع جيب ، فقد كانت تحادثه بين الحين والآخر لتعرف أخباره . وفي المرة الأولى التي حدثته فيها ، أخذت تشرح له سبب إبحار جاريت على متن

هابينستانس في يوم وفاته . وأنهيا المكالمة وهما يبكيان عبر الهاتف . وبمرور الشهور ، استطاع كل منهما أن يذكر اسمه دون بكاء . وأخذ جيب يحدثها عن جاريت عندما كان طفلاً صغيراً ، أو يخبرها بما قاله عنها خلال فترة ابتعادهما .

ثم ذهبت تريسا بصحبة كيفن إلى فلوريدا ، وقاما بالغوص في خليج كيز ، كانت المياه دافئة كمياه بحار نورث كارولينا ؛ ولكنها كانت أكثر صفاء . وأمضيا هناك ثمانية أيام ، وهما يغوصان كل يوم ويسترخيان على الشاطئ في الظهيرة . وقررا وهما في طريق عودتهما إلى بوسطن أنهما سيأتيان إلى فلوريدا في العام التالي . وطلب منها كيفن في عيد ميلاده أن تشترك له في مجلة عن الغوص ، ومن سخرية الأقدار ، أن الموضوع الأول تضمن قصة عن السفن التي تحطمت على شواطئ نورث كارولينا ، ومن بينها السفينة التي قاموا بزيارتها بصحبة جاريت .

ومنذ وفاة جاريت ، أراد الكثيرون الارتباط بها . وكان كل منهم يتمتع بوسامة وشخصية جذابة ، ولكنها كانت تعتذر بأدب . وكثيراً ما كانت تستمع بين الحين والآخر إلى زملائها وهم يتهامسون : " إننى لا أدري لماذا ترفض الارتباط بأحد " أو " إنها لا تزال صغيرة وجذابة "

بينما كان هناك آخرون أكثر تفهماً ، فيلاحظون أنها تمر بأزمة ما ، وسرعان ما ستتغلب عليها في وقتها .

وقد تلقت مكالمة هاتفية من جيب منذ ثلاثة أسابيع جعلتها تذهب إلى كيب كود ، وذلك عندما استمعت لصوته الرقيق المهدب وهو يطلب منها أن تستمر في حياته ، انهار كل ما قامت ببنائه من أسوار حولها ، وأخذت تبكي طوال الليل . ولكنها في الصباح التالي أدركت ما عليها القيام به ، وقامت بإعداد بعض الترتيبات

من أجل المجيء إلى هنا ، وكان ذلك يسيراً لأنها كانت فى نهاية الموسم ، ولأن جروحها قد بدأت فى الالتئام .

وقفت على الشاطئ ، وهى تتساءل إذا ما كان أحد يراها أم لا وتلفتت حولها ، ولكن الشاطئ كان خالياً ، إلا من المحيط الذى بدأ ثائراً . فقد بدت الأمواج عالية وخطرة . إنه لم يعد ذلك المكان الحالم الرومانسى . أخذت ترقب المحيط لفترة طويلة ، وهى تفكر فى جاريت ، حتى سمعت هزيم الرعد يشق عنان السماء .

وهبت الرياح بشدة ، وأحست بالأفكار تتلاطم فى عقلها ، وأخذت تتساءل : " لماذا انتهى الأمر كذلك ؟ " إنها لا تدرى . وهبت رياح أخرى ، وشعرت به بجانبها ، وهو يزيح الشعر المتساقط على عينيها . لقد فعل ذلك حينما ودعا بعضهما البعض من قبل ، وشعرت بلمسة يده مرة أخرى ، وتمنت لو أن أشياء كثيرة تغيرت ذلك اليوم .

إنها ، وهى وحيدة مع أفكارها الآن تحبه كثيراً ، وستظل دائماً تحبه إلى الأبد . لقد أدركت أنها تحبه منذ اللحظة التى شاهدته فيها على المرفأ . هى تدرك ذلك الآن ، ولن يغير من مشاعرها هذه مرور الوقت أو وفاته ، وأغلقت عينيها ، وهمست له كما كانت تفعل دائماً .

قالت برقة : " إننى أفتقدك يا جاريت " ، وتخيلت للحظات أنه يسمعها ، لأن الرياح هدأت فجأة وسكن الهواء .

ومع سقوط أول قطرات للمطر ، قامت بنزع سداة الزجاجاة التى تحملها بين يديها ، وأخرجت الرسالة التى كتبتها بالأمس ، الرسالة التى ستبعث بها ، ووضعتها أمامها بنفس الأسلوب الذى أمسكت به الرسالة الأولى التى عثرت عليها . وكان الضوء الضعيف

الذى يخيم على المكان يجعلها بالكاد ترى الكلمات . ولكنها كانت تحفظها عن ظهر قلب ، وأخذت يداها ترتعدان وهى تقرأها .

حبيبى ،

مر عام منذ أن جلست مع والدك فى المطبخ . إن الوقت متأخر ، وإننى أعثر على الكلمات بصعوبة ، ولا أستطيع أن أهرب من المشاعر التى تدفعنى لأجيب أخيراً عن سؤالك .

بالطبع أسامحك ، أسامحك الآن ، وسامحتك منذ اللحظة التى قرأت فيها رسالتك ، وليس لدى اختيار آخر . لقد كان فراقك أول مرة مؤلماً بما يكفى ، ولكن فراقك للمرة الثانية مستحيل . إننى أحبك كثيراً بدرجة تمنعنى من أن أتخلى عنك ثانية . وعلى الرغم من أننى أشعر بالحزن والألم لما حدث ، إلا أننى ممتنة لك لأنك دخلت حياتى ولو لفترة قصيرة . فى البداية ، كنت أتخيل أننا قد التقينا لأساعدك فى التغلب على حزنك ، ولكن الآن وبعد مرور عام ، أدركت أن ما حدث هو العكس .

من العجيب ، الآن فى نفس الموقف الذى كنت فيه أول مرة عندما التقينا ، أننى الآن وأنا أكتب لك هذه الرسالة ، تطاردنى ذكرياتى مع شخص أحببته وفقدته إلى الأبد . لقد أدركت الآن ما كنت تمر به ، وأدركت كم من الألم كنت تعانيه . وأدرك أننا لن نرى بعضنا البعض بعد الآن . ولكن هناك جزءاً منى يرغب فى التعلق بك للأبد . سيكون من السهل أن أفعل ذلك ؛ لأن حبنى لشخص آخر قد يمحو ذكراك ؛ ولكن هذا هو التناقض : فعلى الرغم من أننى أفتقدك كثيراً ، ولكن بسبب حبك ، أستطيع التطلع للمستقبل ؛ لأنك

استطعت أن تحبني ، فمذحتني الأمل يا حبيبي . لقد علمتني أنه من الممكن الاستمرار في الحياة ، ولا يهم مقدار الحزن الذي نعانيه . وعلمتني أنه من غير الممكن إنكار الحب الحقيقي .

ولكني حتى الآن لست مستعدة لذلك ، ولكن هذا هو اختياري ، لا تلومن نفسك بسبب وجودك في حياتي ، وآمل أن يأتي يوم تستبدل فيه أحزاني ، فلدى القوة النابعة منك لأن أستمّر في حياتي .

لا أدري إذا ما كان بمقدور أرواح الأموات أن تعود مرة أخرى إلى العالم ، وتحوم حول أحبابها دون أن يراها من يحبون - ولكن إذا كنت تستطيع ذلك فإنني أعلم أنك ستكون بجوارى . وعندما يلاطف النسيم البارد وجنتي ، فستكون روحك هي التي تمر من جانبي ، إنك لم ترحل إلى الأبد ، ولا يهم من يدخل حياتي . إنك الآن في رحاب الله ، ولكنك تلازم روحي ، وترشدني في مستقبلي الذي لا أعلمه .

إن ذلك ليس وداعاً يا حبيبي - إنها رسالة شكر وامتنان . أشكرك على دخولك لحياتي ومنحى البهجة والسعادة ، أشكرك على حبك لي ، وعلى قبولك لحبي لك . أشكرك على الذكريات الجميلة التي ستبقى خالدة في ذهني إلى الأبد ، ولكن دون كل هذا ، أشكرك لأنك علمتني أنه سيأتي الوقت الذي أستطيع فيه أن أنساك .

أحبك
تريسا

وبعد أن قرأت الرسالة للمرة الأخيرة ، قامت بطيها ووضعها في الزجاجية . وأخذت تلفها بين يديها عدة مرات ، وقد أدركت أن رحلتها قد انتهت . وعندما أدركت أن الوقت قد حان قامت بإلقائها لأبعد مسافة تستطيعها .

هبّت عندئذ رياح قوية ، وقفت تريسا في صمت وهي تراقب الزجاجية وهي على سطح المياه . وعلى الرغم من أنها كانت تدرك أن ذلك ضرب من المستحيل ، تخيلت أن الزجاجية لن تطفو أبداً على الشاطئ ، بل ستسافر حول العالم ، وتصل إلى الأماكن البعيدة التي لن تراها هي أبداً .

وعندما اختفت الزجاجية عن الأنظار بعد دقائق قليلة ، عادت إلى سيارتها . وسارت في صمت أسفل الأمطار المتساقطة ، وابتسمت في عذوبة . فلم تكن تعرف أين أو متى أو هل ستظهر ثانية . ولكن هذا لا يهم ، فهي تدرك أن جاريت سيتسلم رسالتها بطريقة ما .

النهاية



في أثناء إجازتها الصيفية، عثرت الصحفية «تريسا أوسبورن» - وهي مطلقة وأم لصبي في الثانية عشرة من العمر - على زجاجة قذفت بها الأمواج إلى الشاطئ؛ حيث وجدت في داخلها رسالة من رجل يدعى «جاريت».

«حبيبتي الغالية كاثرين أفتقدك بشدة يا عزيزتي، وسأظل أفتقدك دوماً، لكنني أشعر نحوك اليوم باشتياق شديد. فلقد ترامى إلى مسامعي صوت المحيط وهو يغني. أتعلمين ماذا كان يقول؟ إنه يتغنى بقصتنا وحياتنا معاً».

كانت الرسالة بالنسبة إلى «جاريت» السبيل الوحيد للتعبير عن حبه الذي لا ينضب لامرأة فقدتها، أما بالنسبة إلى «تريسا» - والتي فقدت إحساسها بالحب والرومانسية منذ أن اهتزت ثقتها بزوجها - فقد أثارت في داخلها عدة أسئلة جعلت الفضول يملكها. ترى من يكون جاريت وكاثرين؟ وما هي قصتهما؟ تلك الأسئلة دفعتها بجانب الفضول والغموض إلى أن تبحث عنه، وقادها ذلك إلى مدينة ساحلية وكذلك إلى مواجهة غير متوقعة.

إن «جاريت» و«تريسا» اللذين جمعتهما الصدفة أو شيء آخر أكثر قوة نتعرف إلى قصتهما من أجل هدف ما يعكس آمالنا العميقة في إيجاد الشخص المناسب والحب الذي يدوم إلى الأبد.

من عبارات الإشادة بهذه الرواية:

«مثيرة للشجن وتجعلك تبكي من المأساة الممتزجة بالسعادة...»

أرجو أن تقرأها»

صحيفة «ديلي ميل»



مكتبة جرير

JARIR BOOKSTORE

... not just a Bookstore ... ليست مجرد مكتبة ...

